في جنّة مريم

مريميّات بأقلام من لبنان

جورج مغامس

منشورات جامعة سيّدة اللويزة

لبنان - ١٩٩٧

في جنة مريم



جورج عبدالله مغامس

من مواليد زوق مصبح، كسروان، لبنان، سنة ١٩٤٩
له ولور درويش، من زواجهما سنة ١٩٧٥، ثلاثة أولاد:
لميس ولمى وفراس

في التَّعَلُّـم، تَدرَّج من مدرسة بلدته الرسميَّة، الى معهد الرّسل، فمدرسة سيِّدة اللويزة؛ وحاز إجازةً في اللغة العربيَّة وآدابها، من الجامعة اللبنانيّة، سنة ١٩٧٤.

في التَّعليـم، تَدَبَّر العربيَّة، تعليماً وإدارةً، في اللويزة بالأخصّ، منذ سنة ١٩٧٠

في الإعلام، انضمَّ الى إذاعة صوت لبنان سنة ١٩٧٦، عاملاً في السيّاسة والثّقافة؛ وأصبح، سنة ١٩٩٠، مديراً للبرامج
وفي جامعة سيِّدة اللويزة، فضلاً عن مكتب الإعلام،
يرئس تحريرَ مجلَّة *NDU Spirit* المؤسَّسة سنة ١٩٩٦

في الكتابة، وهو عضوٌ في اتّحاد الكتَّاب اللبنانيين،

صـــدر لـــه:

إلـى كــلِّ أرض ١٩٨٢ قَصَص فنّي توجيهيّ من التّاريخ اللبنانيّ
عندما يأتي المساء ١٩٨٦ جماليّات من أدب الوجدان
في جنّــة مــريـم ١٩٩٧ مَريميَّات بأقلام من لبنان

وله مخطوطاً:

قايين لم يمت ١٩٧٧	مسرحيَّة من وحي المحنة اللبنانيَّة
ذاكرة الوطن	وجوه مضيئة في روح لبنان الحديث
كتّاب وكتب	تعريف وتقويم
خطب ومقالات	في السّياسة والثقافة

ويشاركُ في قضايا الشأن العامّ...

في جَنَّةِ مَرْيَمْ

مريميّاتٌ بأقلامٍ من لبنان

جورج مغامس

مَنشوراتُ جامِعَة سيّدة اللويزة

لبنان - ١٩٩٧

سيِّدة لبنان

الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

بين اللبنانيّين والسيِّدةِ العذراءِ عهدٌ قديمٌ، يَرقى الى زمنِ صاحبِ نشيدِ الأناشيدِ، الذي ناداها بقوله: هَلُمّي من لبنانَ فَتَتَكَلَّلي.

وَلَكم تَلَفَّتوا إليها في ليالي تاريخِهم الطويل، ولا سيَّما في زحمةِ الأحداثِ وغمرةِ الشّدائد، مستغيثين مستشفعين...

لقد بدأ تشييدُ الكنائسِ على اسمِ العذراءِ، في لبنانَ، منذ فجرِ النصرانيّة. ولعلَّ أقدمَها عهداً نَجدُها في صور؛ وهي تَرقى الى مَجمع أَفَسس، الذي انعقد في الثّلث الأوّلِ من القرنِ الخامس، وأقرَّ تسميةَ العذراءِ أمَّ اللهِ. وتلتها كنيسةٌ ثانيةٌ في بيروت. وثالثةٌ في جبيل. وتوالتِ الكنائسُ على اسمِ والدة الله، في المدنِ والقرى، وعلى الشواطئ، وفي الجرودِ، حتّى كست أرضَ الجبل؛ وما من تلّةٍ فيه، اليومَ، إلاّ وتَزهو بكنيسةٍ للعذراء، وما من وادٍ إلاّ ويأنسُ بحِمى معبدٍ لها. ولكلِّ كنيسةٍ زوّارٌ. ولكلٍّ من الزوّارِ كنيسةٌ وسيّدة..

فللفلاّحين سيّدةُ الفلاحة في تنوّرين. وللمزارعين سيّدةُ الزّروعِ في طَبْريّة – كسروان. وللحصّادين سيّدةُ البيادرِ في عِبرين. وللحطّابين سيّدةُ الحَقْلة في دلبتا، والغابة في بيت شباب. وللسُّقاة سيّدةُ رأسِ النبع

في بيروت، وسيّدةُ البير في بير الهَيْت وَبقنّايا. وللغطّاسين سيّدةُ البحر في صور وجل الديب والبترون. وللغسّالين سيّدةٌ في القبيّات. ولرعاةِ الغنم والماعز سيّدةُ بشوات. وللمُرضعاتِ سيّدةُ البزاز في ساحل علما، وسيّدةُ الدر في بْقِسْمَيّا وبشرّي. وللحبُساءِ سيّدةٌ في مَجدل العاقورة. وللسُيّاحِ سيّدةٌ في جبيل. وللمدرّعين للقتالَ سيّدةُ الأبراج في غزير ودير الأحمر، وسيّدةُ الحصنِ في إهدن، وسيّدةُ القلعة في بيت مري.

ولسكّانِ السهولِ والهضابِ سيّدةُ الوطى في زوق مكايل. ولسكّانِ التلال سيّدةُ القلعةِ في دير القمر وبيت مري. وللمهاجرين سيّدةُ عبَدين. ولمن يقابلون الصّعابَ بالاتّكال على العنايةِ والبشاشة سيّدةُ البشوشه في بكركي. ولغرقى الضلالِ سيّدةُ النجاة في بكفيا ومزرعة عبّود وعيون أُرغش. وللرّاقدين بالرّب سيّدةُ النِّياحِ في بقعتوتا والفرزل. وهناك كثيرٌ من كنائسِ السيّدةِ العذراءِ يَحملُ اسمَ قراها ومواقعِها. ولو شئنا التَّعدادَ لَعَددنا معظمَ قرى الجبل.

ولكلٍّ كنيسةِ تاريخٌ يَمتزجُ بتاريخِ المحلَّة القائمةِ فيها، ويتناقله الخَلَفُ عن السَّلَفِ. ويؤلِّفُ مجموعُ هذه التَّواريخِ جانباً كبيراً من تاريخِ لبنان. ومَن يمكنُه أنْ يرويَ تاريخَ زغرتا وبكفيا ودير القمر، ويتجاهلُ تاريخَ كنيسة السيّدةِ في كلٍّ منها، وقد اقترن بأحداث تاريخيّةٍ معروفة؟ ومَن يستطيعُ أن يتحدَّثَ عن دَورِ البطاركةِ الموارنةِ في تكوينِ لبنانَ، دون أن يذكرَ سيّدةَ يانوح وإيليج وقَنّوبين وبكركي، وحجارةُ كلِّ كنيسةٍ من كنائسها تَنوءُ بما حَمَّلها الزّمنُ من ذكريات، منها الدّامي الحزينُ ومنها الزّاهي المَجيد؟ تَعدّدتِ الاسماءُ، والمُسَمّى واحدٌ،

والشفيعةُ هي هي أمُّ الله. وكأنَّ جميعَ هذه الكنائسِ تنصهرُ، اليومَ، في كنيسةٍ واحدة هي كنيسةُ سيّدةِ لبنان، تاجُ كنائسِ العذراءِ في لبنان.

فهذه الكنيسةُ ليست لقرية، ولا لمدينة، ولا لمنطقة. إنَّها للبنان. ولا هي كنيسةُ فئةٍ أو جماعةٍ أو أصحابِ حرفة. إنّها كنيسةُ جميعِ المؤمنين اللبنانيين. ولو راجعنا سجلاّتِ الزائرين، منذ تشييدِ المزار لنحو تسعين سنةَ مضت، لوَجدنا أنَّهم ينتمون الى مختلفِ العائلات الروحيّة التي يتألّفُ منها هذا الوطنُ؛ والعذراءُ، لديهم جميعاً، موضعُ تكريمٍ، ومَناطُ أملٍ، ومثالُ نبلٍ وطهرٍ ونقاء. إنَّها أمُّ الله، وأمُّ عيسى، وسيّدةُ نساءِ العالَمين أجمعين.

ولهذا، قد أتَوها الى هذا المزار، مسيحيين ومحمّديين، مقيمين ومغتربين، كباراً وصغاراً، أغنياءَ وفقراءَ، مرضى وأصحّاءَ، من الشّمالِ والجنوبِ والسّواحلِ والجرود، يسألون اللهَ، بشفاعتِها، النّعَمَ والبركات، ويُعربون لها عن أسمى عواطفِ الولاءِ والإجلال، بعباراتٍ تَنفذُ الى القلوب فَتَترطّبُ لها المآقي وتَغرورقُ العيون، وبتقادمَ ونذورٍ من سخاءِ المحبّة.

أمّا الكنيسةُ، في هذا الاطار الطبيعيّ الساحر، ومن ورائها صنّينُ الابيضُ الشّامخ، ومن أمامها البحرُ الأزرقُ الفسيح، فكأنَّها سفينةٌ فينيقيّةٌ تَمخرُ العُبابَ، وفي مقدّمتها تمثالُ العذراء، يَحملُ الى القلوبِ الواجفة أشعّةَ الطمأنينةِ والسّلام، مثلما حَملت سفائنُ فينيقيا الى الدنيا مشاعلَ الحضارةِ والعمران، والشّعارُ واحدٌ، شعارُ لبنانَ: تلاطمه

الأمواجُ فيترجّحُ ولا يَغرقُ، وكأنَّ يداً خفيّةً تُمسكُ به على شفيرِ الهاوية، في مدى تاريخهِ القلقِ الطويلِ، هي يدُ العذراءِ سيِّدةِ لبنان.

فيا أمَّ اللهِ ويا أمَّنا، نجيئُك أبداً ضارعين، وفي القلوبِ جراحٌ، وفي العيونِ دموعٌ؛ فضمّدي الجراحَ، وامسحي الدموعَ، وجنّبي وطَننا الحبيبَ ما يَتَهدَّدُه، بَعْدُ، من أخطار.

شدّدي عزيمتَنا في وجه التحدّيات، فيعودَ لبنانُ أمنعَ من أن تُنتهكَ له سيادةٌ، أو تُمتَهنَ كرامةٌ؛ وقد كان، منذ كان، وسيبقى، بحمايتِك، وطنَ العزّةِ والشموخِ، وأرضَ الحرّية والمحبّة.

خذي بنُصرةِ وطننا الصغيرِ برقعةِ أرضِه، والكبيرِ بتراثِه ودورِه الحضاريّ، فيستعيدَ صوتَ الحقِّ والعدالةِ، في عالمٍ يسودُه الظّلمُ الكبير.

شُدّي، يا أمَّنا، إزرَنا لنُواليَ النهوضَ بالمسؤوليّاتِ الجسامِ المنتقلةِ إلينا عن أسلافِنا العظام، وقد تركوا بين أيدينا ودائعَ وأماناتٍ، لأهونُ علينا التخلّي عن الحياة من التخلّي عنها.

باركي، يا أمَّ الكلمة، أهلَ الكلمةِ الشذيَّةِ العبقريَّةِ الذين لبَّوا دعوةَ ولدِنا العزيزِ الأديب الملهَم الأستاذ جورج مغامس الى وليمةِ تكريمك، شعراً ونثراً من مجامرِ الوجدان، فعَبَروا بأقلامِهم المشاعلِ الى أقداسِ «جنّتكِ» مُضمّخين بأعرافِ لبنان، باركيهم وسائرَ المؤمنين بشفاعتكِ وحمايتكِ لهذا الوطنِ الذي، وإن امتدَّت إليه يدٌ بسوء، فلن تَسودَه، ما دُمتِ تَضرعين لأجلِه ولأجلِنا، يا سيّدةَ لبنان.

تقديم

الأب فرنسوا عيد
رئيس جامعة سيدة اللويزة

الشاعرُ، أو صِنْوُه، نبيٌّ يَنطِقُ باسم نفسِه، لا باسمِ آخر. تَحملُه رؤاه في معارجِ الفكرِ والرّوح، بعد أن يَغمسَها في رحيقِ التّرابِ وأناشيدِ الطبيعةِ وصُراخِ العناصر، فكأنّي به في سِفر رؤيا دائمِ التجلّيات!

أحاسيسُه والذكريات،

مَخاضُه في عبورِ الذات،

وشفافيةُ روحٍ وفكر،

تلك هي زوّادته في حَجِّه الدائمِ نحوَ المُطلَق.

هذه القلائدُ عن مريمَ، سمراءِ هذا الشّرق، جعلَت من ابنةِ الناصرة مَقْدَساً، تَجمَّعَ حولَه أبناءُ ابراهيم. فتلك الطاهرةُ التي «ستُطوِّبُها الأجيالُ كلُّها، لأنَّها آمَنَت بما قيل لها من عندِ الربّ» (لوقا ١/٤٥) كما قال الإنجيلُ المُقدَّس، هي نفسُها التي يَضعُها القرآنُ الكريمُ في مَصافِّ الأنبياءِ المُكرَّمين (سورة مريم/١٥)، «كما قالتِ الملائكةُ: يا مريمُ إنّ اللهَ اصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساءِ العالمين (سورة آل عمران/٤١)؛ ففي الإنجيلِ بَشَّرها جبريلُ «بمولودٍ هو ابنُ الله يُدعى»

(لوقا ١/٣٢)، وفي القرآنِ بشَّرها جبريلُ بابنٍ «هو من روحِ الله» وبكلمةٍ منه اسمُه المسيحُ عيسى بنُ مريم وجيهاً في الدنيا والآخِرة ومن المُقرَّبينَ» (سورة آل عمران/٤٤).

هذه الباقةُ الربيعيّةُ من «المريميّات»، التي تنفردُ جامعةُ سيّدة اللويزة بنشرها، هي باقةُ محبّةٍ ووفاءٍ لتلك الأمّ، «المُباركةِ بين النساء» (لوقا ١/٤٢) التي قدَّسَت أرضَ لبنان بمجيئها إليه مع ابنِها يسوعَ، والتي من قانا اللبنانيّةِ أطلَقَت «ساعةَ» يسوعَ قبلَ أوانِها (يوحنا ٢/٥)، فاستحقَّت قولَ أشعيا: «إنّها أُوتِيَت مجدَ لبنان» (٣٥/٢).

فالرهبانيّةُ المارونيّةُ المريميّة تَحملُ اسمَ العذراء؛ وجامعتُها، جامعةُ سيِّدةِ اللويزة، تَعتزُّ باسمها أيضاً، وتحملُه «ذخيرةَ حمايةٍ وقداسة» ...

وهي الجامعةُ تَفخَرُ بأن تُقدِّمَ هذه «الجنَّةَ» من غَرسِ يدِ الأستاذ جورج مغامس بمثابةِ ديوانٍ ثانٍ، يذكِّرُ «بالدّيوان» الذي قدَّمه مؤسِّسُ الرهبانيّة ومِلفانُها العلاّمة المَطرانُ جرمانوس (جبرائيل) فرحات لإكرامِ مريمَ ومجدِها.

بل هذه «الجنّةُ» هي هديّةٌ تُقدِّمُها الجامعةُ لمُحبّي مريمَ، بمُناسبةِ مجيءِ قداسةِ البابا يوحنا بولسَ الثاني الى وطنِ العذراءِ: لبنان.

ألَيسَ لإكرامِ مريمَ بُنيَتِ الكنيسةُ الأولى في العالم، في مدينةِ صور، على اسم «أمّ الله Théotokos»، بعد مَجمعِ أفسُسَ سنة ٤٢١؟!

ثُمَّ أَلَم يصبحْ لبنانُ، لِكَثْرةِ الكنائسِ والمَعابدِ والمذابحِ المُكرَّسةِ على اسمِ العذراءِ، «معبدَ العذراء»؟

فهي باركَت أرضَه وأهلَه، ورافَقَت جماعاته، وأغاثتها على الصمودِ في الإيمانِ وحُبِّ الحريّة، فبادلوها المحبَّةَ، وأسَّسوا على اسمِها المناسكَ والأديارَ والمعابدَ والمدارسَ ومؤسَّساتِ الخدمةِ والرحمة، وتعاونوا، إسلاماً ودروزاً ومسيحيّين، على بناءِ معابدِها عِرفاناً بجميلِها فأصبحتْ عن حقٍّ «أميرةَ البلادِ الأولى والدائمة».

تقولُ الأسطورة: إنّ دموعَ الحُبساءِ في وادي قنّوبينَ تجمَّعَت وسالت في الوادي المُقدَّسِ، فنزلتِ العذراءُ وشَرِبت منها.

هذه الأمُّ، حارسةُ الينابيع، رافَقتِ اللبنانيَّ في صراعهِ مع ذاته، ومع الطبيعةِ والعناصرِ، ومع الغُزاةِ والمُجتاحين، فَكرَّسَ لها حياتَه وحياةَ بنيه، وسَمَّى باسمِها بناتهِ ورزقَه، ووِديانَه وجبالَه، ولم يَبخلْ باسمِها على أزهارِه وأرزِه وينابيعه، فملأت، بحضورِها، أعيادَه وأزمنتَه المُقدَّسةَ، وصارت عوناً وتعزيةً له في حزنِه، وسَنَداً في رجائه، وبهجةً في أفراحه. فعاش معها ليتورجيَّةً حيَّةً في معابدِ هذا الجبلِ وكاتدرائيّاتِ طبيعته، ووَسَمته بحبِّ الخلودِ، هي الأرزةُ الخالدةُ والنخلةُ والزيتونةُ والجَفنةُ المباركة، كما في الكتاب.

في «جنّة مريم» تلتقي قلوبُ كلِّ اللبنانيّين وأفكارُهم، لأنَّ مريمَ هي جنّةٌ، التقى اللهُ فيها أبناءَه البَشَرَ أجمعين، والتقى البَشَرُ بعضُهم بعضاً أخوةً في قُدسيّةِ إنسانيّةِ يسوعَ المسيحِ بنِ مريمَ، التي أصبَحت جسرَ حياةٍ ولقاءٍ بين المسيحيّةِ والإسلام.

كان إرنست رينان يُردِّد: «يتنازلُ اللبنانيّون عن كلِّ شيءٍ، لكنَّهم لا يتنازلون مُطلَقاً عن إكرامِ العذراء، كأنَّ رباطاً أقوى منهم يَشُدُّهم إليها».

فإلى زائرِ لبنانَ الكريمِ، قداسةِ البابا يوحنا بولسَ الثاني، الذي وَضَع حبريَّتَه تحت رعايةِ الأمِّ السماويّة وحمايتها، وأطلَقَ شعارَه الشهير: «أنا لَكِ بكُلِّيَّتي Totus Tuus»، نُقَدِّمُ «جنَّةَ مريم» بما تَحويه من صلاةٍ وشَوقٍ وبخورٍ، وكلُّها بَرَكةٌ من هذه الأرضِ المُقدَّسة، أرضِ العذراءِ: لُبنان.

أميرُ المَحبَّة في كُرةِ الأَرض
يوحنا بولس الثانَي

سعيد عقل

أميرَ المحبَّةِ، في كُرةِ الأرضِ، مـا غَـيْـرُكَ استـلَّـهـا تُـذْهِـلُ
تَـحُـطُّ بِـلـبـنـانَ، قُلتَ يسـوعُ بِـقـانـا، فـهـا أرزُنـا أجـمَـلُ
وما كان يومئذٍ؟... كان أنْ هُوَ ذَيَّـالِـكَ الـمُـبْـهَـمُ الـمُـعْـضِـلُ،
هُـنـا، قَبْل كُـلِّ سوىً، عَـرَفوهُ إلـهـاً! فـيـا مَـن هُـدوا، هَـلِّلُـوا
ومَـعْ وُلْـدِ قـانـا اشـربـوا خـمـرةً بـهـا أُمـنـيـاتُ الـنُّـهـى تَـثْـمَـلُ!

خَـلـيـفَـتَـهُ، رَحَّـبَـتْ بِـكَ مِـنَّـا الصخورُ، النُهورُ، الجَنى الحَيِّلُ!
كأنَّكَ وحدَك تَدري أنِ الحُبَّ يَـبـنـي وأنْ وحـدَهُ مِـن عَـلُ
تَجيءُ إلينا، وقد جُبْتَها الأرضَ، مِـن قُـطْـبَـيـهـا، فـمـا تَـحْـمِـلُ؟
سلاماً؟... ألا بِالسَّلام جُبِلْنا، عـلـى الـمُـعـوزِيـنَ بـه نُـفْـضِـلُ
إلِـيـنـا لَـتَـحْـمِـلُ وجْـهَ الـسـمـا ووجـهُ الـسـمـا خُـبـزُنـا الأَوَّلُ
ألا آمْسَحْ مِن البال أنَّا اقتَتَلْنا، بِها أرضُنا طَمِعوا... خُزْبِلوا...

شَرَوا من يُبَلْطِسُ أو مَن يُرَوِّقُ   أنْ بِـيَـدِ أُخـتِـهـا تُـقْـتَـلُ
وسـتَّـةُ آلافِـنـا مَـحْـضُ حُـبٍّ،   فما هَمَّ ما قِيل أو قَوَّلوا؟...

تُرانا سَنَصْفَحُ؟... مَعْنا ألا صَلِّ،   مَعْنا تُصلِّي؟... السَما تَنْزِلُ
وخُذْ مَعْكَ مِن حُبِّنا، اذ تَخيطُها   الأرضَ، تُعلي بِها تُخْضِلُ
بِلبنانَ ما الحُبُّ – فَتْحُ الوجودِ   ورَدْعٌ وَبَدْعٌ ومُستقبَلُ
يَسوعُ عَبَدْنَاه قبل المَجيءِ،   ألااسألْهُ إيل* إذا تَسْألُ

* إيل إلهُ الفينيقيين، الذي شَعَّت عبادتُه من جبيل، هو القائل: «الحربُ ليست مِن مشيئتي، ازرعوا الحُبَّ في كبِدِ الأرض». وفي اللوترجيّة المارونيّة تَرِدُ إيل بمعنى المسيح بالذّات، لا فقط بمعنى الآب، تقولُ: «ايل إيلوهو تسارِكْ نفسه»، وترجمتُها: «يا إيل، أيُّها الإلهُ الذي ضَحَّى بنفسه».

إشـــارات

جورج مغامس

أنا مَدينٌ بالشُّكرِ للثلاثة:

لنيافةِ الكاردينال، سيِّدنا البطريرك مار نصر الله بطرس صفير،.. وقد بارك هذه الجنَّةَ بكَرَمِ أبوَّته

ولمَقامِ الأب فرنسوا عيد، رئيسِ جامعة سيِّدة اللويزة،.. وقد تبنَّى نشرَ طِيبِ هذه الجنَّة

وللأقلامِ السَنيَّةِ، من عائلاتنا الروحيَّة،.. وهي شجرُ الجنَّة.

وفي الشُّكر، لأذكُر الأرزيَّ سعيد عقل، وبيُمناه بُطرسيَّةٌ للبُطرسيِّ، ... فهو عصفورُ الجنَّة!

.. أمَّا الحكايةُ فَمِن هذا:

كانتِ الحربُ. وكنتُ في رَوحةٍ وجِيئة، بين زوق مصبح وبيروت، بين بيتي والإذاعة – صوت لبنان.

ولأنَّها الحربُ، فإنَّ شَفاعةً واحدةً تَملَّكتني في دروبي: يا سيِّدة الورديَّة بـ زوق مصبح!

ومرَّتِ الأيَّامُ الى سنة ١٩٨٨، المُعْلَنة سنةً مريميَّة،.. فنظَّمتُ، في رحابِ سيِّدةِ اللويزة، سهرةً، أضاءَتها مشاعلُ الكلمةِ الملهَمَة، وعذوبةُ الإنشاد.

ثمَّ انقضَّت يدُ الحربِ من جديد، تقوِّضُ بقايانا..، إلاَّ الايمانَ بأنَّنا شعبُ القيامة!

وفي حركةِ الايمانِ هذه، ومع انفتاحِ الأبوابِ بين الرِّياحِ الأربع، دعوتُ، سنةَ ١٩٩٢، الى «الاحتفالِ بمريمَ أمِّ يسوع، في كنيسةِ سيِّدةِ الورديَّة – زوق مصبح»، فهلَّلنا وأنشدنا. كنّا في جنَّةِ مريمَ حقًّا!

وتوالتِ الاحتفالاتُ، في الكنيسة الأثريَّة البديعة إيَّاها، سنةً إثرَ سنة، بالتَّنوّعِ الغنيِّ البهيِّ إيّاه،.. يَعضدُني الصَّفوةُ من أصدقائي وبَني بلدتي وأهليء وسيِّدةُ الحضورِ في حياتي حبيبةُ والدي وأولادي.

وفي سَريرتي، ليس العملُ بروحِ الدَّعوةِ الى السّينودس من أجل لبنانَ فحسب، بل وفاءُ نَذرِ التّكريم لأمِّ الحماية، وإحياءُ اللّقاءِ بروحِ أمّي – وكم يَتَماهى وجهاهُما في السّرّيِّ من جَوارحي!

إنَّني أؤمنُ أنَّ العامَّ من الخاصّ. فالأنا أصلُ النحن. والذّاتيُّ نقطةُ ارتكازِ زاويةِ الانفتاحِ على الآخر، مهما كانت حادَّةً أو منفرجة.

ولستُ أدري ما إذا كان الصدى الطيِّبُ الذي تَرَجَّعَ في الوَسَطِ الأدبيِّ، والشعبيِّ عامَّةً، هو الذي حَداني لتوسيعِ دائرةِ الاستكتابِ بمريم! – ولا يُعْتَدُّ بالدَّخيلِ لأنّه قليل.

فقد رأيتُ، بَعد حلقات «شعراء في جنَّة مريم»، مَن راح يحاكيها. ففرحتُ. وحدَّثتني نفسي بعَقدِ الهمَّةِ على الذَّهابِ بالفكرةِ إلى إنشاءِ كتاب. وشجَّعَني على الإِقدامِ إعلانُ قداسةِ البابا يوحنا بولسَ الثّاني عن عزمِه زيارةَ لبنانَ.

تُرى ألأنَّ هذا البابا، هو، عندي، يجدِّدُ العهدَ السَّعيدَ الذي انتضاهُ البابا غَريغوريوس الثالثَ عشَرَ.. يجدِّدُ تاريخَ التأسيسِ للنَّهضةِ اللبنانيَّة؟!

أَوَ ليس مَنْ يَعُدْ بالذَّاكرةِ الى القرنِ السادسَ عشَرَ، يَسمعْ تلك الدَّعوةَ المُلحَّةَ الملزِمةَ الى التَّعليم، والتي استتبعتها خطوةُ فتحِ مدرسةَ روما المارونيَّةِ وما أثمرته من رُوَّاد، يَعنينا من أيديهم بالأخصّ: مدرسةُ عين ورقة أُمًّا للمدارسِ الوطنيّة، والمَجمعُ اللبنانيُّ قُدوةً في التَّنظيمِ والطَّرحِ الاجتماعيِّ المتقدِّم، قبل أن يكونَ دستورًا للموارنةِ ليسَ إلاَّ؟!

إنَّ النهضةَ اللبنانيَّةَ تلك، كانت من النهضةِ المسيحيَّة.

واليومَ، لمثلِ هذه النَّهضةِ المسيحيَّة دعا يوحنا بولس الثاني؛ وهي نهضةٌ، لا يمكنُ إلاَّ أن تكونَ رافعةً أو رافدًا في شَراكةِ المسؤوليَّةِ عن بناءِ لبنانَ العدالةِ والوئامِ والأحلام...

فلهذا البابا الذي يُحِبُّ لبنانَ، ويُحِبُّ مريمَ كما يحبُّها اللبنانيّون، قلتُ: يكونُ الكتاب.

وما مِن أحد ذكرتُ له ذلك إلاَّ ورحَّب الترحيبَ كلَّه. وكأنَّما، لا شيءَ أقدرُ على التَّعبيرِ عن الوَحدةِ الجامعة، في ذاكرتِنا الجَمَاعيَّة ووجدانِنا الرَّحبِ الحَميم، كمريم!

فإذا الكتابُ هذا، من كلِّ اللبنانيِّين، خيرُ جوابٍ للّذي، لكلِّ اللبنانيين، قال – وقد عَلِموا: قَدَرُكم أن تَعيشوا معًا!!

.. وها هو يَجيئُهم، في سنةِ يسوع، متحدِّيًا كلَّ الأقدار...

فلماذا إذًا، وانطلاقاً، لانُنَمِّي قِطاعَ القيمِ المشتركة!

أليس أنَّه، في الاستثمارات، الضامنُ الحقيقيُّ لسائرِ الاستثمارات؟!

.. «في جنَّة مريم»، من الأدبِ الإبداعيّ. وكلُّ قلم فيه عَلَمٌ. فهو أشبهُ بسلسلةِ جبالِ لبنان. بل هو كتابُ الفَرَادةِ، كلبنانَ وطنِ الفَرَادةِ، في دنيا العربِ والعربيَّة!

وإنّي لأزْعُمُ أنَّ ثَمَّةَ يوماً، فيه تُنشأُ المباحثُ الجامعيَّة حولَه. وما أكثرَ السُّبُلَ الى مقاربةِ فضاءاتِه!

.. «في جنَّة مريم» مسيرةٌ بدأت بسنةِ مريمَ (١٩٨٨)، وانتهت بسنةِ يسوعَ (١٩٩٧).

هل انتهت حقّاً؟!

زوق مصبح في ٧ نيسان ١٩٩٧

أقـلامُ الجنَّـــة

بالتَّرتيب الأبجديّ

ومَـرِيَميَّــاتُـهـم

يقظة حلم

يونس الابن

يَا مَا أحلامٍ، بتَحْلُمْها
بعِزّ اليَقْظَة ومَا بْتَفْهَمْهَا!
وأحْلاَمْ بتَاخُدْهَا فْتِيلِه
لَسْرَاجِ العُمْر تْقَدِّمْها...
يَعْني:
بتتْبنَّاهَا مْتيله
تْعَلَّمْها وتْعَلِّمْهَا
وتْخَلِّي كِلْمِه بتِرْتيله
تْشُلِّ الفَوْضَى وتْنَظِّمْهَا...

لَمَّا بْرَتِّل «يا أمَّ اللّه»،
بْحِسِّ بنُورِ النُّورِ تجَلَّى...
نُورِ النُّورِ بأَظْلَم ظُلْمه؟

بْيَمْحِيهَا وبِيحُلِّ محَلاَّ...

«يا أمّ الله»!

شُو هالكِلْمه

الأكْبَرَ مِن دُنيانا كُلاَّ!

هَالكِلمِه، هاليَقْظَه بحُلْمي،

شُو فينا نْحَلحِل تا نْحُلاَّ؟!

بيَقظة حُلمِي، بشُوفِ العَدْرَا،

المِنها تجَسِّد رَبِّ القُدرَه!

العَدْرا .

الـ نَقَّاهَا، سُبحَانُو،

يْرَضّعْ إنسَانُو من صَدْرَا...

وبيُوعَى، بْقَلبِي، إيمَانُو

بْهَالْمِنْ عُلِيَاهَا مُنْحِدْرَه

تَا تَعْمَلْ جَوْلِه بلُبنَانُو

الـ عَنُّو نَقْلُو الجَنّة الخَضْرا...

وْبَصْرُخ: «يا أمّ اللّه، حِنّي

وخَلّي عَيْنك عَا هالجنّه...

أو خَلّيني واجِهْ إبنِك،

يُمْكِنْ إبْنِكْ يَسْمَعْ مِنّي...

بِدّك أنّي صَلّي بْصَلّي،

بِدّك، بِرْفَعْ صوتي، بْعَلّي»...

هَوْنِ، بْيَظْهَر ضَاقو خْلاقُو

مِنّي، أللّه، طَلّ، وقَلّي:

«إي، يا إبْني، شُو مْطَاليبَكْ؟»،

قُلتِلُّو: «نَحْنَا مْحَاسيبَكْ،

يَا رَبّي، وشَايف شُو صاير!

كَتّرتِ علَينَا تجَاريبَك»...

قَلِّي: «سْلامِةْ فَهْمَك، يا بْني،

اللُّبنَاني كتيرِ مْتَعّبني...

بْيَغْطُس بالسَبْعَه ودِمّتْهَا

وبِيْقُلَّك: «اللّه جَرّبْني»...

قَصْدي: خلَقت الدُّنيا كُلاَّ
متْلِ القَاعِدْ عَمْأتْسَلَّى...
لَكِنْ أنتُو، اللُّبنَنْجيِّه،
قَدِّ الدُّنْيا عْجَقتُو اللّه....

وْلَمَّا وْقَعتُو، لَيِّي رْجَعْتُو؛
رْجعتُو ضَيَّعتُوني وضِعتُو:
قَسَّمْتُوني، قَزَّمْتُوني،
وَزَّعْتُوني وْتوَزَّعْتُو...

صايِرْ كُلّمِن بِدُّو ياني
أمْشي خَلْفو عالعُمْياني...
وْيقَوّلني شي ما بْقُولُو
ويسَمّي دْنَايَاتُو دْيَانه!...

وكُلْمِن، من جِهّة، يصَلّيلي
ويْجَرّب يُعطيني مْتيله،
ويطْلُب منّي الموتِ لْخَيُّو

بآيِه منْقَّايِه وْتَرتيلِه...

لَوْلا نُتفْه، نَسَّيتُوني
أهْتَمّ بْبَاقي المَسْكُونِه...
ولَو مَاني أللّه وْما شاللّه،
لَبْنَنْتُونِي وْجَنَّنتُوني»...

قُلتِلُّو: «بِدَّك تَسْمَحْلي»...
قَلِّي: «تْفَضَّلْ جُودِ، اشْرَحْلي
وْفَهّمْنِي: شُو دَخَّل اللّه
بْغَطْسِة لبنانْ بْهَالْوَحْلِه؟

هَالْ «لُبْنَان» خْلَقْتُو أَخْضَرْ،
مَكْسي بالأندَى وبالأنضَرْ...
لَمَّا خْلَصتُو من تَهْديمُو
رْجَعتُو لْنغمة «اللّه قَدَّرْ»!

نْسيتُو شُو جَنَّيتُو؟ نْسيتُو
اللُّبناني، بَرّا، شُو صِيْتُو؟
سْكَرْتُو من زبيبه وْبِطَرْتُو
ولْهَلأً ما عْرِفتو صْحيتُو!

وْطَابِتْ للسَّكرانِ السَّكره
مَا فَكَّر أنُّو في فِكْرَه.
لا «مْبارِحْ» خاطِرْ عا بالُو
وْلا بْيَسْأل شُو جابي «بُكْره»...

وْهَلأ، قُلّي، شُو مطلوبَكْ؟
طَبْعاً مش نادِم عا ذْنُوبَكْ،
أو جايي حَتَّى تستَغفِرْ
والخير يْدَفِّقْ عا درُوبَكْ...

جايي تطلُب أمحي «خَصْمَكْ»
والعِزِّه طَوِّبْها بـ إسمَكْ،
والقدره الفيِّي، غَرْبِلْها

وْدَوْبلْها وَنزّلها بجِسمَكْ...

و «خصمك» جاني، بطَّنه ورنّه،
طالب «أمحيك» وْمُتْمَنّي...
مين المنكُم بسمَع منُّو؟
ومين المِنكُم سامِع منّي؟!

يا إبْني، اللّي بدّو يْصَلّي،
بدّوْ لأَعلَى فوقِ يْعَلّي...
وْيَفْهَم أنُّو الله مْحبّه
ما بْيَفْرِق مِلّه عن ملّه...

صَلّي بْصَفحكْ وِبْغُفرانكْ
مَهْمَا يْسيئُولَك إخوانَكْ...
حَلّي المُرّه بكلمة حُلوه
وْخَلّي إيمانَك لبنانَكْ»...

... ومتل المتخانقِ مع حالي،
مِن هالحُلم الواعي بصْحَا

عَمجَاوِبْ حالي، عالْعَالي،

لِكِن، هالَمَرَّه، بالفُصحى:

- أَهْلَ الدُّنيا، ما أجهلَكُمْ!

هل آنَ لنا أن نَسألكُمْ:

ما معنى الدِّينِ وما الدُّنيا؟

والحَقَّ الحقَّ نقُولُ لكُمْ،

أَهْلَ الدُّنيا، ما أجهَلَكُمْ؟

ألدِّينُ (تعالى الدّينُ!) ضياءٌ

بَدَّدَ ظُلمَةَ دنيانا

لِيُنوِّرَنا ويُبَلْوِرَنا

ويُخَفِّفَ ثِقْلَ خطايانا...

فأرانا اللهَ الحَقَّ:

.... هُدًى،

فَأباً، فرحيماً رَحمانا،

أُمَماً وشعُوباً أَرسلكُمْ

لِيَقُولَ الحقَّ الحقَّ لَكُم....

وَالدُّنيا؟ سَمَّوها «الدُّنيا»

لدَنَاياهَا وتَدَانيها،

فأردناها وعَبَدناها

وأسأنا فَهْمَ مَعَانيها...

ألدُّنيا

... (درباً صَوْبَ عُليً)

يَتَمَجَّدُ فيها بانيها،

شُقَّت درباً لتُغربِلَكُمْ

وتَقُولَ الحقَّ الحقَّ لَكُمْ...

دُنياكُم دربٌ صوبَ عُليً

وَالدِّين دليلُ مَسيرتِكُمْ،

وَلأهلِ الحَربِ، طَوَالَ الدَّربِ،

نَقُولُ:

... «بِحَقِّ خَميرتِكُمْ،

خَلُّونا نسمعُ صوتَ الحقِّ

وَنُسكِتُ ضَجَّةَ سيرتكِمْ،

كي ننسَى شرّاً أرسلَكُم

والحقَّ الحقّ نقولَ لكُمْ»...

مِنْ هَوْنِ، منْرجع للعَدْرا

المِنها تجسَّد رَبِّ القُدره،

العدرا النقّاها، سُبحانُو

لإنسانُو يُرْضَعْ مِنْ صَدْرا...

ومنقُلاَّ تْقُلُّو:

... بلبنانُو،

جُنّ جنُون الأرضِ وَغْدرا...

لَكِنْ، ما تْزعزع إيمانُو

بالعَدْرا وبالجنّة الخضرا...

سيّدة الورديّة – زوق مصبح

أيّار ١٩٩٣

صعودٌ الى سياجك

شوقي أبي شقرا

أرفعُ أصبعي بين الجموع، بين البشرِ من حواليك، وأنا مدركٌ أنَّكِ تنتبهين لي، وأنَّ هذه اللحظةَ الصغيرة، هذه العصا القصيرة، هذه الزهرةَ التي هي عاليةٌ قليلاً فوق الرؤوس، أنتِ تبصرينها ولك الرؤيةُ الواسعة جداً أكثرَ من المحيطاتِ والكواكب، لتكوني عارفةً مَن هو الذي في عمقِ رجائه يريدُك، وفي أغوارِ مأساته يَنظرُ نحوَك ليحصلَ على صورتِك في عينيه، في مداهُما الأشملِ، ولا يَكتفي بذلك، بل يُحسُّ بالامتلاء، وبأنَّ العطشَ هَوَى من ذاته الى البئرِ العميقة، وأنَّ الصلة قامت بين التلّة والوادي، بين العودِ وقشرته، وأنَّ النعمةَ سارت في العروقِ حتى لأكادُ أتوهَّجُ، من ضوئك، من قنديلك، من ثوبك، من يدك، من كلِّ العوالم، كلِّ العناصر. ولا أستثني الآخرين، ولا أقولُ لك أنني الوحيدُ، اليتيمُ، الثاكلُ في حالتي. فأنتِ، من خلال الصليب، من خلال البشارة والعلاقات السماويّة البعيدة، السائرةِ في صُلب الخلاص، لك الشفافيةُ ولكِ العذوبةُ الكاملة، ولكِ مشاويرُك إلينا، لأنَّك الأمُّ، لأنَّك من أنتِ كما شاءَك ابنُك أن تكوني.

وأَرجِعُ الى صورتك، الى أيقونتك، وأنتظرُ الأشارةَ من بهائك، من الغبطةِ الأخيرةِ المشتهاة، فأسيرُ نحوَك وأقتربُ أكثرَ من منزلك،

لأعزفَ على قيتارتي أشياءَ ممًّا في مهجتي من التعابير، وأدحرجَ اليك قلبي منفرداً ليصلَ الى السياج، وإلى الوردِ الذي نَبَتَ بدلاً من الشوك، وأرغبُ أن تكوني الدليلَ له الى الساقية، الى المكان الذي يأخذُ منه الرسالةَ، والكلمة التي تُنقذُ من الخطأ، والأشارةِ الى الغد، والعلامةِ على أنَّ الأزمنةَ لن تكونَ أصعب، وأنَّ من هو في الطريقِ الخشنة، في الدروبِ الوعرة، لن يندمَ، لن يخافَ، وأنْ لا ذئبَ سوى الذات، هي تكونُ أوَ لا تكون.

وأدحرجُ قلبي اليك، وأتخلَّى عن هذا الثمينِ لك، ريثما يَكتنزُ، ويَتعلَّمُ المحبّةَ والطُّهرَ من الآثام، ويعبّئُ من ينبوعِك، ما يكفيه للأجل، لهذا المَسَار هنا، للأرضِ المتعبةِ والمثقلة بالتجاربِ حتى لَكأنَّ الخيرَ امتزج والشرَّ فما عُدْنا نَعقِلُ أينَ هذا من ذَاك، وأينَ نخطو، أيُّ مجالٍ لنا، وأيُّ فسحة هي الأعلى والأفضلُ لنكونَ فيها، ونسيرَ الى الهدى، الى الحقّ. ونطلّبُ منكِ أن تعطينا العينين النظيفتين لنرى الخِصبَ كم هو كذلك، ونرى القحطَ وكم هو كذلك، وما زلتُ استعملُ كلَّ الصلوات لك، لا لغاية، لطلبٍ، لسؤالٍ، وأنّما للصعودِ الى سمائِك، الى فضائك، ولو بضعةً سنتيمترات.

ولستُ أرفعُ أصبعي مجّاناً، ولا أفعلُ لأكونَ الشاطرَ، وأنّما، عند الدينونةِ، سأدعُ الصفوفَ تتقدَّمُ، وأنا في المؤخِّرة في الوراء، في الحيِّز الضيِّق، وأدعُ الجميعَ يَسلكونَ الجبلَ اليك، وأكونُ في النهاية، فقط ألتفتُ صوبَك لأتعزَّى، لأرتعشَ ببعضِ الندى، وأسكبَ على رأسي

الـمـعـمـوديَّـةَ، ولـن أسـألك أيَّ سـؤال، وانَّـمـا أنا حيث مَدَارُك، حيث كوكبُك، ولن أطرقَ البابَ، وأنَّما أذكرُك في خطابي، في أسراري، مقتنعاً بأنَّك أمّي الى الأبد وفي أياب أكيد إليك، الى دفئك، تاركاً حَطَبَ الغابات، ومعاطفَ الفرو، والحيوانات اللبونةَ، منصرفاً الى الوهج منك، من هنا أبدأُ دائماً كلَّ مغامرة، كلَّ رهان، ولي أمنيةٌ واحدةٌ أن أتعرَّفَ الى الملاك الذي نزل من لَدُن الربِّ، وبشّرك الى هذا الشخص المبارك، وله جناحان، وله بياضُه، وله هوّيتُه. ولي أمنيةٌ ثانيةٌ، يا أمَّاه، أن أكونَ الرسولَ، وأن أكونَ واحداً في سلك النصاعة والرحمة، وأن أنقلبَ طفلاً لاعباً في كرة الفردوس.

نيسان ١٩٩٧

نجمة الزمان
نجمة الأمان

جوزف أبي ضاهر

اندق الجرس
ركضو الاولاد، جمعو ايدين ع بعضن، قدّمون صلا للعدرا.

صلاتن؟
ما كانت تشبه صلاتنا، ولا مكتوبه بكتب.
مكتوبه بقلبن، ملوى عينين.
اتطلعو بتوبا، اللي بتشبهلو السما، وقالولا:
منحبِّك

... وبقيو يتطلّعو فيا، وما عادو قالو شي.
اللي أكبر منن، فاتو ع الكنيسه وتعبانين، قدما حاملين هموم وأمنيات.

اندق الجرس مرّه تانيه.
وصلو اللي أكبر أكتر، كان وجُّن عابق بيشبه المسبحه الحاملينا

بإيد، وبالإيد التانيه حاملين السنين عكّاز يتكو عليه.

صار العكّاز وحدو يعرف فيّة السنديانه، طريق الكنيسه، والتلويح بالهوا، مرّه للسلام ومرّه للغضب.

... واندق الجرس مرّه تالته.

تضوو الشموع، عبق البخور:

«السلام عليك يا مريم، يا ممتلئة نعمة...».

العينين تسكّرت ع المطرح، وانفتحت ع كتاب الزمان:

يمكن متل هالّليله، من ميّات السّنين، كانت السما لابسه فستان العتم، والخوف عميمشي ع الأرض، دعساتو مسموعه... تضوّت نجمه، نفتح بالعليّه الزرقا شبّاك، هوّي العلامه لزمن جديد.

ع أرض الشرق خلقت طفله، ببساطة الخبريه.

فرحو اللي شافُوا، وما عرفو إنّو هيي الفرح الأزلي، إللي تتوجت من ولادتا سلطانة السماوات والأرض.

اختارا الرّب تكون إمّو،

كنيسة الروح القدس،
أوّل العيله المسيحيّه.

... ووقعت النجمه ع كفّا. وِسِعْ الأمانْ، انزرع بالقلوب: رجا، محبه، وفرح الحياة.

يا مريم

ما أعظم الأمومه بعدك.

ما أسعد الأطفال اللي انعطالن ملكوت الأرض بفضل الإم، وبفضلك ملكوت السما.

ليلة الْـ خلق يسوع، دلّيتينا ع النّور. صار وجود الإنسان فرح الوجود.

تجدّد وجّ الأرض.

وليلة اللي طلبتي من يسوع يحوّل المي لخمر، تحوّلت الحياة:

صار المستحيل ممكن.

صار المدى رفّة عين.

صارتْ حبّة القمح سنابل الإيمان.

يا مريم

اختارك الرّب طريق بين السما والأرض.

بين الأرض والسما

تجسّد فيكي. صار إنسان متلنا.

انتي إمّو، وانتي إمّنا.

ما أعظم الإنسان يصير قريب من الألوهه... حتى الأخوّه.

يا مريم

بوجودك انكسرت كلّ الفروقات.

تساوى الأبيض بالأسود

الغني بالفقير

الضعيف بالقوي...

تحرّر الإنسان من إنشدادو للأرض.

اتطلّع صوب العالي، وعي الفجر بعينيه.

مِشِيْت الشمس هيي وخيال الإنسان الْـ ما عاد انسأل:

– اعطيني ايدك وتعبك وجسدك...

صار يسمع: «اعطيني قلبك».

اندقّ الجرس.

تطّفو الشّموع، خلص البخور.

اللي راحو... راحو.

بقيو عينين الزغار معلّقين نجوم ع توب مريم، اللي بتشبهلو السما.

... وبقي الصوت الطالع من القلب:

مِنحِبّك

سيِّدة اللويزة – زوق مصبح

أيّار ١٩٩٤

وجّ الحبّ
وجّ السما

جوزف أبي ضاهر

يومين، وبيخلص نوّار، الواقف بنصّ الربيع، زنبقه بيضا ع إسم مريم.

بيخلص نوّار؟
بيخلص الربيع... وما بيخلص الملقى بينّا وبين مريم.
بكلّ فجر بيتجدد، بكلّ مَسويّه، بكلّ ترتيله، بكلّ صلا، بكل فعل حبّ منْعيشو بحياتنا اليوميّه.

يا مريم
اعطينا القدره على مواجهة الحياة بثقه.
على مواجهة الصعوبات بقوّه.
على مواجهة الحزن برجاء.
على مواجهة الفرح بهدوء.
على قبول النجاح والإنتصار بتواضع.
... ونضلّ أغنيا، بالبساطه الْـ بتخلّينا نتطلّع بكل النّاس، النّاس اللي قراب منّا، والنّاس البعاد.

نتطلّع فيُن بإحترام وحب.

اعطينا القدره نعترف إذا أخطأنا، ونغفر ونسامح إذا أخطأو.

ساعدينا نفهم إنّو الحب بيخلق الحبّ... والبغض ما بيخلق إلاّ البغض... وبلحظه النهار بيخلق، وبلحظه بينتهي النهار والعتم بياخد مطرحو... وإنّو ما في إنتصار بيدوم، والحقيقه ما لها إلاّ وجّ واحد، بس كلّ واحد منّا عمبيشوفا بالوجّ إللي بيشبهلو.

يا مريم

اعطينا نكون بجانب الحقّ.

حرّرينا من تراب الأرض،

من دهب الأرض،

من سلطان الأرض.

وساعدينا ت نحتفظ بتلات نِعَم:

نعمة الإيمان

نعمة الصدق

نعمة التواضع.

يا مريم

أطفالنا الْـ بيصلّو: منحبّك، وبيعرفو إنّك إمّن الْـ بتحبُّن، وما بترفضلُن طلب، ارسميلن البكرا ع لون عينين، ويبقى قلبُن متل هلّق، وما ينعجق بالقليل وينسى الكتير.

شبابنا وصبايانا ما يبعدو عن خيالك... يضلّ مرافقن.

اعطيُن يعرفو النّور الْـ بيضوّي الأرض من النّور الْـ بيضوّي القلب.

الْـ وقفو بفيّة العمر، اعطيُن بآخر المشوار يلمحو وجِّك.

الشعرا، الكتّاب، الفنّانين، اعطيُن يكونو الجمال الْـ بيمجّد الحقّ.

المَرضى اعطيُن الشجاعه يقبلو الألم برضى.

المسافرين اعطيُن يرجعو ع غمرة الحنان.

الرعيان اعطيُن يحمو القطيع من الديب، و... منن.

عَلّي قناطر البيوت...

باركي العِيَل، واجمعيُن خميره مقدّسه لوليمة الحياة.

يا مريم

يا وجّ الحبّ
يا نجمة الصبح
يا وجّ السما.

سيّدة اللويزة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٤

مريمُ أُمُّ يسوع

د. ربيعة أبي فاضل

بأيّ عطرٍ أُلوِّن الحبرَ لأكتب
بأيّ نَهرٍ أُعمّدُ الرِّيشةَ لأقول
بأيّ جَمرةٍ أُشعِلُ الشّفَتَين لأُصلّي
بأيّ زيتٍ أغسلُ الوجهَ لأرى
بأيّ نورٍ تُسافرُ العَينانِ لأصل؟!

وماذا يقولُ التُّرابُ عَنِ الشَّمس
ماذا يقولُ السَّرابُ عَنِ الرُّوح
ماذا يَقولُ السُّكونُ عَنِ النَّشيد
ماذا يقولُ الْقلقُ عنِ الْغبطة
ماذا تقولُ العتمةُ عَنِ الشَّعشعات؟

وكيفَ يُنشدُ الطِّفلُ ألحانَ البهاء
كيفَ يَرسمُ قطعةً من سماء

كيفَ يَحضنُ بالكلماتِ بهجةً كونيّة

كيف تُوحي الهمساتُ بأميرةٍ عُلويَّة

كيف يُناجي العَجزُ كمالَ الألوهيّة؟

يا أمَةً من نور

يا انحناءَةً من شُموخ

يا جَسَداً من مُعجزة

يا صوتاً من صمت

يا أرضاً مِن سماء

يا خَيمةً من وفاء

يا بلاغةً مِن مَهد

يا نخلةً من نِعَم

يا طفولةً مِنْ عفّة

أنحني في ظلالِ جلالِكِ حتّى التّراب!

يا مريمُ

عبدالله الأخطل

للكِ الــوردُ يَـبسِــمُ والأنــجــمُ
وقــلــبي الــمـتـيَّـمُ ... يـا مـريـمُ
تــبــاركتِ، قــولــي! فـيـورفَ قَـفْـرٌ
-كــأنَّ الــرَّبــيــعَ - وَيــنْــدى فــمُ!
وَيَـبْـيَـضُّ غـيـمُ السَّمـاءِ يُـسلسـلُ
ضــوءاً - فــلا شــاسعٌ مُـظْـلِـمُ
وَيـغـمـرُ نـهـرُ الـنَّدى حـقـلَـنـا
فـيُـعـطـي ولا يـنـتـهـي الـموسمُ!

مـن الأرض، مـن راجياتِ الـلـيـالـي
أُصــلِّــي، أهــزُّك، أســتــرحــمُ!
سـألـتُـكِ: هُـلِّـي بـأرضـي، وغُـلِّـي
بــروضــي فــيـسـتـعـجـلُ الـبُـرعـمُ
لأنتِ الـجـمـيـلـةُ ... دَلَّ الـجـمـالُ
وقـــال: يـــدُ الـــلـــهِ لا أكــرمُ!

إجعلي الحجرَ في ضلوعِنا قلباً

سليم باسيلا

يا عطراً تَعَطَّرَ بمَسٍّ يديك.

ويا حُسناً ليس لنا مذهبٌ الى حُسْنٍ سواه في كلِّ ما وَسَعتِ الدنيا.

ويا مليكةً على مُلْكٍ حَسْبُنا منه أنّنا مُلْكٌ لكِ.

ويا طِيباً، ويا سطوعَه ووهْجَه، ويا ألقاً ليس شيئاً في الدنيا، بل هي الدنيا شيءٌ منه.

ويا ضَوءاً لا يكتفي من الضوء بما ينتهي مداه، دون ما لا ينتهي.

ويا أنسَ عيونِنا على أرضٍ ثارت بأهلها كمثلِ رمادٍ اشتدّت به الريحُ في ليلٍ عاصف.

ويا فجراً يختبئُ في فجرٍ يُطِلُّ على فجرٍ تمشي الجبالُ الى لقائه.

ويا لطفَ غصنٍ طريّ على لطفِ غصنٍ طريّ.

ويا سيّدتي.

جديدٌ وجهُكِ في كلّ نظرةٍ اليه، ومباركٌ هو في كلِّ دُنُوٍّ منه، ورائعٌ هو في إحسانه وحنانه.

كيف أزعُمُ أنّي أكتبُ فيك، وأنتِ فوقَ كلِّ كلام، وبُعْدُ كلِّ صوت له، وصدى؟

ليس مِنّا، يا سيّدتي، إلاّ طاعةٌ خالصةٌ لك، ومحبّةٌ موقوفةٌ عليك، يا قُدرةً علينا، وقُدرةً فينا.

ويا سيّدتي.

النجمُ إزارُك، والشّمسُ رداؤك، فإلى رحمتِك بَسَطَتُ يدي، وبكَرْمِك أعلقتُ كفّي.

إجعلينا في مكان الرّضى من نظرك.

إجعلي ان نَغْلُبَ باسمك الدنيا، فلا نَمدُّ عيناً إليها، ولا نَقعُ فيها، ولا توقِعُنا بها.

إجعلي الحجَر الذي في ضلوعنا قلباً يَشغلُه فضلُك عن كلّ فضل.

إجعلي أن نعيشَ في ما يَعيشُ به اثنان في قصّةِ سلامٍ لا تنتهي.

والخيرُ كلُّه بكِ، والأمرُ لكِ، والسلامُ عليكِ يا مريم.

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّـار ١٩٩٣

قصيدة مريم

شوقي بزيع

تنأى الوساوسُ بي
وَتُودعُني السَّماءُ رفاتَ نطفتها
وَتُنكرُني الغيومُ
وحدي على الصحراءِ جاثيةٌ،
أضمُّ يدي الى صدري
وأُفردُها أمام الرمل ثانيةً
فتندلعُ النجومُ
وأرى دمي سُحُباً
تطوفُ به ملائكةٌ على الموتى
فينتبذون أعضائي
وينتشرونَ من حولي كما لو أنّ أحزاني قيامتُهم
ووحدي لا أقومُ
تقتاتُ من جسدي الفصولُ جميعُها

وأنا أصومُ
ماذا فعلتُ لكي تسمِّرَني الرمالُ
على صليبِ شكوكها
فيكونَ لي ولدٌ ولم يَمسَس دمي بشرٌ
وأيَّ خطيئةٍ صنعتْ يداي
لكي تنصِّبَني الهمومُ
أمّاً على الأحزان،
تجري جنَّتي من تحت أقدامي
وفي قلبي جحيمُ
لم يُبْقِ منّي اليأسُ ما يُفضي الى امرأةٍ
ولا نُوديتُ من أحدٍ سوى الأشباح
كي ألتفَّ حول جناحِ أسئلتي
ولكنّي لشدَّة ما انحنيتُ تَوَكَّأتْ روحي عليّ
فَمِلْتُ نحو الدّمع
حتى صار فاكهةَ النساءِ
وصار مجدي كلُّ مجدي
أنني أهَبُ الخليقةَ

ما تهزُّ به نخيلَ الرّوح بعدي
كلُّ النساءِ يُضِئْن من جسدي
شموعَ جمالهنَّ المشتهى
وأذوبُ وحدي
وأنا قسيمةُ كلٍّ من حُملوا
على خشبِ الصّليب
وكلِّ جرحٍ لا يسيلُ
وأنا التي استلقتْ أمامَ اللهِ
كي تَفتضَّها الرؤيا علانيةً
ويدركَها مخاضٌ مستحيلُ
وأنا التي ضاقت بها الأعضاءُ
فانقسمتْ الى جسدين دون مشيئةٍ منها
وأينع صدُرها قبل الأوان
وشقَّها صوتٌ يقولُ:
«هي نخلةٌ، هُزِّي إليكِ بجذعها»...
وهززتُ،

لكنْ لم أجِدْ في الأرضِ متَّسعاً لقبرٍ واحدٍ
لأسلِّمَ الموتى مقاليدَ القيامةِ
قبل أن يَرِثَ الذبابُ بهاءَ روحي
لم أمتثِلْ للصوتِ
وهو يَصبُّني رُطَباً على الكثبان
بل أغلقتُ تابوتَ الحنين عليّ
واستَنْبَتُّ من طينِ الأنوثةِ
ما يُعيدُ الأرضَ أطهرَ من دموعِ الأمّهات
وحين فاجأني الملاكُ
جعلتُ من جسدي ضريحي
ومحوتُهُ حتى غدا زيتاً
تطهِّرُ فيه أمواجُ الخليقةِ نفسَها
وجبلتُ من ألمي مسيحي

تنأى الوساوسُ بي
كأنّي وردةُ الدنيا الأخيرةُ،

كلّما أوشكتُ ان أذوي تحالفُني يدايْ

ضِدَّ الرمال،

وفتِنتي مخطوبةٌ لمن اقتَفوا

عُشبَ النبوءةِ في خُطايْ

لا ريح تَدفعُ صرختي نحو السّماء

ولا كواكبُ تَدَّعيني

كي أقايضَها بأهدابي وأُوْدِعَها رؤاي

لَكَأنّني إرْثُ النّساءِ من العذابِ الصِّرف،

حِصَّتُهُنَّ من ضلعِ الخطيئةِ

وارتعاشَتُهُنَّ عند الفَقْدِ لا فوقَ السرير،

كأنّني كَفَّارةُ الشهوات

تُثقلُني ويُضرمُها سواي

وليس لي مما جَنَتْ حوَّاءُ إلا الشّوك

أمَّا الشَّهدُ

أمّا لسعةُ النَّهدِ الجريئةُ في الظلام

فللنساءِ الأخريات،

أنا نصيبُ المريماتِ من المراثي
والأشدُّ نضارةً من أن تطوِّقَني ذراعٌ
أو يلامسَني أحدْ
أنا مريمُ المتوحِّدةْ
بعذابها المرفوعِ مثل ذبيحةٍ
فيما وراءَ الجنس،
والمتجدِّدةْ
في صورة الرغباتِ
وهي تَصُبُّ في المرآةِ لا في اللَّحم،
والمتردِّدةْ
بين الصِّفاتِ وضدِّها
لم يَجرِ فيَّ من الحرائقِ غيرُ سيفٍ لم يَهَبْني
نَصْلَهُ، ومن الجسدْ
إلاَّ رذاذٌ لم يُصِبْني
وأنا الشَّهيدةُ بين نارينِ اثنتين:
أنوثتي وصليبِ إبني
وأنا التي انتبذتْ براعمَ لم تقلِّمْها يدانِ

ولم يَسِلْ صدري نبيذاً

كي يصدِّقَني العنبْ

أنا لستُ أرملةَ اليقين لكي تطاردَني المخاوفُ

أو أُزَفَّ بلا سببْ

لمخالبِ الذكرى،

فيا سُحُبُ اعتليني وابتلعْني يا دخانُ

ليعودَ جسمي موجةً في بحر خالقهِ

وسهماً لا يشيرُ إليه قوسٌ

أو يحالفُهُ حصانُ

«هي نخلةٌ، هزّي إليكِ بجذعها»...

قال الملاكُ،

وَنَصَّبَتْني الأرضُ سيّدةً على ما أسودَّ من أشباحها

ونظرتُ، لم يكنِ المكانُ

إلاّ تعاقبَ صرختي

بين الأسرَّةِ والنجوم،

ولم ترفرفْ فوق سطح الغَمْرِ

غيرُ حمامةٍ زرقاءَ تخترقُ الزمنْ

وتُحيلني أمّاً،

فما ذنبي إذن!

لتعلّقَ الدنيا خطيئَتها على امرأةٍ بمفردها

وتدفعَ من أنوثتها الثمن

ما ذنبُ مريمَ أن تُحَمَّلَ مرَّتينِ

جريمةً لم ترتكبْها

ما ذنبُها في أن يكونَ اللهُ والإنسانُ

مختلفَينِ حول طبيعةِ التفّاح!

هي لم تُخَيَّرْ بين عفَّتها وشهوتِها لتختارَ الصّليب،

بل الإلهُ اختارها

لتكونَ مختبرَ الألوهةِ في تجسُّدِها

وأَوْلَدَها إلهاً آخراً

لتصيرَ أمَّ اللهِ وابنتَهُ وزوجتَهُ

ولو تُركَ الخيارُ لها لاختارتِ النسيان،

ليت الغيمَ أعلى من جدار الأسئلةْ

لتصيرَ مريمُ غيمةً،

ليت ابنَها غيرُ المسيحِ لتفتديهِ،

ليت أباهُ غيرُ أبيهِ

لكي تقولَ له: «صباح الخير»،

وهو يقلِّمُ الأزهارَ عن زَغَبِ ابتسامتِها الخجولةِ،

أو تُعِدَّ له السرير

لكي يطوِّقَ جِيْدَها بالفُلِّ

وهو يعودُ من تعبِ النهارِ الى وسادتها

وحين ينام

تغفو مثلَ رمَّانِ السُّهولِ على يديهِ

ليت السَّماءَ تعيدُها محواً

لتنشىءَ من ذُبالةِ جسمِها جبلاً من الأصداءِ

يَعصِمُها من الذكرى

ويَحمِلُها إليهِ...

ذَبُلَت نوافذُ مريمٍ

ونجومُها بَليتْ من التكرار

والصَّلواتُ شاختْ فوق جبهتها
وجذعُ النخلِ شاخ،
ولم تجد حَبْلاً
تعلِّقُ روحَها الثكلى عليهِ
تمشي بمفردها وراءَ جمالِها المهدور،
عاصبةَ الجبين
كأنَّها وظلالَها شبحان لامرأةٍ سواها
أو كأنَّ الأرضَ تصنعُ من خطاها
مذوداً لمسيحها التّالي،
هي الأمُّ الحزينةُ ما بكت أمٌّ على ولدٍ
وما شُقَّت على قبرٍ جيوبُ
أبداً يكرِّرها الغروبُ
مع كلِّ شمسٍ جرحُ مريمَ يرتدي قمصانَه الحمراء،
مع كلِّ امتحانٍ للخريفِ له شحوبُ
منذورةً لحنانها الأبديِّ
يرشحُ وجهُها زيتاً على المرضى

وَأَخْيلَةً على العميان

ثمّ تغوصُ في دمها البتولِ

فلا تُكَلِّمُ أو تُكَلَّمْ

لَكأنها ندمُ النساءِ على جمالٍ ضاع

أو زمنٍ تَهَدَّمْ

تتصبَّبُ الأجراسُ من أوجاعها

فتسيلُ غَصَّتُها ابتهالاتٍ

توزِّعُ نفسَها بين الأجنَّةِ والنعوش،

وفي قرارةِ كلِّ عرسٍ

أو مرارةِ كلِّ مأتمْ

تَنْشَقُّ صورتُها الى طيفينِ،

كلٌّ منهما وجهٌ لمريمْ

سيّدة الورديّة – زوق مصبح

أيّار ١٩٩٤

سيّدة البوّابة*

د. إلهام كلاّب البساط

عندما أقمتِ بابَك قبل جدرانِك
لتستعجلي لنا آسمًا، ولنا موعدًا
عندما محوتِ جدرانَك
كي لا يحبسَك آسمُك
عندما كرّمتِ سورَ المدينة
لأنَّك بابُه...
عندما هزأتِ من سورِ المدينة
بأَنْ كنتِ الباب...
عندما استبدلوا نجمةَ الصباح بك..
جثا الجميعُ.. تضرّعوا إليك.. ودَعَوك..
سيّدةَ البوّابة!
سيّدةَ البوّابة!
حتّى أولادُهم وأولادُ أولادِ أولادِهم...

ولو أصبح السّورُ حُلُمَ تاريخ/ والبابُ خشبًا مشقّقًا بالشّمس والبحرِ/ والمفتاحُ غُصّةَ ذكرى!

حتّى أولادُ أولادِهِم

ولو أصبحتِ حجارةً مقتطعةً من القلعة/ وقنطرةً تَختتمُ السّوقَ/ وطريقًا مندفعًا نحو الموج!

أنا سيّدةُ البوّابة!

قنطرةٌ تكسرُ شمسَ النهار

حفيفٌ من الشجر المتسلّق.

قرميدٌ أحمرُ يزخرفُه عقدٌ من النّمل الأليف، وزهورُ عطرٍ تعيشُ من قوّةِ حياتها.

أنا سيّدةُ البوّابة.

أنا احتضانُ قنطرة/ مناجاةُ نور.

أنا اطمئنانٌ يَرْتَعُ النّاسُ في أرجائه/ ووجعٌ يعلّقونه بأحرفٍ سريّةٍ على صدري.

أنا الإقامةُ والانتظارُ والثّبات، وكلُّكم ترحلون!

أنا تاريخُ رحيلِكم، وتاريخُ عودتِكم، وتاريخُ نهاراتِكم.

إنّه وقتُ الصباح

سيّدةُ البوّابةِ تشرّعُ قلبَها نحو **السّوق القديم**

بوّابةٌ تَنفتحُ على الحياة

خَطواتُ النّاسِ المتعجّلين الى عملهم تَرِنُّ على حصىً مرصوفةٍ لا تزالُ تحملُ هدهدةَ الموجِ وذكرى زوارقِ الصيّادين

سماءٌ زرقاءُ تربطُ فسحاتِ افتراقِ قرميدِ المحلاّت..

باعةٌ تَلعبُ النَّردَ تحت تَذكاراتِ السُّيَّاح

ورائحةُ قماشٍ وجلدٍ وصُوفٍ وصَعترٍ وخبز

وقرشٌ قليل/ وكنوزٌ كثيرة!

وتحيّةٌ الى سيّدةِ البوّابةِ من كلِّ باب

يدٌ مَعْروقةٌ مندبة لسكّافٍ قديم، تلتمسُ الحائطَ، تَغطُّ في ماءِ الجرنِ المقدّس، تتحوّلُ الى نعمةٍ.. وتقدّسُ يومَها..

وتفوحُ رائحةُ بخور!

إنّها سيّدةُ البوّابةِ تخرجُ من الطقوس، تنتقي طقوسَها.. تختارُ الأطفال/ تعمّدُهم بمطرِ السّماء وزَبَدِ البحرِ وماءِ الدّمعِ وزيتِ القداسة!.. ومن بابِها، تخرجُ أمّهاتٌ جميلاتٌ في ثوبٍ مخرّمٍ أبيضَ، ونعمةٌ بين اليدين تجعلُ من الجبينِ مسرحَ غزلان!

إنّه وقتُ الظهيرة

سيّدةُ البوّابة تشرّعُ قلبَها **نحو القلعة العريقة**

بوّابةٌ تستقبلُ **التاريخ**

تتلوّنُ بذهبِ الشمسِ كلُّ حجارةِ جبيل

وتتجمَّدُ القلعةُ في شمسٍ/ كأنّها إشارةُ التاريخ/ في وقتٍ/ يشبهُ قيلولةَ الحضارات

تتمايلُ نحوكِ خطواتُ الشبابِ والصبايا

وتَنبعثُ رائحةُ المنتورِ النابتِ عفوًا بين أحجارِك كحدائقِ أدونيسَ الزائلة.

وفي السّوقِ رائحةُ الحجرِ والعَرقِ والتّعب. والتّاريخُ ترابٌ/ فَخّار/ حجرٌ رمليٌّ مشقوعٌ رسَمَتْه الرّياحُ كَطُرقاتِ المتاهة/ تيجانُ أعمدة/ جِرارٌ تنفتحُ على هياكلَ وعقودٍ من زجاجٍ وتماثيلَ من ذهب..

وفي القلعةِ معابدُ، أبوابُها مفتوحة: عشتروت.. إيزيس.. ربّةُ جبيل.. سيّداتُ عبادةٍ وعِشقٍ ورغبة.. ربّما جدّاتُكِ.. ربّما أنتِ!

وفي القلعة هواءٌ يتمشّى مترنّحًا بين الأعمدة/ والجدران/ والنبعِ المقدّس/ وزهرِ الخَتميّة الطويل/.. هواءٌ يكادُ ينتزعُ من يدِ الصبيّةِ ورقةً مطويّة تَوَدُّ وضعَها في يدِ سيّدةِ البوّابة، وهمسًا خبّأتِ الزهورُ البرّيةُ آذانَها منه، كي لا تهتكَ السّر!

وتنظرُ إليكِ الصبيّةُ.. وتراكِ جميلةً مثلَها، فتدركُ أنّكِ فهمتِ!

إنّه وقتُ المساء

سيّدةُ البوّابةِ تشرِّعُ قلبَها **نحو الميناء القريب**

بوّابةٌ تنادي **البحر**

إستراحةُ حيواناتِ البحرِ على الرّملِ الدافئ

سَفَرُ أسماكٍ ملوّنةٍ في فَخّارٍ أثريّ

حصىً أقنَعتْها الأمواجُ باللِّين

مجاذيفُ تثرثِرُ عن سرِّ الأعماق

ورحيلُ صيّادٍ الى أملٍ أزرق

أصواتُ مخملٍ تجتازُ الهواءَ مع تحيّةِ آذانِ المسجد القريب.. وهواءٌ من عنبر.

طريقُ سيّدةِ البوّابة في المساء، وَقْعٌ لخطواتِ الأمّهات والشقيقات.. رقصٌ أثيريّ، هدهداتُ أغانٍ حنونة.

أسمعُ خطواتِ العجائزِ المتأنّية.. أسمعُ خطوةَ أمّي وكأنّها تأتي من عمقِ العمر.. تَصعدُ الدّرجَ الصغير، تضيءُ شمعةً.. وتفوحُ رائحةُ السّراجِ والصلاة.. يزدادُ الحائطُ عِتقًا من ابتهالاتِ الشموع، وتُقْفِلُ اليدُ المترجّيةُ البابَ الزجاجيَّ على شموعٍ – نذورٍ لتحميَها من الهواءِ البحريّ!

أسمعُ خطواتِ الشقيقاتِ والرفيقات..

تخرجُ أختي من تعبها/ تعودُ أختي من غربتها/ تستفيقُ أختي من قبرها!

نمسكُ بأيدي بعضِنا بعض، ندورُ حولَ السيّدةِ ندعوها أن تلعبَ معنا قربَ المدرسة.. نأخذُها إلينا!

سنُخرجُكِ من الصورةِ الايطاليّة/ ونعمّدُك بالبحرِ الفينيقيّ/ ونَدرسُك في كتابِ القلعة/ ونرسمُ على وجنتيك سُمرةَ بناتِ جبيل/ ونجعلُك تلميذةَ صفِّنا.

سنستبدلُ شالَ بوتيشللي بشالٍ من السّوقِ القديم

وسنفكُّ عن رقبتِك رداءَ رافاييل ونُلْبِسُك مريولَ مدرسةِ جبيل.

وسنتركُ المعلّمةَ تؤنّبُك، لأنَّك نسيتِ اسمَك مُعَلَّقًا على الباب/ وتركتِ بابَك مفتوحًا/ وقد صدِئَ القفلُ من هواءِ البحر!

إنّه وقتُ المساء...

وقتٌ تَخْتَتِمُه طيورٌ صغيرة/ تغادرُ آخرَ الليل/ عندما تَفرغُ ساحةُ الكنيسة من الخطوات/ وتُطفأُ كلُّ الأضواء..

وتَدخلُ كلُّ نَفْسٍ الى نفسِها..

تتمايلُ شمعة..

تتمايلُ حتى آخرِ نقطةِ ضوء، شمعةٌ تنسكبُ حتى الانتهاءِ..

تُلقي نورَها على ثيابِ عذراء مثقلة بذهبِ النذوراتِ العتيق، وعلى غطاءِ مذبحٍ حاكتْه ابتهالاتُ امرأةٍ مجهولة..

تتمايلُ شمعةٌ، مساحةُ نورٍ وحيدةٌ في ظلام كلِّ المدينة، أمام بابٍ واحدٍ مفتوحٍ...

بابِ سيّدةِ البوّابة.

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٢

سيّدةُ البوّابة، كنيسةٌ صغيرة على باب سور جبيل القديم، تحضن مدخلَ السوق العتيق، تتكيءُ على حائط القلعة، وتفتتحُ طريق البحر نحو المِيناء. سيّدةُ البوّابة، بابٌ يَتبرَّكُ به كلُّ أهلِ جبيل!

مـريـم
الى أطفال الجوع

باسمة بطولي

هلْ مُنْصِفٌ؟.. دعْها تُتَوِّجُ مُنْصِفَهْ.. تَـلِـدُ ابْـنَـةً لكَ.. بـالـفـداءِ مُـكَلَّفَهْ..
علّي أُخَيِّلُني المسيحةَ بَيْنهمْ.. قـلـبـي أُكَـثّـرُهُ.. كَـتِـلكَ الأَرْغِـفَـهْ
وأُسـائـلُ الأرْيـاحَ أن يُـعْـطى الـمـدى لِـيَـهِـلَّ فـوقَ بُـيوتِـنـا.. والأرصفَهْ..
فَـلَـدَيَّ أطـفـالٌ جِـيـاعٌ كـلُّ مـا مَـلَـكوا حِـكـايَـةُ أُمَّـةٍ مسْتَضْعَفَهْ..
مَـلأُوا الـمسافةَ أَعْيُناً وسِعتْ أكـي تَـسَـعَ الـرغيفَ أمِ امتلأَ المِغرفَهْ..؟
والصّـمتُ مـا إلاّهُ مُـتَّـسَـعٌ لـهـا ما زادَ فيها الجوعَ جوعُ المعْرِفَهْ
وكِـلاهُـمـا مُـتَـعـاظِـمٌ مـقـدارَ مـا تـبـقى الـدمـوعُ إليْهـما مُتَلَهِّفَهْ...
سِعةُ العيـون مـدى نـحولِ وجوهِـها ربٌّ سخا.. والأرضُ ظَلَّتْ مُجْحِفَهْ
مَـبْـحـوحـةَ الـنَظَراتِ هـل حَتْمٌ على لُـغَةِ الـكـرامـةِ أنْ تـظـلَّ مُـحَـرَّفَهْ..؟
هـي مِـهْنَـةُ التجـويـعِ.. فَنُّ الصَّلْبِ أَوْ فـي كـربـلاءاتِ الـضـمـيرِ مُصَنَّفَهْ...
طِـفْـلـي أنـا؟ كـلُّ الأُلى صُلِبوا وفي أبْـصـارِهـم حـتّـى الـمـيـاهُ مُـجَـفَّـفَهْ..

ومتى هُمُ طفْلي أَلَيْسوا طفلَها..؟ آنَ الحنانُ لمريمٍ أَنْ تَعْرِفَهْ...
أَسِوى سَماواتٍ تَجودُ متى الدُّنى في كلِّ تقتيرٍ عليهم مُسْرِفَهْ..؟
هم كلَّ يومٍ يُصلَبونَ فمَنْ لِمنْ غَدَتِ القيامةُ دونَهمْ مُتَوَقِّفَهْ..؟
منْ للعدالةِ غيرُها.. فكِتابُها ما غيرُ دمعِ الأُمِّ يَكْتُبُ أحرُفَهْ..
والظُّلْمُ أَقْبَحُهُ تَنازُلُ مَنْ على حُسْنِ العدالةِ تَوَّجوها مُشْرِفَهْ
مَنْ يتركُ المَقْرورَ عُرياناً كَمَنْ يَلْقاهُ مُدَّثِراً فيسرقُ مَعْطِفَهْ...
وَلِمَ السماءُ هُنا تَصُبُّ جفاءَها وهناك أجنحةُ السماءِ مُرَفْرِفَهْ
أَيُجيبُ ماضِغُ صمتِهِ حتى على موتٍ يَرَى في كلِّ موتٍ مُسْعِفَهْ؟.
ستَّ السلامِ لنا لديكِ تَوسّطي هَدْياً يَقي العُمرَ الرِّياحَ المُعْصِفَهْ...
يا أُمّي المِعْطاءَ كم لكِ خِلتُني أُمّاً لكثرةِ ما بحبّكِ مُدْنَفَهْ..
إنْ شِئْتِ هذا العامَ دَعْوَةَ واحدٍ منّا*... فمُرٌّ أشتهي أَنْ أرشُفَهْ
لا مُرَّ أو حُلْوَ المقاييسُ انْتَفَتْ للسانِ مَنْ بكِ يَسْتَطيبُ تَصَوُّفَهْ
لِلِقائكِ الموتُ الحياةُ تَعانقا حتّى كأنَّ الموتَ يَكْشِفُ أَلْطَفَهْ...
مَع أنَّ تفضيلي لِقاءَكِ بَيْنَنا كي نَسْتَلِذَّ معاً هَناءَ المعْرِفَهْ..
مُسْتَأْثِرٌ بالعيدِ لَيْسَ مُعَيِّداً إلاّ معاً لا عيدَ يَبْلُغُ أَشْرَفَهْ

هلاّ نَزَلتِ... هنا التناهشُ.. ما سوى   خـيـطٍ بـثـوبكِ قـادرٌ أنْ يـوقـفَـهْ..
يُغْرِيكِ.. لا..؟ طفلٌ سلابكِ جوعَهُ   حـتـى وإنْ لـم تُـمطِـريـه بـأرغـفَـهْ..
مـا من غـنـىً لكِ عـنْ شِفـاءِ جَنـاحِـهِ   من أرجُلٍ في السَحْقِ تُتْقِنُ أعْنَفَه
فـيـعـانـقُ الأبْـعـادَ نَـسْـرَ تَـحـرُّرٍ   ويـرى سـوى وَحـلٍ.. لـه أن يـأْنَـفَـه
يَـدَعُ الـتـمـرُّغَ قـبـل أنْ يَـعْـتـادَه   فالذلُّ.. أقصى الذُلِّ.. في أنْ نألَفَهْ..

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
١٩٩٣

* اشارة الى رحيل الشاعر جورج غانم بعد أن ألقى قصيدته في مريم،
وكانت آخر ما كتب.

ثُلاثيّةٌ إلى مريَمَ البَتول
الأُمِّ العذراء

مُرْسِل تيماني

مِنَ الأَزَلْ
مِنْ يَومَ كَانتِ الدُّنيا جَنيناً
في رَحِمِ الغَيبِ
الذي نَزَلْ
مِن جَنَّةٍ بَريئَهْ
في مركَبِ التفّاحةِ – الخَطيئَهْ

وَسَنَّ قابيلُ الأَنَا شَريعةً
تَدَفَّقَ الطُوفَانُ
مِن جَحيمِها
وَامتَدَّ حتّى قِمَّةِ الجَبَلْ

وَدانتِ الحياةُ للسفينَهْ
حيثُ الصَّفا والحَقُّ والسكينَهْ

وَعادتِ الخَطايا

وَأوغَلَ الزَّمانُ في البَلايا

حتّى انبرَتْ لَهُ

الأسفارُ والوَصَايا

لكنَّ تِنّينَ الفسادِ ظَلَّ ينْمو

وَسَبْعةٌ لَهُ... رؤوسْ

تمتدُّ في العقولِ

في القلوبِ في النفوسْ

تمتدُّ ناراً في هَشيمْ

كأنَّما النّارُ نَعيم!!

وَإِذْ بِسُمِّ الشرِّ يُسْتَطابْ

وَيَزرعُ الضَّلالَ

يَحصُدُ السَرابَ والرِّقَابْ

وَعَمَّ في الأرضِ الخَرابْ...

وَإذ بخَمْرَةِ الظلامِ
تُسْكِرُ الفجورْ...
وَللظَّلامِ مِن دماءِ الحقِّ
تُعصَرُ الخمورْ

وَتُعجَنُ السنينُ
مِن قَمحِ الفِتَنْ

وَتُنسَجُ العروشُ
مِنْ جَماجمِ الشُعوبِ
في نَولِ الحروبْ

يُقادُ نورُ الفجرِ
مَخفوراً
إلى مَجَاهِلِ العُقولْ

وَيُشنَقُ النَّسيمُ
في ضَفائرِ الشَّجَرْ

وَتُمحِلُ الخُصوبةُ العذراءُ
في حَبائلِ المَطَرْ...
وَفي دَمِ التّرابْ...
وَتَسقُطُ الفُصولْ...
فَريسةً ما بينَ أنيابِ
الجَفافْ
وتُنشَبُ الزهورُ
في مَفاصِلِ الربيعِ
كالحِرابْ

وَيَصرُخُ القَدَرْ
أَلَيسَ مِنْ خَلاصْ
أَلَيسَ مِن مَفَرْ

وَمِنْ هُنا
مِنَ الجَليلْ...
تنفّسَتْ سَواسِنُ

الحُقولْ
وَعادَ للتُرابِ نبضُهُ الخَجولْ...

وانتشَرَتْ جدائلُ الشَّمسِ...
تُوَشوِشُ النفوسْ:
أَنَّ المَرارَ يَهجُرُ الكُؤوسْ...
وأَنَّ قَمحَ الطُّهْرِ
يَطرُدُ الزَّوَانْ
وَأنَّ ماءَ النهرِ
يَغْسُلُ الزَّمَانْ

وَعادتِ الفُصولْ...
تُعمِّدُ الزهورَ والثمارَ
بالحَياة...
وَتَسكبُ الأمانَ
في الصُّدورْ

وَانطَلَقَتْ بَوادِرُ الخِرافِ
في وَجْهِ الذئابْ

وَأزهرَ الربيعُ

في دَمِ الشَّبابْ

وَأشرَقَ الأمَلْ

بأنَّ: للإنسانِ

تُكْتَبُ النَّجاةُ...

والخَلاصْ

تنفَّسَتْ سَواسِنُ الحقولْ

وَعادَ للتُّرابِ

نَبْضُهُ الخَجُولْ:

غَداً يَمرُّ فوقَهُ الحَبيبْ

يقاتلُ الضَلالَ

يُطفئُ اللهيبْ

وَيَرْتوي بِنُورِهِ الكَونُ الرَّحيبْ

تنفَّسَتْ سنابلُ الحقولْ

وتَمْتَمَتْ مَباسِمُ الفُصولْ

تُريدُ أنْ تَصرُخَ

أنْ تَبوحَ

أن تقُولْ:

أتيتِ يا عذراءْ

حامِلةً طِفلَ المغارَهْ

في جَسَدٍ يَضُوعُ بالطّهارَهْ

حاملةً بشارةَ الخَلاصْ

للناسِ.. كلِّ الناسِ...

والمَنَارَهْ...

تَوحَّدَ الزَّمانُ والمكانْ

وانتَصَرَ

الإِنسانُ في الإِنسانْ

وَحَطَّمَ

الأَوثانَ في العقولْ

وَمِنكِ عادَ

للرِّسالةِ الرَّسولْ

يا مَريمُ البَتُولْ..

بُورِكتِ يا عَذراءْ

قُدِّسْتِ يا عَذْراءْ

يا دُرَّةَ العُهودْ

يا وَردةَ الورودْ

يَفوحُ مِنْ أعماقِها

شَذا داودْ

يَفيضُ مِن أعراقِها

العهدُ الجديدْ

يا خَيرَ أُمٍّ في الوجودْ

تغرّدُ الشفاهُ والزهورُ

والطيورْ

وَتَصدحُ الأجراسُ

في الجبالِ في السهولْ

مُنشدَةً:

يا مريمُ البَتُولْ

قُدِّستِ يا عَذراءْ

يا رَحمةَ السَّماءْ

يا بَسمةَ السلامِ

في الدماءْ

يا لمسةَ السماحِ للخُطاةِ

للجُناةْ...

يا مَنهَلَ العَطَاءِ والفِداءْ

يا قِبلةَ الحنانِ والوفاءْ

صَلَّت لكِ الأَرواحُ والعقولْ

مُطيعةً وديعةً تقولْ

يا أمَّنا يا مريمُ البَتولْ

يا أُمُّ يا عذراءْ

يا ممتلئةً نعمةً

يا ممتلئةً حِكمةً

يا شمعةَ الصَّبرِ الحَزينْ

يا قُدوةَ الإِخلاصِ والرِّضَى

للمؤمنين

يا مَن غَسَلتِ

بالعذابِ بالدموعِ

وِزْرَ الخاطئينْ

يا مَنْ حَمَلْتِ مَعْ يَسوعَ

آلامَ الصليبْ

وَسِرْتِ في جُلجُلةِ الآلامِ

والأشواكِ وَالفِدا

مِنَ الوِلادةِ إلى القيامةِ

قيامةِ المعلِّمِ الفادي الحبيبْ

قيامةِ الحَقِّ مِنَ الضَّلالْ

قيامةِ الإنسانِ بالأيمانِ

مِنْ مَوتِ الجَسَدْ

قيامةِ الضَّميرِ مِن رَمادِ الحقدِ

والغرورِ والحَسَدْ

قيامةِ السلامِ مِن هَياكلِ الظَّلامْ

قيامةِ الجَمالِ

بِالسَّماحِ بِالفَرَحْ

قيامةِ المَحبَّهْ..

بالمجدِ والسلامِ والمَسَرَّهْ

قيامةِ الفضيلهْ...

مِن شَهوةِ الفَسَادِ والأنا

مِنَ الخطيئهْ

وَفي خُطَى يَسوعَ

أورَقَ الزَّمانْ

وأثمرَ الحياةَ

للإِنسانْ...

وامتَدَّ نورُهُ مِنَ الأزَلْ

ولَم يَزَلْ...

حتى انقضاءِ الدَّهرِ

وَالأَوانْ...

وَأَنتِ يا عَذراءُ

يا قِيامةَ الخَلاصْ

يا جَوهَرَ الأُمومةِ العَذْراءِ

فِي يَسوعْ

بُورِكْتِ

يا أيقُونةَ الخُشوعْ

قُدِّسْتِ

يا رِسالةَ الشموعْ

أنتِ الرَّجاءُ

ساكنٌ بَينَ الضُّلوعْ

تَبقَينَ نبراسَ الهُدى

تَهفُو إليكِ الكائناتْ

يا أُمَّ كلِّ المعجِزاتْ

يا أُمَّ أوْلادِ الحياةْ

قُدِّستِ يا سيّدةَ النجاةْ

قُدِّستِ يا شفيعةَ

العُصاةِ التائبينْ...

تَبقَينَ روضةَ الخِلالِ
والفضائلْ...
تَبقَينَ أمْنَ الخائفينْ

يا أُمُّ يا عَذراءْ
أنت الأُمومةُ التي
ما دُنِّسَتْ بشَهوةٍ
وَلا ارتَوَت بنُطْفَةٍ

أنتِ الأُمومةُ – الطفولةُ –
القَداسةُ الصفاءْ
والطُهْرُ والبَهاءُ والنقاءْ
وَذا ابنُكِ العظيمُ نهجُهُ الشِّفاءْ
تجَسَّدَتْ فيهِ الحقيقَهْ
واتَّحَدَتْ به الخَليقَهْ
أودَعَ فيكِ الرَّبُ سِرَّهُ
وَبَثَّ فيكِ زَرْعَهُ

فأنتِ أَرضُ النورِ
شمسُ الخَيرِ

كَنْزُ الدُرِّ

جَدوَلُ الوَداعَةِ

السَّكوبْ

بِمائِهِ القُدْسيِّ

عَمَّدَ القُلوبْ

يا أمُّ يا عَذراءْ

فِيضي لَنَا

حُلّي بِنا

أَلقي علَيْنا

روحَكِ الإِلهْ

حَتّى يَسيرَ الناسُ

في خُطَاهْ

إلى الأمانِ والسَّلامِ

والنَّجَاهْ

يا أُمُّ يا عذراءْ

عُودي بنا

عُودي بِنا
إلى حَضارَةِ الروحِ التي
أركانُها
عَدْلٌ وحُبٌّ واعتدالْ
حُكّامُها
حَقٌّ وَخَيرٌ وجَمالْ

واسْقي ينابيعَ الرَّجاءِ
كأسَكِ العذْبَ
القَريبْ
وارْوي رحيقَ الحُبِّ
شَهْدَ طُهْرِكِ
الخَصيبْ

أنتِ الرَّحيقُ والطريقُ
والوصولْ
يا وَردةَ الرَّبِ
ويا هُدى القُلوبِ والعقولْ
يا أُمَّنا
يا مَريمُ البَتولْ

١٩٩٦

يا أمَّ يسوع!

د. جميل جبر

تلوحين لي في هالة من بهاء، وأنا في عتمة يأس، فيعاوِدُني الرّجاء. إنّ لَفي ابتسامتِك سحراً دونَه كلُّ سحرٍ، وفي عينيك حناناً يُحرِّ الصقيع.

يا مريمُ الحلمُ الذي يَسمو اليه البشر، لكنّه حُلُمٌ كالأفق يُسْتَشَفُّ ولا يُطال.

يا مريم! لقد جمع اسمُك مُرَّ المجوس الى طفل المغارة، واليمَّ إلى حمامةِ السّلام.

في طُهرِك نقاوةُ بياض صنّين، وفي نضارتك الأبديّة إخضرارُ الأرزِ وصلابتُه في تحدّي الزمن، وفي نورانيّةِ وجهِك ما يُخْرِسُ الكلمةَ إعجازاً، كما الريشةُ والمِنْقَش. ففي تمجيدِك كلُّ سنفونيّةٍ لا تَكتملُ، وتستمرُّ اللوحةُ تَصميماً.

لَكأنّي بك، والطّفلُ في حضنِك، تحتضنين بُرعمَ الأملِ الكبير بالخلاص. يا له من مشهد فريدٍ استلهمَه أعلامُ النهضةِ الفنيّةِ في روائعِهم فظلّوا يلهثون وراءَه، وكانت الذروةُ في إبداع هؤلاء من جيوتو الى رافائيل عَبْرَ بليني وليوناردو.

وإنَّ لَفي احتضانكِ جثمانَ المسيح بشارةً بالقيامة. وَلَكم أرهقَ هذا المشهدُ ميكالنجلو، فَي نحته تنقيحاً وصقلاً، وهو يَشُقُّ الطريقَ الى الخلود.

يا مريمُ، أمَّ يسوع، رُحماكِ إرأفي بلبنانَ الجريحِ الكسيرِ المكبّل!

أذكري أنَّك سيّدةُ لبنان

تَقَدَّس ذكرُك مدى الدهر.

١٩٩٤

اللحظة الحاسمة

جورج جرداق

في ليلة من ليالي الزمن السرمديّ، كانت اللحظةُ الحاسمةُ التي توحّدتْ فيها أناشيدُ العالمِ الحالمِ بالسعادة، وتوهّج فيها حنينُ البشريّةِ القديمُ إلى مثالٍ يجسّدُ الطهارةَ والبراءةَ والمحبّةَ فتستلهمُه وتقتدي به، كما يجسّدُ وحدةَ الحياةِ في ذاتِ الانسان إذ يتساوقُ عقلُه وقلبُه ووجدانُه ليكونَ وحدةً لا تتجزّأ، ووحدةَ الحياةِ بين الفرد والجماعةِ إذ يشعرُ الفردُ بأنَّهُ يَضُمُّ إلى ذاته البشريَّة جمعاء، ووحدةَ الحياةِ بين الانسانِ وقوّةِ الكون المركزيّة التي هي اللبُّ، تحقيقًا لأحلامِ الأصفياءِ والأنبياءِ والشعراءِ بوجودِ بشريّة تسوِّدُ نفسَها بالتّلاقي والتعاطفِ والتَّحابِ وتغدو حياتُها رجاءً، وتظلّلُ إنسانَها عناقيدُ الرضى والحُبِّ والفرحِ، في أرضٍ كانت فيما مضى صحراءَ مهلكَةً، وملتقى وحوشٍ تتصارعُ وتتآكلُ، وموطئَ أقدامٍ للطغاة يُفسدونَ في الأرضِ ويضربون الخَلْقَ بالترويع، وكانت مَفَازةً تتردّدُ في مجاهلها أصداءُ العويل، ويلعنُها الأطفالُ، ويعيش أحياؤها في ترقُّبِ المحنِ والأهوال.

تلك اللحظةُ الحاسمةُ كانت اللحظةَ المريميَّةَ التي حدّد التّاريخُ فيها ما سوف يكونُ؛ فإذا الإرادةُ العليا تأمُر الأرضَ بأن تشرقَ بأنوارِ الحبّ، والعالمَ بأنْ يتوهّجَ بأضواءِ القيمِ السامية، والنجومَ بأن تتحرّكَ

في أقطارها؛ وإذا الدنيا تلبسُ من نسجِ العذراءِ ثوبَ عرسٍ، ترفُلُ فيه الروحُ، وتُصغي لابتهالاتِ الأحياءِ والأشياءِ متّحدةً بربّ السماء.

العالمُ، بعد تلك اللحظةِ الحاسمة في تاريخِ الوجود، وكما رسمه ابنُ العذراء، غنيٌّ لا يقومُ غناه على التملّكِ بل على العطاءِ، قويٌّ لا تقومُ قوّتُه على الاستكبار والقدرة في الافتراس، بل على الرحمةِ والمحبّةِ والفداء.

فيا أيّتها العذراءُ، يا أمَّ الكونِ الجديدِ، كما رسمه سيّدُ الكونِ، يا من ترى وجهَها ومعناها في الشمسِ التي لا تَغيبُ، وفي السماءِ التي لا تنتهي، وفي أحلامِ الشعراءِ وأشواقِ الأنبياءِ، كوني كلَّ العصورِ الآتية، تتعاونُ فيها الرياحُ والأمطارُ في غسلِ التاريخ، وتشرقُ الشموسُ والأقمارُ لتبديدِ ظلماته، وتسقطُ عروشُ الظلم بكلّ صُوَرِه، ويرحلُ العارشون ألى منازلِ البسطاء الطيّبينَ الخيّرين: إلى الحياة بكلّ ما فيها من مقدّسٍ كالرحمةِ والمحبّةِ والتّسامح وطهارةِ القلب والروح، أنتِ يا صاحبةَ اللحظةِ التي كان فيها تأنيسُ الله بوصفه أبًا للبشر، بعدما كان في أفكارِ الأقدمينَ وفي أخبارِهم ربًّا للجنودِ وقائدًا للغزاة وكان منتقمًا قهّارًا جبّارًا عتيًّا، وكان فيها تأليهُ الإنسانِ بوصفه ابنًا للآبِ السماويّ بعدما كان في ملاحمِ السابقين ضاريًا وحشيًّا، لتورقْ تحت يديك أقاليمُ الأرض، وَلْتثمرْ، فتتباهى الأشجارُ بأثمارها، والحقولُ بأزهارها، والطّيورُ بنغماتها، بعدما بُحَّتْ أصواتُها طويلاً. وَلْتغدُ الرقّةُ أقوى من الصوّان، والرحمةُ أدلَّ على قوّةِ الانسان!

أيّار ١٩٩٦

حكي بالوردْ والصابيعْ للعضرا
«العضرا» يا فيروز السَما، يا شفيعة الشعرا...!

أسعد جوان

الكتابي عن العضرا لازم تكون بالوردْ أو بالشِّعر، بَسْ أنا كتبتلاً نَثْرْ.. جَرّبْت حاكيها حكي، بحسًّا قريبي عليِّ رَغمْ إِنِّي ما بعرفا مظبوطْ، بَسْ فييِّ قُول عنّا ببساطة إنًّا «شاعرة أللّه» وباب السما الما بيسكِّر؛ وأفضل من الكتابي والحكي عنا، الصمْت، والخشوعْ قِدّاما هُويِّ الشعر...!

كل الكلام فيا ما بيساوي إبتسامي واحدي من وِجّا، كل الحزن عأِبنا ما بيوازي دمعه منّا تحتْ الصليب، العضرا «قدِّيسة الفرح» اللِّي جايِي من ورا غيمْ الحزن...!

... علاقتي مَعا بترجَعْ للطُّفولي، وثقافتي فيا سطحيِّي. كل شي بعرِفْ إنًّا إمْ يسوعْ، بالعيد بطلب منا تياب جدادْ، وبأيلول ما توقع طيّارة الورق عالسطح ولا يفلت منِّي الخيط... وكنت إرجع إلا كل ما طلع حيط بوجِّي، وكل ما تسكِّرتْ طريق قِدّامي تفتحا...! ما بعرفْ صلِّيلا، بغلِّط مرّاتْ بالأبانا، وبَسْ قُولْ «يا عضرا» كانت السّما تمدْ إِيديها صوبي وتغمرني وتُوصل عليِّ بالأوَّل وكنت حِسَّا بيّاعة النومْ، بَسْ صلِّيلا إِغفى...

.. حَوِّشلا زهر لصُورتا من الحقلي، ومرّات إسرقلا وردة الطريقْ كل ما يدبلو جبلا غيرُن كِنتْ إتصوَّرا بنتْ بتحبْ الزهر. كل مرَّه شُوفْ صُورتا بشكل، بَسْ أعرِفا من ضَوْ وِجَّا... إمي تقلّنا ما تنسو تجيبولا زهر، وتصلُّولا قبل ما تنامو؛ وكنّا نبرم الدني تانلاقيلا باقه، وهَيدا «الزِر» ما حدا يقطفو كانت تقولْ «ستّي» خلُّو للعضرا.. وكنّا ننطر شهر إيَّار تا نغمرا بالوردْ عا قد ما فينا...

... العضرا.. ما شفتا عم تضحكْ ولا مرَّه، حتّى بالصوره بتضلاًّ ساكتي، بَسْ في حكي طالع من وِجَّا ونُور أخضر. عاريّي ما بتقلّنا شيْ، بَسْ يفتحولا الرسَّامينْ عاصدرا نشوفْ السَما مفتوحه والأَرض تنينْ، ما بعرِفْ شُوْ هالسِّرْ، ولا مرَّه قلنا العضرا حلوي، عاطولْ منشوفا حنوني وإمْ وإيد مفتوحه... يمكن لأنُّو الروح القُدسْ بعدو قاعد فيا والحمام الأَبيض عشبّاكا...!

... عاشت كل حياتا بالخوف: من يوم اللّي بشَّرا الملاكْ فزعتْ وكانتْ رح تخوتْ، ليوم لْجابت يسوعْ بالمغاره وخافتْ يقتلو، حملتو وْهَرَبتْ، لحقتو هُوِّي وعم يبشِّر، لحقتو عالصليْب ومات قدَّاما...

العضرا أوْ الأُم الحزيني هُويِّ الوِجْ الحقيقي للعضرا، يمكن في كتير تعذَّبو قَدْ إبنا.. بَسْ ما حدا زِعل وْحزِنْ عا قدَّا.. لهيكْ طلعْ الزهر كلُّو كرمالا وصار أيَّار شهر العضرا وشهر الوردْ، شهر صابيعْ الأَطفال الحاملين الربيْع عكتافُن وجايين لعندا...

... في سِرْ بالعضرا.. بيربُط الكلْ فيا، يمكن لأنَّا المطرحْ اللِّي صار فيه أللّه.. إنسانْ، والوجْ اللّي صار مَساحة طفولتو، صَحيح ما في

فرحْ بوجًّا بَسْ في نُور إلهي وَوَهجْ من حد السَما لاطحْ عا سْطوح الناسْ مغطّا وْجوْه الأطفال كلُّن...!

وْرغم إنّا إمْ أللّه، الناسْ بيحبُّوا أكتر منوُّ وإلاَ شعبيٍّ أكتر، خاصةً عند الأطفالْ والشعوبْ اللّيٍ ما بتآمن بإبنا... قريبي للقلبْ، حنوني، بتاخدْ وبتعطي، بتعرِفْ كل شيْ، وما بتردْ حدا، بينما مرّات بيبيِّن قاسي، وِجوُّ ناشِفْ ما بيتحاكا والناسْ بيسبُّولو بعفويِّه وبراءَه، بينما هيْ ما حدا لُوْ قلبْ يضربا بالوردْ...

... عضرا.. عم حاكيك باللّغة اللّيٍ كنتْ إحكيكِ فيا أنا وْزغيرْ، لا كنتْ أعرف وزنْ، لا كنتْ شاعر، ..كنت صبي شيطان بحبِّكْ ما بَعرِف ليشْ... وكنتْ خاف من إبنكْ، إذا كذبتْ يقولولي بيخنقَكْ يسوعْ، إكذُبْ وأُهرُبْ لعندِك، بَسْ فِزّ عن السَطحْ قول: إميٍّ شلحتني والعضرا استلقتني، وفزْ إجي بحضنِكْ، إكسر راسيْ ما حِسْ، يُوْقفْ قلبي، صلّيلكْ يرجَعْ يمشي، وكنتِ تحبّيني متل إبنك، ما تفرِقيني عنُّو إلاَّ بَسْ يطلع عالصليبْ تقوليلي ليشْ هالمطرحْ مقدَّسْ هالقدْ...؟ محمي من العين، ما بيهدا عليْ غَبْره، ما بيجوزْ عليْ حكيْ. ولا بينْزَعل منُّو، بيلمعْ متل دَهبْ الرُوحْ بيرفرِفْ متل جوانحْ العجيبي...! الكلْ بيقولو يا عضرا بَسْ ينوجعو، العضرا تكبّرَك، العضرا تحميكْ وتحرسَك، أنا ولا مرَّه قلتلاً شِي وما سمعتْ منّي، هيٍّ الدَرجْ بيْنّا وبينو، هيٍّ لُغّة أللّه وإيدو عالأرض... هيٍّ سكرتيرتو الحلويْ...

... يا عضرا... يا سيِّدة لبنان، إِيدك شِلحْ زيتونْ، صابيعكْ خمْس حمامات بيضْ معمدِّين بالتلج، مْسربْين، بيغطُّو مطرحْ ما بيتعبو، عاسطوحْ الموجوعين، عبوابْ الفقرا الناطرين رغيفْ اليومْ...

يا هاك البنتْ اللي كانتْ تلعبْ بساحات الناصرة، صارتْ تلعب بكل ساحات الأرض، صارتْ إمّ الكلْ، مزارْ عا كل مَفْرق طريقْ، يا هالأُم العظيمي، يا فيروز السَما، بعيدكْ إِلكْ منّي زرْ الشِعر، وردة الكلامْ... بشهرِكْ برجَعْ طفل وبتذكَّر هالكلام الماضيتو ستّي، المحفور عا حجر الذاكره باللّون الأزرق، عَمَيْ البَحْر بقلمْ الشمْس... «قبل ما تنامو صلوٌّ للعضرا» «زرتو مزارْ السّيدة..؟» «حبُّو بعضُن راحو زارو العضرا، إخدو رضى إِموٌّ وصَلُّو مسبحة الورديِّه...» كلام كنت إسمعو من ستي أنا وْطفل بساحة الضيعة، وكانتْ الضيعه أحلا، والناسْ كان بعدُن ناسْ...

... سِتّي خدَمتْ العضرا بحريصا... سَبعين سِني. وكانتْ بَسْ توصَل عالضيعه، تفوتْ السَما عابيتنا، نشِمّ ريحة الصليْب، نسمَعْ جراسْ القدسْ، تنتلي البيوتْ والأيدينْ مسابحْ وبخُّورْ وتصير الطريْق لعندا رفوفْ ختياريي وأطفال؛ يروحو فاضيين، يرجعو مليانين بالعضرا، مَعُن بإيدُن يسوعْ، وْوجوهُن مْضوايي بقصص العجايبْ؛ وكانو يعتولا سلاماتْ مع سِتّي. الأطفال يكبرو سني، الختياريّي يزغرو عشْره. وكان آخر قنديل ينطفي قنديلنا، إلاّ إذا كان جدّي بدُّو يعمل عجيبيْ، تنوسّلو سِتّي القنديل وتخبّرُو عن العضرا تايغفى...!

... جدِّي كان يحبْ العضرا أكتر من ستِّي.. مرَّه طلعلّو «تالولي» بإيدو ما ضَلْ حكيمْ ما شافو، بَسْ ما حدا شِفا... راحْ لعندْ السّيدة دَهن إيدو تراب، صَحْ. هُويِّ وراجع عالطريقْ، ضوًّا وِجّو، صار راسُو نجمه وعقلو غيمه. رَكعْ.. وضلُّو راكع. وبعد سِني، ترَكْ ستّي لعند العضرا...!

... الحكي عن العضرا ما بيخلَصْ، بيساعْ كتير، عا قَدْ ما قلبا واسِعْ. عا قد ما هيِّ كريمي، بدِّي سمِّيا سَيِّدْة الكرمْ. العضرا خدومي، حنوني عالكلْ، ما فيا تشوفْ إيدين مَمدودي، لَحالا بتدقّ عبوابْ المحتاجين والحزانى... ما بدًّا حدا حزين، حملتْ الحزن كلُّو عنّا، معليشْ إذا حملنالا الوردْ كلُّو، والشعر كلُّو، وحْطّينا قْلوبنا باقه عند إجريْا، ما إجرا داعسي عالسَما، غاطسه إيدا بأَللّه وهيِّ شفيعة الشُعرا وإمْ شاعر كبير إسمو يسوعْ الناصري... والوردْ الأحمر إجا أوَّل مرَّه عالأرض مطرح ما نقّطت إيدو دَمْ تحت الصليْب، وأوَّل قصيدي انكتبتْ بالأرض بَسْ قلّنا «حبُّو بعضكن» وإيَّار سمَّا حالو عإسمْ إمُّو.. شهر العضرا..!!

... العضرا.. هالبنت المعذّبيْ من أوَّل يومْ إجتْ عالدني لآخر يوم طلعت فيه عالسما شوْما زرعْنالا وردْ وكنايسْ قليلْ. مُشْ بَسْ هييِّ انحرمت من إبنا، ما حدا عيَّطلا يا ستِّي،.. العضرا البنت الزغيري الأم الزغيري، يا سِتْ الدني، يا تاتا الأطفال كلُّن.. يا فيروز السَما...!

بْرمِي وجّك صَوبنا، ضويِّلنا، في عتم مارق عالقلبْ، في صليْب زغيرْ عم بيرفرف فوق العتبه، نُورك بيقصْ الحزن، إيديكِ تشقْ البحر،

بَلاكي السما خِربي، بدونِك الأرض حجر رَمل والحياة كذبي كبيري...!!

... طلِّي، إيدينا تعبتْ هيِّ وْمرفوعه صوبك متل مَسموك الغيمْ، الوردْ خِضْرِت رقبتو هُوِّي ويِطَّلَّع فيكِ وساندْ بصابيعو السما، مدِّي إيديكِ من طاقة الغيمْ، مسحي جبين الوطن والأطفالْ من غبرة الماضي، من عَرَق التياب السُودْ.. شلّحينا الحزن كِلُّو، خزّقيلنا تياب المصيبي، لبّسينا وِجّك الدافي وقلبك الأبيض حتّى نكمِّلْ المشوار صوبكْ...

هونيكْ تحت فيِّة إجريكِ نرجع للطفوله، نهجّيلكْ وِجِّك حَرفْ وْحرفْ، نلعب نحنا وإبنكْ بساحات السما، نغطسْ بقلبك الواسِع متل سمك الزغير، ومن عشيِّي نسرِّبْ عاحضنك نحنا ودولاب الشمسْ، ويخلصْ البحر والعمر ما يخلصْ..! وردة الدفا الحقيقي إنتي، جمرة الحنان اللي بتحرق. أوَّل سنبلي ملياني، أوَّل صبيِّي خجلتْ بالدني... إيدْ بالسَما، إيدْ عالأرض عَمْ بتشدُّنْ صوبْ بعضُن متل اللي بدّا تمحي الخطيِّ الأصليِّ وتخلقْ إنسانْ ما بيموتْ... أيْ... ليشْ لأ؟

ما لعضرا خلقتْ ألله وضَلْ راسا منحني...

يا عضرا... بعيدكْ... جايِلْلك خَمسْ ورداتْ وْخمسْ صابيعْ... نقِّي شُوْ بدِّك...؟!!

أيَّار ١٩٩٤

التاريخ قبلِك عار

د. جورج زكي الحاج

بَحْر الْقَدَرْ
مَرَّا هَدَرْ
وتْمَرْجَحوا النّجماتْ
عَا قِبِّةْ فَلَكْ،
دَهْر انْتَظَرْ،
عمْرو نَدَرْ
وتْجَمَّعُوا النسْمَاتْ
عَا شَال الملَكْ...

وصَار العطرْ
يُقْطر قَطرْ
طُهْر وْحَلا
والحبّ خَيَّم عَالدّني
يكتبْ سَطرْ

يِمْحي سطرْ

يحكي صَلاَ

آهَات سِحْر مْلَوَّني

- «شو اللِّي جَرَى؟

مَوْج البحر مِتْل الْحِدَا؟»

- «مريمْ عَا دَرْب الحبّ

جَايي عَا لْهَدَا

وصَوْت الصّدَى

مَلْوَ الدربْ

مَلْوَ المَدى..!

إم اليَتَامى الْصَرَّخُوا

وْصَوْتُنْ هَديرْ

إِم الحزَانى الرَنَّخُوا

صَوْت الضّميرْ،

إِم الرّجَا

طُوفَان نُورا عَا لْبَشَرْ

عِنْدا إِجَا
الطهر الْتَجَا
مِنْ قَسْوِةِ الْقَلْبُو حَجَرْ..
إِم الحَقيقَا،
الحقْ مِنْ وجًا شَرَقْ
يرْسُم طَريقَا
وْدَرب كِلْ مِينْ مَرَقْ
وكِلّ الخَليقَا
اللي الْعُهر مِنَّا سَرَقْ
نُور الْمَحبّه والْوَفَا
وْكَاس الصَّفَا
والنَّاس هَا لْعُمرُنْ قَهرْ
حُزْن وْبكي،
وْجُوهُنْ صُفرْ،
والظّلمْ حَدُّنْ متِّكي،
خَوْفُنْ تَ مِنُّنْ يِشْتِكي
والشَّمس تِغْفَى عَا لَضُّهرْ...»

يَمْ الصَّبَايَا الآمنو

بالْحبِّ الكبيرْ،

الْجَابُو مَعو مِنْ فَوْق

إِبْنِك اللّي انْصَلَبْ

نَدْروا إِلكْ عمر الهَنَا

وْشَعْر الدَّهَبْ،

لبْسُوا الْعُبي مِنْ صُوفْ

مَا بَدُّنْ حَرير..

تَ يْضَلِّ فينَا الحُب

طَاهِرْ يِنْسَكَبْ

مِتْل الْفَجر.. نَقْوةْ نَقَا،

نِتْفةْ ضَميرْ...

التَّاريخ قَبْلِكْ عَارْ

والإِسْمَا مَرَا

رَمْز الزِنى

لِلْعُهر كَانِتْ مَعْبَدو،

تحْمُلْ ببطْنَا الذّلْ،
والذّلّ إبْنِ الْكلْ،
والْكلّ ضِدًّا يِشْهَدُوا،
والرّجْم وَحْدو كَانْ
دَرْب الْمَقْبَرَا...
ومِنْ بَعْد حَمْلِكْ
هَالتّاريخ بْيِنْقَرَا
عِز وْإِبَا
سلْطان مَجْد وْمَفْخَرا،
نُصّو مرَا،
والأُم يِعْني هَالْمَرَا
وَللأُم صَارُوا يِعْبَدوا...

دَخْلِكْ يَا مريـمْ
يَا رَجَا الإِمَّاتْ
يَا نُور البَشَرْ
عَيْنِكْ عَلَيْنَا

تْضلْ سِهْراني

في نَاس كَاسُنْ مِنْتِلي

بْخَمْر البَطَرْ

وفي نَاسْ

عَمْ بِتْنَام جُوعَاني

عَيْنِكْ عَا أَرْز الربّ

عَايِشْ بِالْخطرْ

صَوْبو عُيُون الغدر فِجْعاني

بَلْكي إِذا شي يَوم

صَوْتِكْ لَوْ هَدَرْ

يِخْلَقْ عَ شِلْح الأَرْز

شي قَايد عظيمْ

تَ يْدَحْرِج بْشِي لَيْل

عَنْ صَدْرو الحجرْ..!

آذار ١٩٩٧

صلاة

د. كمال يوسف الحاج

يا مريم ،

في هذا الشهرِ المباركِ النوّار،

شهركِ أنتِ،

أتقدَمُ الى مذبحِك الطَاهرِ المزنبق،

بكلّ قلبي،

لاجثوَ على ركبتين خاشعتين واهنتين،

وأقولَ لك:

أنتِ أمّي. أنت مجدي وخلاصي.

يا مريم،

سفينتي مثقلةٌ بمغرياتِ هذا العالم.

وقد عصفت بها الرياحُ فترنّحت.

ولاطمتها الأنواءُ فوقَ الصخورِ فمالت.

وها إنّ المجاذيفَ بين يديَّ تضطرب.

يا مريم،
أنا لا أقوى على البحر بمعزلٍ عنك.
هو أوسعُ منّي. هو أعمقُ منّي. وأبعد.
فكوني طوّافتي في عرضه الهائج المائج،
حتّى أصلَ الى مرفأك الهادئ الأمين.

يا رجائي،
يا حياتي،
يا صديقتي،
يا مليكتي،
يا أمّي.
انا دودةٌ حقيرةٌ التهبت غراماً بك.
الويلُ للزمن الذي ما أحببتُك فيه.
لَخيرٌ لي أن ابتدئَ اليوم، ولو متأخّراً،
من أن لا ابتدئَ أبداً في هذه الحياة.

أنتِ سُوسنتي

أنتِ فيروزتي

أنتِ وسيطتي

أنت محبوبتي

أنت سيّدتي.

إسمحي لي اليوم،

بالنّوع الذي قدّمتِ ذاتَك للّه تعالى،

في هيكله الأورشليميّ،

أن أقدّمَ لك حياتي الباقيةَ في هذه الحياة.

فلولاك لَكنتُ الآنَ في قعرِ الجحيمِ الكاوي.

لكنّك أنقذتني بدونِ أن أتوسّلَ اليك.

نَجَّيْتني بدون أن التمسَ ذلك منك.

يا كُليّةَ الجلال،

إنّ عينيك مفتوحتان على جميع الكائنات،

يا أميرتي الحلوة،

يا ذاتَ الأعينِ الكثيرةِ الجميلةِ البارّة.

أنت النازلةُ الصاعدةُ بدون هوادةٍ.
النازلةُ الى الأرض،
كي تجلبي للخاطئين النِّعَمَ الالهيّةَ من فوق،
الصاعدةُ الى السماء،
كي تكسبي الرضوانَ الالهيَّ نحو قلوبِهم.
يا عذراء،
بحقِّ الحُبِّ الذي أنت تحبّين به
ابنَك يسوع،
قدّمي عَنّي لديه دموعي عن أمّي.
استمدّي لها منه مغفرةً لخطاياها.
عوّضي أنت للّه عن نقائصِها البشريّة.
يا عذراءُ،
بحقّ الحبِّ الذي أنت تحبّين به
ابنَك يسوع.

لا تقولي لي إنّ هذا أمرٌ عسيرٌ،

أنا أعرفُ عَظَمةَ رحمتِك واتّساعَها.

لذلك لا أخافُ بل أنا ادعوك،

لإغاثتِها،

لإسعافِها.

رُشّي عليها جواهرَ المراحمِ الالهيّة.

طهّريها. لقد كانت أمّي على هذه الارض.

وكانت عيناها كعينيك تُحِبّان ابنَها الوحيد.

يا مريم،

كوني ملجأها

كوني سَنَدَها

كوني رجاءَها

كوني أنت

أمَّ أمّي

في السماء

مثلما كانت

هي أمّي

على الأرض.

تكلّمي عنّي لدى اللّه فأنا شقيٌّ ذليلٌ.

لا أستحقُّ نعمةً بل عقاباتٍ صارمةً.

لا أستاهل رحمةً بل دينونةً قاسيةً.

لكنّني قويُّ الأملِ برأفتك وحنانك.

لقد فوَّضك هذا السلطان والاقتدار.

وهو ذاتُه صيرَّ ذاتَه مديوناً لك،

لتوزّعي على المساكين مِنّا غنى مراحمه.

آمين

٣٠ نَوَّار ١٩٧٤

يا مريم

د. كمال يوسف الحاج

يا مريم،

إنسانٌ خاطئٌ أنا. ذنوبي كثيرةٌ، وجَهَالاتي كبيرةٌ. لأنَ الغرور أضلّني، في أوّل الطريق، إذ اعتقدتُ أنّني قائمٌ بذاتي، لا أحتاجُ اليك. هكذا انطلقتُ منذ بداية عمري. ورحتُ بسفينتي أمخرُ البحرَ الهائج. أهملتُك. أشحتُ بوجهي عنك. ظننتُ أنّني قادرٌ على السّفر وحدي هاهنا.

يا مريم،

أعترفُ اليومَ أنّي كنتُ جاهلاً. غبيّاً. بعيداً عن قلبك. كنتُ ابنَ الخطيئة المتكابرة. فلا العلمُ أفادني، ولا المالُ أراحني. لقد ربحتُ العالمَ كلَّه وخسرتُ ذاتي. لذلك اضطربَتْ نفسي وَسْطَ الزوابعِ التي كانت تقوم قيامتُها حولي. وأخيراً انثغرت سفينتي فوق الصخور الناتئة. وتكسّرَتْ.

يا مريم،

ها أنا راكعٌ أمامك، اليوم، نادماً على ما فعلتُ. أركعُ مكشوفَ الرأس، حافيَ القدمين، ممزّقَ القميص، مثخنَ الجراحِ، لِفَرْطِ ما

تقاذفتني الأنواء، وشلّعتني الرياح. لقد حاولتُ الخلاصَ بذاتي فلم أنجح. لذلك أنطرحُ على قدميك بنفسٍ أدْمَتْها الخطايا. لا تنفري مني. بل إرحميني. وأعينيني.

يا مريم،

أنا عازمٌ أن أغيّرَ سيرتي. أن أُصلحَ خَطَواتي. أن أكونَ ولداً بعد الآن لا يستظلُّ إلاَّ خيمَتك المقدّسة. فلا تُهمليني. لأنّني لا ألتمسُ منك خيرات أرضيّةً. جُلُّ هَمّي أن أطلبَ نعمةَ اللّه، وأن أطيعَ ابنَك الفادي، وأن أُحبَّك، لأنَّك مصدُر الحياة، ولأنّك قادرةٌ على كلّ شيءٍ.

يا مريم،

هل أنسى لبنانَ في صلاتي هذه. لبنان مسقط رأسي. لبنان وطني الحبيب. لبنان الذي أتنشّقُ هواءه العليل، وأشربُ ماءه السلسبيل، وأتنشّفُ بنور شمسه الدافئة، وأشمُّ عطرَ أزهاره الفوّاح. لبنان، الذي فتح لي صدره، وأعطاني أجملَ حواسّي، وعواطفي، وأفكاري. لبنان هذا، كُوني له درعاً وترساً في وجه أعدائه.

يا مريم،

وظيفتُك أن تتشفّعي. إذاً إصنعي معي واجباتِ وظيفتك. إذ ذاك أفوزُ بالتأييد، وإنْ كانت الدعوى التي تسلّمتها يداك عسيرةً لا رجاءَ من اكتسابها. أنا عارفٌ أنّي لن أرجعَ مقطوعَ الأمل من الخلاص إذا كنتُ

التجئُ إليك. أنا عارفٌ أنّني سأجتازُ الموتَ وفي بصيرتي نورٌ من لديك. أنت شفوقةٌ. أنت رؤوفةٌ. أنت رحومةٌ.

يا مريم،

لن أتغافلَ بالمقابل عن أن أخدمَك. عن أن أحبَّك. عن أن أهرعَ اليك دائماً وأبداً. يا قدّيسة مريم، يا والدةَ اللّه، صلّي لأجلنا، الآنَ وفي ساعةِ موتنا.

آمين.

٢٢ أيلول ١٩٧٤

واذكُرْ في الكتابِ مريَم

د. سعاد الحكيم

يا عروساً أقبلَتْ مِلءَ أُفْقِ المكان..

أقتربي.. تَنَزَّلي..

ضعي قدمَك في فَلاةِ صدري

واعبُري من كلِّ الكلِّ إليَّ..

انْشُري يا سيِّدتي على مرايا أضلعي

رقائقَ وجودِك المكنون..

جَلِّي سرَّ كونِك.. وأَشْهِدِيني.

آصحبيني إلى لحظاتِ عمرِك..

آخترقي بي طبقاتِ الزمان..

أوقفيني حيث شئتِ من الوَجد..

فأنا على قَدَمِ طُهرِك يَمشي كلِّي..

ومرهقٌ بدني من حملِ الكلمات..

نَظرتْ ظبيةٌ منّي إليّ..
وبإيماءةٍ مَلَكيّة
فَتحتْ لحظاتٍ أربع

I

نذرَتْكِ وأنتِ في غيب البطنِ وقالت كالمعتذرة:
إنّي وضعتُها أنثى.
إنّها لا تعلم.. واللهُ يعلم
بأنّكِ الواحدةُ المصطفاةُ من نساء العالمين.
... أنثىَ محرّرة من عيشِ الأغيار
استبقَ لكفالتِها نبيٌّ من صالح الأخيار
يا ربيبةَ المحراب.. يا مَهْبطَ رزقٍ بغيرِ حساب
لن أسألَكِ.. أنّى لكِ هذا.

II

نادتكِ الملائكةُ ثلاث
يا مريمُ إنّ اللّه اصطفاكِ..
يا مريمُ اسجدي واركعي..

يا مريمُ أبْشري بكلمةٍ منه..

إختيارٌ وإخبار..

لا تجزعي يا عروسَ القرآن..

يا صِدِّيقةً من لؤلؤٍ ومرجان.

لا تحتمي وراءَ كفّيك

مبرَّأٌ شهدُك عن ذوقِ إنسان.

III

قال وقالت..

قال: أنا رسولُ ربِّك..

قالت: أنَّى يكونُ لي غلام..

قال: آيةٌ للناسِ ورحمة..

حملتِهِ.. وعيناكِ على دنيا الناس
على نَبْضِ الناس

أسقطَ المخاضُ حجاباً كان بين المكانِ والمكان

من صدفةِ محرابِك.. أخرجكِ..

لتلاطمِ الظاهرِ بالظاهر.. شرَّعك..

«يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسيّاً»..

رويدَكِ يا أختَ هارون

يا نقشاً، أراده الله، أبديّاً في لوحٍ مصون.

IV

في مرفأِ مَن هو في المهدِ صبيّاً

ألقت سفينةُ إبحارِك مراسيها..

ناداكِ من حنوٍّ برِّهِ لا تحزني..

وقال من مقامِ ذاتِه من يُحيي الموتى بإذنِ ربِّه..

هزِّي إليك بجذعِ النخلةِ تَساقَطُ رُطَباً جَنّياً..

إفرحي يا أمَّ الرّوح..

كُلي واشربي وقُرِّي عيناً ولا تكلّمي إنسيّاً..

أنذري صمتاً.. أنذري نطقاً..

ضَعي قدمَك في كلِّ أرض

لقد وَلَدْتِ أباك*..

آذار ١٩٧٧

---

* الأب في اللغة العربيّة تعني الكلأ والرعاية، فيكون المعنى انّ السيّدة وَلدَت مَنْ سيرعاها ويهتمّ بشؤونها، تصديقاً لقوله تعالى: «وَبَرّاً بوالدتي» (مريم/٣٢).

السَّلامُ عليكِ

د. وليم الخازن

السلامُ عليكِ يا مريم! وكيف أتجرّأ على منافسة تحيّةٍ شعّت بها السماء، أفتتحُ بها مناجاتي.

أيّتُها الأمُّ الحنون، يا أمّي الباقية، لا أزال أطلبُ منكِ، لا يزالُ المؤمنون المعذّبون ذوو الغاياتِ الفانية يَطرقون بابَكِ مُلِحِّين صباحَ مساءَ، نهاراً وليلاً، وأنتِ تنقلين طلباتِهم الى العليِّ القدير بلجاجة وإلحاحٍ وإصرار، غيرَ مباليةٍ لمثلِ ما قد تسمعين منه: ما لي ولكِ يا امرأة!... ساعةَ يلبّي نداءَكِ.

والأشدُ إحراجاً للسماء، والأروعُ للأرض، أنّكِ طالما ظهرتِ وتظهرين بجسدك النُّورانيّ الطاهر لبعض المستحقِّين من بني البشر، فتحاورينهم حواراً محيياً، كما تشرَّفتْ وشرَّفَتِ الناس أجمعين برؤيتكِ الخادمة إيتيل فاغيت، والأخت كاترين لابوريه، والتقيَّة برناديت سوبيرو، والأخت لوسي في قرية «فاطمة». وكانت ابتسامتُك الآسرةُ خيرَ زاد لقداسة تيريزيا الطفل يسوع... إنّ محبّتَك لنا شوكةٌ تَكسِرُ شوكَةَ الجحيم، وتحسِّنُ ضَعفَنا البشريّ في عين الفادي المُفدَّى.

تطلبين منّا البساطَة وتقبُّلَ العذاب باستكانة وخضوع؛ ساعدينا على هذه النعمة. تطلبين منّا السهولةَ، ونحن نعقّدُ الأمورَ، نعقّدُ الحيَاة. تريدين الوَحدةَ، ونحن نَنقسِمُ ونقسّم. أسعفينا على بلوغ الصفاء والطيبة والبراءة ونقاوة القلب وحسن النيّة لئلاّ نشردَ عن دربكِ، دربِ الورود، ونحن مع داود النبيّ «طالما امتلأت نفوسُنا من هُزءِ المترَفين وإهانةِ المتكبّرين».

أرى يديكِ ممدودتين أبداً في اتّجاه المستغيث، والإنسانُ الجاحدُ يركضُ في ليلٍ مظلمٍ من الأهواء. يأبى اللقاء، يرفضُ النعمة. يطلبُ السعادةَ في غيرِ مَظَانّها. يتوّهمُ في نفسه القدرةَ، وإذا هو في براثنِ الشيطان؛ وتطلبين له الخلاصَ! تتألّمين وتتفتّحُ في نفسِك، مجدّداً، جراحُ الصليب.

تتألّمين، كيف لا وابنُك يتألّم؟ بل إنّ سَيفَ الألَم ما زال يَحزُّ في نفسك منذ ولادة القدّوس، منذ بشارةِ سمعان. تتألّمين وتبشّرين وتَشعّين أملاً ورجاءً وجمالاً، فتغمرين الدنيا بفيضٍ من الفرح والحبور. ورُبّ طِلْبَةٍ تبدو لك نافلةً لو تَقَدَّمنا بها إليكِ، فلستِ بحاجةٍ لمن يذكّرُكِ بشهداءِ لبنان.

ومتى؟ متى يا سيّدةَ لبنان، يا حارسةَ لبنان، يا محاميةَ لبنان، يا سيّدةَ النجاة، متى تَمُرُّ يدُكِ الظافرةُ على وطنٍ قَصَدْتِه يوماً وطاب لكِ فيه المقام، ولا يزال لكِ فيه وفي قلوب أهله المكَانَةُ الأولى. إنّكِ، ولا

شكًّ، تشتاقين إلى مغدوشة وقانا الجليل... متى تمرُّ يدُكِ الظافرة تَمحقُ الشرَّ وتعيدُ الحريّةَ والأمان؟ رُحْماكِ، بشِّرينا يا سيّدةَ البَشارة!

أسمعُكِ تجيبين: أحبّوا. أحبُّوا كثيراً. أخلِصوا الودّ. لا تشمخوا بأنوفِكم الصغيرة. ساعدوا المحتاج. اعملوا الأعمالَ الصالحة. صلّوا... والسلامُ لكم.

نيسان ١٩٩٤

مريم ...
أمٌّ وقيثاره

د. غسّان خالد

لا تَتركيني ...
باقيةٌ معكَ، تقولُ أمّي.
ويُدفئُني فِراشٌ أخالُه حُضنا
أكبُرُ ...
باقيةٌ معكَ ولو نسيَتني ... تقول.
ويحضنُني سريرٌ أخالُه كَفًّا
وتموتُ أمّي ...
صلِّ سآتيكَ في الحلم، تقولُ وصيّتُها.
وتَطلعُ في الليل حوريّةً ترنّمْ
نَمْ يا حبيبي ... نَمْ

«حبُّ الحكمة»* جَناحُ الحقيقة؟
جَناحٌ من ضبابْ
ألبَسَ الطيرَ الصقيعْ

فسقط الحب

رحلتْ أسرابُ الحنين في يَباس الأرضْ
عالمي قفرٌ وغابْ
أقتفي طيفَ السَّرابْ
وهماً لدربِ العمرْ
وهماً لدربِ التائهينْ
زورقَ الغرقى ... وخبزَ الجائعينْ
وصرختِ ...
من مغارةِ الحلم صرختِ:
الحقُّ أنفاسُ الزهورْ
ضوءُ أحلامِ الرعاةْ
وعِطرُ كلِّ الدامعينْ
من مغارةِ الحلمِ طلعتِ
وصيّةً تغنّي
تدندنُ «حكمةَ الحبّ» ... وتهمِسْ:
أكتبْ نشيدَ الحقّ

أكتبْ نشيدَ القهرْ
بدمِ الثوّارْ
الحبُّ عاصفةٌ
الحبُّ إعصارْ
أُجدلْ شراييني خيوطاً
باقاتِ أجفانٍ وزهرْ
تيجانَ كلِّ الأمّهاتْ
تيجانَ كلِّ الطاهراتْ
حِكمةُ الدنيا تراتيلُ العذارى
خَشْعةٌ ... بردٌ ونارْ
يبتهلنَ خاشعاتْ
أنا فيهنَّ صلاةْ
بسمةٌ ... إكليلُ غارْ

غريبٌ حبُّكِ، يا أمَّ كلِّ الأطفالْ
لكلِّ عصفورٍ منه حصّةٌ، ويحملُه كلَّهْ
في الذَرَّة كونٌ؟

في حصّتي أنفاسُ كلِّ البشرْ
نَبْضَةُ الدنيا، وأضواءُ الأبدْ

لكلّ شاعرٍ من جمالِك حصّةٌ، ويحملُ الإلهامَ كلَّهْ
بهاؤكِ سرمدٌ؟ أجل!
في كلِّ ليلٍ، من ضفائرِك يُنسَجُ الكونُ
في كلِّ فجرٍ من أشعّتكِ يُغزَلُ اللونُ
أكتبْ ... أرسمْ ... أرقصْ ... تقولينْ
سأستمرُّ مُعجَمَكْ ... ريشتَكْ وإيقاعَكْ
سأستمرُّ فيكَ اللحمَ والدمْ
صوتَ كثبانٍ بلا تاريخْ
نشيدَ الهياكل
صرخةَ التامْ تامْ ... في وحشةِ القبائلْ
لحنَ الصوامعِ في سكون الليلْ ... في صلاةِ السّنابلْ
وسأبقى صفيرَ الريح تغزو القفارَ
نداءَ الجوارحِ في القممْ
الليلُ أُرغنٌّ والفجرُ قيثاره

غنِّ ...

غنّني ...

أنا في الكونْ حُنجرةُ النَّغمْ

بلا خطيئةٍ ... كأنّكِ منَ رَحِمِ لبنانَ وُلدتِ

بلا خطيئةٍ ... كأنّكِ من روحِ لبنانَ حَمَلتِ

منذ ألفي سنةٍ تَعرقْ بدمعكِ جباهُ الصيّادينْ

جباهُ الفلاّحينْ ... وعيونُ كلِّ المعذّبينْ

كأنّكِ، منذ ألفي سنة، من أجلِنا تبكينْ

كلُّ بيتٍ عندنا مذودْ، وكلُّ زهرةٍ إكليلْ

نُجَمِّعه «بخورَ مريمْ» لأنَّك في البراعمِ تنامينْ

في ترابنِا تُصلَبين وتنهضينْ

وعبَره هذا البخورَ تنادينْ:

أحيا لكم في الباسقاتِ البكرْ

في عاتياتِ الصخرْ

في باكياتِ الزهرْ

وفي أريجِ الياسَمينْ

لا تحلو ألقابي: نجمةُ الصُّبحْ، سلطانةُ البحرْ، مليكةُ السّماءْ

لا تَقُلْ: يا سيّده، كأنّني امرأةٌ ... هناكْ
نادِني في غربتِك. أكتبْ على كلٍّ مفترقٍ: دربُها من هنا!
سيفهمُ الطاهرون
فأحضُنُ مواكبَ الأطفالْ
مواكبَ اليتامى والمشرّدينْ
أتمرَّى في عيون العاشقينْ
وتُسمِعُني الجموعُ نداءً أُحِبُّهْ، إسماً أحبُّهْ
إِعطنيهِ ... إِعطنيهِ وخذْ كلَّ النعوتْ
فأنا ... أمٌّ أنا
لستُ تاجاً، لستُ عرشاً
لستُ من مجدٍ يموتْ
وحدَه الحبُّ صلاتي ... صَلِّهِ
صَلِّهِ يا طفليَ الباكي ... ونمْ
نَمْ يا حبيبي ... نَمْ

سيّدة الورديّة – زوق مصبح – ١٩٩٤

---

* الفلسفة

آيات للشهر المريميّ

فؤاد الخشن

مريمَ الطُهر، أيا وجهاً سماويّاً منمنمْ
ببراءاتِ الطفولهْ
أطَّرته هالةٌ شفّافةٌ
بغُلالاتِ السناءْ ...
عندنا من حسنِك القُدسيِّ تُتْلى سورتانْ
لبهاءٍ آسرٍ منزلتانْ:
سورةٌ في «آل عمران» وسورهْ
كالندى سَلْسَلَها من أجلِ «مريمْ»
خالقٌ قطَّرَ نورَهْ
داعياً سيّدةَ المهد المُضاءْ
للّذي شاء بوحيٍ
عُلَويٍّ أن يَقولَهْ:
«نجمةَ الإِصباح يا عذراءُ» إن رنَّ النداءْ

في غماماتِ الذُرى فانتبذي
من حِمى الأهل مكاناً مَشْرقيّا
خافياً عن أعين الناس، قصيّا
واطمئني أُختَ هارونَ، ولو
ظهَرَ الطيفُ مُريباً، هامساً
في حنايا كوخِك السرَّ الخفيّا
أنت يا عذراءُ لم يَمْسَسْكِ إنسانٌ، فلا
تَرهبي مَن لاحَ طيفاً زائراً
في الضحى، هذا الخِباءَ المغلقا ...
هي روحُ اللّهِ من عليائِه
في كثيفِ الطين حلّت ألَقا
وتراءت بشراً فيه سويّا
فأطيعيه لأمرٍ لا يُردُّ
حاملٍ فوحَ التُّقى من أزلٍ
دائمِ الطّهرِ إلى يومِ الأبدْ
فالإِلهُ المبدعُ الكونَ اصطفاكِ

من فراديسِ ذُراكِ

شُعْلةً للهَدْيِ يعلو نورُها

قَبَساً فوق نساءِ العالمين

فاقنُتي يا مريَمُ الخبرَ اسجدي

وَرَعاً بَشَّرَكِ اليومَ الإله

بغلامٍ هو أسمى كَلِمَهْ

من مُضيئاتِ حروفٍ لسناهْ

في مدى الكونِ الفسيحْ

إسمُه عيسى المسيحْ

سوف تحتَ النجمةِ المرتسمِه

بوقوفٍ فوقَ طفلٍ

في دجى المهدِ وليداً يتكلَّمْ

مُرعِباً كلَّ مليكٍ متألِّهْ

بمصيرِ الناسِ ظُلْماً يَتَحكّمْ

وإذا فاجأكِ الوضْعُ بآلامِ المخاضْ
فاسندي الظهرَ إلى قامةِ نخلَهْ
وخذي المائسةَ السمراءَ بالكفّينِ
شُدّيها إليكِ
تحت أعرافِ سُعوفٍ بانتفاضْ
واسأليها الثمرَ الأشهى تُسَاقطْ
بالتِواءِ الخَصرِ في الرِّيحِ عليكِ
رُطَباً من خيرها حُلواً جنيّا
أَطلقي في عالمٍ جَمِّ الذنوبْ
لخلاصِ الناسِ هذا الناصريّا
بعد أسمى حَبْلٍ لامرأةٍ
حَمَلَتْ من غير إثمٍ أو دنسْ
نوّري الدنيا بضوءٍ باهرٍ
من تَجَلّي وجههِ غضّاً نديًّا
بَدّدي يا أُمَّه هذا الغَلَسْ
واسطعي يا نجمةَ الكونِ السنيّهْ

أملاً يَهمي ضياءً عائداً
بعد هذي الظلمات القَبَليّهْ
عَلّنا عن عادة التكرارِ في الذنب نتوبْ
ونرى مَن يَنصبُ الفَخَّ لنا
فهنا مهدُ السنا في «بيتَ لحم»
هاجَرَت نجمتُه منتقِلَه
نحو مَنفىً في المسافَاتْ بعيدْ
عندما عاد إليه القَتَلَهْ
بصليبٍ للعذاباتْ جديدْ!
بَللّتهُ في طريقِ الجلجلهْ
بِلَظَى الدمعِ عيونُ المجدليّهْ

أُمَّ مَن يَمشي على الماء ويُشفي
لَمْسُهُ المَرضى ويُحيي الميّتينْ
وطني الأحلى الذي كان نعيمَ البَرَرَهْ
في الثرى أنكرَ ربَّهْ
فهوى شِلواً كسيحْ

ناسياً من حقدِهِ النهّاشِ، إنجيلَ المحبَّهْ
ووصايا حَمَلِ الحُبِّ الوديعْ
فَلهذي الجنّةِ المُختصَرَهْ
عند بابِ الشرقِ يا أُمَّ الأنامْ
هل تكونين الشفيعْ
عند فادٍ قال في مِذودِهِ السّاجي: «سلامٌ
عاطرُ الفوح عَليًّا
يومَ أُولَدْ
وسلامٌ عندما الموتُ يوجِّهْ
سهمَهُ يوماً إليًّا ...
ومتى أُبعثُ حيّا!»

أَنقِذينا وَلْيُضيءْ نجمُ الهدى
في ليالينا الدجيّهْ!
زادُنا قَلَّ، فما في سلّةٍ
تُرتجى غيرُ رغيفٍ واحدٍ

لغدِ الجوع، وهذي السمكهْ

فلهذا قد كَفَرْنا

بالذي لصَّ حبوبَ السنبلَهْ

ودهانا بفراغ الشبكهْ

في شطوطٍ حَضَنَتْنا حينما

أقفلَ اليأسُ علينا حَلَكَهْ

فلْتبارِكْ كفُّ عيسى ما تبقَّى عندنا

علَّ هذا الليلَ يجلو عن مدىً

ضاقَ عن أنفُسِنا المرتبكهْ

وَلْتدحرِجْ في الدياجي حجراً

عن بهاءٍ بقيامٍ يَتَجَدّدْ

قبلما يَرْزُقُنا اللهُ بِمَنْ

لا يُخلِّي بحِمانا في غدٍ

غيرَ شوكِ الحَسَكهْ!

وذمَاءٍ تحت أثقالِ المحنْ

في ضُلوعٍ لاهثاتٍ يتردّدْ!

مُنبتَ الأزهارِ يا نوَّارُ، يا شهرَ «البَتولْ»
والنقاءِ المريميّ
بالذي يُنشِدُهُ حتى الحلولْ
ذاهلٌ تحتَ انخطافْ
وتلاشٍ يترنَّمْ
بتراتيلٍ شجيّاتٍ ارتجافْ!
أيُّها اللابسُ في دوراته تاجَ الفصولْ
وبخُطواتِ ضياءٍ يتقدَّمْ
إنْ عرى الحسنُ بلبنانَ الذبولْ
فاسقهِ من وجهِ مريمْ!

إنَّه جنتُنا الأحلى على الأرضِ وفيه حلمُنا
في ربيعٍ مُقبلٍ تحت الكِمامْ
لعيونِ الزهرِ في تُربتهِ
سحرُ إلتفاتْ
وقناديلُ سنىً في جبلٍ

شامخٍ تَحرُسُهُ أمٌّ يسوعْ
ويراه العابرون
بخُشوعٍ واندهاشٍ من هُنا
غارزاً في الغيم رمحاً أخضرا ...

وهنا الحَدْسُ الذي يُنبِئُنا
بعد ليلاتِ السُرى
بالذي سوف يكون ...
يَقْظَةٌ في أرضِنا الخضراءِ تُنسينا الهجوعْ
ربما كان بها بعد الشَتاتْ
في دياجيرِ المتاهاتِ لنا
لجنانِ الخيرِ والحُبِّ رجوعْ!

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٢

مَرْيَم

المطران جورج خضر

وبقي الفردوسُ شاغراً من حوّاء
وانبثّتِ الغوايةُ في دنيانا
حتى توجعَ الله.
جعلوا لأنفسهم فراديسَ باطلة

أصواتُ أنبياء تدوي
وتعبر البرارةُ كالنيزك
ووجوهٌ تُصطفى وتُطَهّر
في عهدٍ عتيق
وعليهمِ اللهُ يَملك
أو يُرفضُ المُلكُ حتّى
«قامت الملكةُ عن يمينك مشتملةً بثوبٍ مُذْهَبٍ موشًى»
فانصبّتِ النعمةُ عليها «وتَقَبّلها ربُّها بقَبولٍ حسن»
فشدتِ الجمالَ والعطرَ في جنائنِ الشّوق

«مَن هذه الطالعةُ من القفر كعمودٍ من بخورٍ معطّرةً بالمُرّ واللُّبان»
يشكو الإلهُ عزلَته. أولادُه غياب
«أختي العروسُ أطيابٌ وعسل» يقولُ الرّبُ الإله
إفتحي لي حتى أسكنَ إليك واطمئنَّ
إنّ الانسانَ يَستطيبُ وجهي
وألفةُ عدنٍ تُستعاد

«ما فضلُ حبيبِك على الأحبّة أيّتُها الجميلةُ في النّساء أيّتُها الحسناءُ كأورشليم»
عرفوه في ابنه
هذا المصطفى
واختفى فيكِ اختفاءَ الشمس
لَمّا جبريلُ حكى.
يا خيمةَ الله أضحت وحدَها الكون،
يا من بها اتّخذ اللهُ وجها،
يا من أضافتِ النّورَ في تراب،
آيتُكِ أنّكِ حنينُ الدنيا الى الطّهر
الى إيلادِ اللهِ في عَتَماتنا

يا مَن تُسْكِنُ فجرَ الخليقةِ الأولى في طهارتها

حيثُ يلتقيكِ مَن وَلَّى وجهُه الى الضياء

هَمُّك المرميّون في آلامهم وعلى الدماء، الذين عُدموا الفرحَ «ليس عندهم خمر»

المصلوبون على طرقات التاريخ، السّاقطون على حافّاته، المشطوبون من حسابات الكبار، من ميراث الأقوياء

حتّى لا يندموا على الطفولة

«سيجوز سيفٌ في نفسك» وفي لحومنا

حتّى اختتامِ الزمان

ومن دماءِ الاطفال يُولد ابنُ البشر

من عذريّتهم يأتي ومن كلّ عذريّةِ قلب.

الملّوثون كُثُرٌ وكذا الغاصبون.

والرّوحُ البتولُ ليست مدينةً لأحد

فبنورِها تعاينُ النّور

ولا أحدَ يزرعُ فيها نَزوةَ بشر.

وما أُوتيتِ من العِلم إلاّ من ربّك

«وكانت أمُّه تَحفظُ ذلك الكلامَ كلَّه في قلبها»

كذا راحت البتوليّةُ على مرّ العمر
«اذْ قالتِ امرأةُ عمرانَ ربِّ إنّي نذرتُ لكَ ما في بطني محرّراً»

وماشَتْه حتى الرّابية التي رفعوه عليها
حيث قال للحبيب: «هذه أمُّكَ
ومن تلك الساعة أخذها التلميذُ الى خاصّته»
وأنتِ أبداً حيث مَوَدّاتُ يَسوع
وعند الكأس وعند صَحْوِ السُّكر
حتّى نشرَبها ثانيةً في ملكوتِ الآب

صَبوتِ إليه حتى اخترقتِ المجدَ
«مشتمَلةً بالنسائجِ الموشّاةِ بالذّهب»
لذلك يشتهي النفوسَ العرائس
حتى تَبلغَ الذهولَ
مع حوّاءَ الجديدة
في الفردوس المستعاد.

١٥ آب ١٩٨٠

مريم

سمير خليفه

وشافْ حالو صارْ
بين ليلهِ وأُختها ختيارْ
ولَّع بنص الليل سيكارهْ وقَعَدْ
وصار يتخايل مَرَا وْحَدًا وَلَدْ
وما كان في حَدُّو حَدَا
بدُّو مَرَا حَدُّو
بدُّو وَلَدْ وجُّو بيضوِّي بلادْ
يتشيطن، يوَقِّف ع صبيعو السما
بشعه السما بلا شيطنِه
بشعه السما
بلا ولادْ

بدُّو وَلَدْ
ت يخبّرو سرُّو العميقْ

يبري الخطيِّه ويمحِيَا
يقطف العتمِه، يشك صابيعو فِيا
يفرك جبينا بالحبق ويضوِّيا
يْهَبِّط بيوت البغضْ
ويصير يترجّي الوردْ
يوقف لحالو عالطريقْ
يطلع بلا شوك. يقعد عالأرض

بدُّو وَلَدْ
وِسْع السما إيدَيْ
يشعشِع مثل شمس الأحَدْ
يْدِلّ البحر عَالفَيْ
يْهَدِّي الشمس عالميْ
يوطِّي السما
حلوِه السما وبتصير أحلى كتيرْ
يمكن اذا بتصير أوطى شويْ
وفكِّر ينقِّي بنت ت يصيِّرا إِم الدني

جديدِه بتلمع متل تفّاح السنِه
نقّى البنت مريمْ
وصار يتطلَّع فِيا ويلِمّ
عن وجها الأبيض حنان الأمّ
ويتخايلا...
متل العروس الرايحه عالعرسْ
متل الحمامِه اللابسِه تياب العنبْ
وْغَاطّا عالشّمسْ
عم ترتاحْ
مارقه بها لأرض متل البرقْ
تمسح الشحتار عن وجّ الشرقْ
ودمعة الموت،
وغبرةْ التفّاحْ
ويتخايلا...
ويحلم بأرض مقدَّسِه
بشعوب بيضا مهفهفِه

من النّوم عم توعى

الإيدين صوب الربّ مرفوعة

نقّى البنت مريمْ

الله بحبّا كتيرْ

علّق بدينيها السما

جبلا صبي من الرّيحْ

هوّيٍّ الخبز والخمرْ

هوّيٍّ النَقَا والضّو وطول العمرْ

رَشّ الفَرَح عالنّاس نقّطلن حريرْ

جبلا صبي..

ت كلّ ما نام ووعي..

وكلّ ما يجي عَبالها تهزّ الدني

تهزّ السّرير

فتّح جرح مريم ونقّط عالزّهر

دم الزّهر بخّور

صلُّو معي لمريم العضرا لأِمّ النّورْ

لسيّدة لبنان، زنبقة الطّهرْ

زيحولا صورتا

شايف يسوع الناصري بتطليعتا

عم تقطع بهالغيم وصلت عالدّني

كلّ الدني تراتيلْ

عَ بابْ قَلبا مْعَلَّقه الإنجيلْ

غطِّت سما لبنان

بِشَعرا الطويلْ

الأطفال لبسوا تيابن من الصّبحْ

العصفور راكع عالشِلحْ

المجد كِلُّو هونْ

مريم عم تفرِّق بياضا وطلِّتا عالكون

وترشح حَلاَ

الكون طار وصار ترتيلة صلا

يا إِمّنا يا مريم العضرا

يا تلج ما بيتْعَب ولا بيدوبْ

يا شِعر ع ورق السما مكتوبْ

بيتَعَب الإِيدينْ

وبيدَهَب لقلوبْ

الكلمه لكِ

الطاعَهْ

الحكي

بإسم الشعوبْ

١٩٩٤

مريم... وعصافيرُ القصائد

إيلي مارون خليل

I

أظلمَ إيقاعُ الفرحِ
انطفأتْ إشراقةُ القلوبِ
وانكسرَ أملٌ مؤمنُ
يا مريمُ!
وأنا أحبُّكِ
فأنتِ المدى
وأنتِ الرّجاء.

II

العالمُ عَتْمَةُ أجسادٍ
ظلالُ حزنٍ وغربةٍ
أوهامٌ واكتئابُ
يا مريمُ!

وأنتِ دِفءُ المطالعِ
حكمةُ الشّمسِ
تَواضُعُ السّنابل.

III

انسكبتِ في بهاءِ النّوايا
فالسّهولُ خصوبةٌ
والدّوالي نضارةٌ
يا مريمُ!
وأطْلَلْتِ في زَهْوِ الحواسِّ
فالبيادرُ عطاءٌ
والعصافيرُ قصائد.

IV

يا مريمُ!

بحقِّ الفَراشِ في المَدَى

بزوغةِ أحلامِ الأجيالِ

بحياةِ النُّورِ في الأحداقِ

مُدّي يديكِ

إمسحي جبينَ الأكوان

أكتبي أزهارَ الحُبِّ والصَفاء.

V

يا مريمُ!

بروعةِ نَبْضِ الجمالِ

بدهشة قِلوبِ الأطفالِ

بطيبةِ القدّيسين

إلتفتي نحونا

أَضيئي عتمةَ السِّنين

أعيدي معالمَ البَدْءِ.

VI

يا مريمُ!

يا نجمةَ التّائِهين

يا سَنَدَ المتعبين

تَدَبَّري أمرَنا

وكُلُّنا غَرْقَى

يَفترسُنا الهمُّ

وأنتِ أمٌّ!

١٩٩٤

صـــلاة

المطران بشارة الراعي

١– السّلامُ عليكِ يا مريم.
من الأعماقِ، من وَحشةِ الليلِ الطويل،
من الوجعِ الزاهرِ بألفِ حلمٍ وسَفَر،
من الحرائقِ، تَشتعلُ في الوطنِ والصدور،
اتحدَّثُ اليك، يا سيّدةَ الجراح، يا أمَّ الألم.

٢– أهتِفُ،
تتدحرجُ الكلماتُ،
تنحني على قدميك،
نحوَك أتطلّعُ، أيّتُها الآيةُ العظيمة، الظّاهرةُ في السماء،
أيّتُها المرأةُ الملتحفةُ بالشّمس،
وتحتَ قدميها القمرُ،
وعلى رأسِها إكليلٌ من اثني عشَرَ كوكباً (رؤيا ١٢/١)،

أهتِفُ لك، يا رايةَ النصر،

يا قائدةَ المعركة،

يا قاهرةَ التنّين،

وأصلّي...

٣- من أجلِ عهدٍ جديد، أصلّي،

من أجلِ انسجامٍ في الكونِ والتاريخ، أصلّي،

من أجلِ كرامةِ الانسان، في لبنانَ، أصلّي،

من أجلِ انتصارِ مُلكِ المسيحِ المجيد، أصلّي،

من أجلِ عودةِ صورةِ الآبِ البهيّةِ الى وجهِ الأبناء، أصلّي،

من أجلِ البشرّيةِ المتصالحة، من أجلِ مسيرتِها الى الأمام،

من أجلِ سفينةِ الخلاص، لكنيسةٍ، تَشُقُّ عُبابَ بحرِ العالم،

أصلّي... وأصلّي.

٤- من هذا الديرِ العتيق،

حيثُ الحجارةُ تتنفّسُ عطرَ صلاةٍ، وعبيرَ حضارة،

حيثُ التّرابُ غنيٌّ بالعَرقِ والعطاءِ من زنودِ الرّهبانِ المكرَّسين،

حيثُ السلالمُ أوسمةُ جهادٍ لا تتعب،

حيثُ الكنيسةُ الصغيرةُ تَحكي حكاياتِ القدّيسين،

وجوهاً، وصناعةَ تاريخ؛

حيث الخمرُ، ارتواءٌ من دمِ يسوعَ، يَفدي ويُسكِر،

حيث الفجرُ لا يتوهَّجُ إلاّ على عينيك الطاهرتين،

حيث المساءُ لا يُغمضُ إلاّ على رسمةِ صليب،

يرتفعُ بين أرضٍ وسماء،

وعلى الجبين؛

حيث شجراتُ اللوزِ والزيتون،

تتلمَّسُ بياضاً من وجهِك الجميل،

تَعكِسُه نداءاتُ سلامٍ وجودةٌ ورموز؛

حيث طفولتي مرسومةٌ أخيلةً وأحلاماً وصوراً،

على المقاعدِ، والقناطرِ، والأروقةِ والأبواب،

حيث أنا، مرصودٌ على اسمِ مريم،

أصرخُ اليك،

وأصلّي...

٥– مع افرامَ وجوقِ القدّيسين أصلّي:

طوبى لك، أيّتُها الامُّ المملوءةُ نِعماً،

إنَّ الاجيالَ كلَّها تطوِّبُك،

الطوبى العظمى بالصَّوتِ العالي،

لأجلِ الوليدِ العجيبِ الذي أشرقَ منك.

جميعُ الشعوب تطوِّبُك،

يا ابنةَ الآب،

وأمَّ الابن،

وعروسَ الرّوح،

طوباك... ونصلّي...

٦– باسمِهم، باسمِ هؤلاءِ المكرّسين، المدعوّين، الواقفين حياتَهم على خدمةِ أسرارِ ابنِك،

باسم اخوتي في الرهبانيّةِ، ومثلَهم، ومعَهم،

أتذكّرُ...

أتذكّرُ قصّتي معكِ، يا أمّي، يا أمَّنا:

بيني وبينك، يا عذراء،

علاقةُ عمر.

وعمري، لا سنواتٌ ولا رُتَب،

قبل أن أكونَ، كنتِ معي،

وكنتُ معكِ،

بسرِّ ابنِك.

«تبارك اللّهُ الذي بالمسيح،

باركَنا بكلِّ بركةٍ روحيّةٍ في السماء،

واختارنا بالمسيحِ، من قَبْلِ إنشاءِ العالم،

لنكونَ أمامَه بلا عيبٍ» (افسس ١/٣-٤).

نسيمُ ضيعتي، بخورُ مريمَ، وذكرياتُ رَفقه،

وأمّي، يا طيبَ التُّرابِ، يُومئُ اليكِ، بألفِ حُبٍّ وحُبّ،

ويداكِ تناديان الطفلَ الصغير،

وألبّي... أستجيبُ،

أحملُ عمري على ظهري، وأمشي،

فَرَسي شوقٌ الى اللامنظور،

أتابعُ السَّيرَ،

رائعٌ دربُ الصّليب،

وأصلّي...

٧- من أجلِ الأمانةِ في الجوابِ والإلتزام، أصلّي،
من أجلِ إخوتي المدعوِّين، المكرَّسين، أصلّي،
من أجلِ شبيبتِنا وشابّاتِنا، يَلفحُ خاطرَهم نداؤكِ، أصلّي،
وأصلّي...

٨- آتٍ اليك، الليلةَ،
كلماتي، أَوَدُّها عِقدَ ياسمينٍ لقدميكِ،
وحروفي، منديلاً لدمعةٍ على لبنان،
على الشّعب،
على الانسان؛
واسألْكِ! إلى متى؟
إلى متى، سيبقى لبنانُ جلجلةً ووادياً للدموع؟

٩- ثلاثَ عَشْرةَ سنةً وحديدٌ ودخانْ،
وطَّنوا فينا الفواجعَ،
جرَّبوا فينا المدافعَ،

جعلوا أرضَ الطهارةِ، أرضَ كُفرٍ وحقاره.

مَسَخوا الانسانَ،

انتهكوا صورةَ الألوهةِ فيه.

تاجروا بالدّين، باللّه، بالمقدَّسات،

حَوَّلوا الحُبَّ حرائقَ،

أطفأوا العُرسَ، عويلاً وبنادقَ،

قتلوا الاطفال،

ذبحوا وَردَ الجمال،

دنّسوا أمّاً وأمّةً.

١٠ – فلماذا؟

وعلامَ؟

وأصلّي... وأصلّي...

أنتِ الصلاة.

على أقدامِ صليبِ أبنائك، الذين في لبنانَ، تصلّين.

ومعك أصلّي.

أنتِ الصلاةُ.

على مذبحِ أبنائك، الذين، من قلبِ ابنك المطعونِ بالحربة، وُلدوا،

تواصلين التَّقدمةَ، ولا أثمنَ

تَتَعَرَّين من كنوزِكِ، حُبّاً ولا أعظم.

١١- وأصلّي،

من أجلِ ولادةٍ جديدة، بقوّةِ الروح العَليِّ،

للبنانَ، لشعبِه، لانسانِه،

أصلّي وأصلّي...

١٢- باسم اللبنانيين،

باسمِهم، هنا،

باسمِهم، هناك،

باسمِهم، هنالك، في ملجأٍ، وراءَ بحر، في غُربة،

باسمِهم، في المقابر،

باسمِهم، في أقبيةِ الأَسْرِ والعذاب،

باسمِهم، مرضى ومعاقين وفقراءَ ومُعْوَزين،

باسمِهم، أيتاماً وأراملَ وشهداء،

أصرخُ اليك، يا مريم،

يا حوّاءُ الجديدة، يا أمَّ الاحياءِ والحياة،

يا امرأةَ كلِّ الصلواتِ والأغنيات،

يا سيِّدةً تُتَوِّجين القممَ والصدور،

يا سيِّدةَ لبنان،

أَهتفُ اليك.

١٣– في سَنةِ يوبيلكِ، في عهدِ النِعم، في أيّام الرّجاء

أقولُ لك،

لقد اشتقنا، يا عذراء.

اشتقنا إلى العيد،

إلى السلام،

إلى العرس،

قولي له، بحقِّ الجراحِ والمسامير،

قولي له، بحقِّ الطعنةِ التي مزّقت أحشاءَك،

قولي له، بحقّ القيامةِ والمجدِ والعنصرة،

قولي له، ليسوع:

«لقد فَرَغَتِ الخمرُ»!

إنّي أسمعُ صوتَه:

«ما لي ولكِ يا امرأة»؟

ولكنّه سيفعلُ،

ويبدأُ العرسُ.

ويَفيضُ خمرُ الفرحِ والنّشوة،

وتَصرخُ صبايا لبنانَ والأمّهات!

السلامُ عليك يا أرضَ لبنان،

والسلامُ عليكِ يا مريم.

آمين.

في سيّدة اللويزة – زوق مصبح
أيّار ١٩٨٨

وجه الرّضى

الياس ربابي

يا حلاوةَ أيَّار في بلادِ الطِّيب والجمالِ عندنا!..

ويا حلاوتَه، بين إخوته الأحدَ عشرَ، شاعراً يَشدو بتسبيحِ العذراءِ مريم، وكاهناً يوقدُ مجامرَ البخورِ في هياكلِ حبِّها، ومتعبّداً يُفرغُ قواريرَ العطرِ وسلالَ الزّهرِ في طوافاتها ومزاراتِها، ومرتّلاً يَهتفُ مع العديدِ من المرتلّين والمصلّين: «يا أرزةَ لبنان، تضرّعي لأجلِنا!»

ويا حلاوتَه، في هذه السنةِ المريميّةِ الفريدة، يَضمُّ الى العزِّ القديمِ هذا العزَّ الباذخَ الجديد، وينقشُ في جبينِ الزمنِ الآيةَ التي لن يَنصلَ لها لونٌ ولن يبهتَ لها لمعانٌ ما دام على صفحةِ الأرض مسيحيون، وما دام في السماءِ إلهٌ هو المسيحُ، وأمٌّ له هي مريمُ عليه وعليها ألفُ سلامٍ وسلامٌ.

لستُ أذكرُ في الديانات الحيّةِ ديانةً غيرَ النصرانيّةِ فيها للمرأةِ الوجهُ الصَبوحُ، الرضيُّ، الجميل. ووجهُ المرأة في الوجودِ دفءٌ للمقرور، وعزاءٌ للمفجوع، وبلسمٌ للجريح، وملاذُ صفاء وهناء للهاربِ من كَدَرٍ وجَزَع، وواحةُ ندىً وظلالٍ للتّائه في صحراءِ حَرٍّ وظمأً. وتنظرُ إليه، وانتَ المتعبُ المثقلُ بهمومِ القلقِ وهواجسِ الخوف، فإذا الكوابيسُ تنزاحُ عند أوّلِ نظرةٍ تَهِلُّ عليك، وإذا أنتَ على طمأنينةٍ فيها

الكثيرُ الكثيرُ من طمأنينة دنيا العلاء؛ وتنظرُ إليه، وأنتَ الضعيفُ العاجز، فإذا وَمْضةٌ خاطفةٌ من سَناهُ تبدِّلُ من ضعفك قوّةً، ومن عجزك اقتداراً، ومن أحجامك إقداماً، ومن وَهنك تصميماً ومَضاء، وإذا أنتَ في طليعةِ السائرين في الطريقِ الصاعدةِ الى خَلْقٍ ونتاجٍ وبقاء؛

وتَنظرُ اليه أنت اليائسُ في محنة، والكافرُ بمصير، والسّاخطُ على بَشر، فإذا بريقٌ عابرٌ من نعومةِ عينيه يملأُ صدرَك بعذوبةِ الرّجاء، ونشوةِ الايمان، وغبطةِ الحلم، وإذا البشرُ جميعُهم إخوانٌ لك محبّون، وإذا المصيرُ جنَّةُ بَرَكةٍ ونعيم، وإذا المحنةُ أثرٌ بعد عَين، في فَرَجٍ عارمٍ زاهي الأسارير؛ وتنظرُ إليه، وأنت الفقيرُ لا رغيفَ في متناولِ يدك، ولا قميصَ إبدالٍ في خزانتك، ولا فلسَ أبيضَ ليومٍ أسودَ في جيبك، ولا عملَ يومٍ يَدفعُ عنك ضيقَ غدك، فإذا إيحاءٌ عُلويٌّ من جبينه الوضّاء يُشعرُك بأنَّ ثرواتِ الأرضِ كلَّها تَحقُرُ وتتضاءلُ أمامَ ذلك النّورِ السَمْحِ، وإذا أنت، في مهرجانِ وَهْجه، أعزُّ ممن شاد عزّتَه على ذَهبٍ ونَشب.

وَتنظرُ اليه، وأنتَ الخاطئُ المذعورُ من حساب الدينونة الرهيب، فاذا معنىً واحدٌ من معاني رحمته وغفرانه – وما أكثَرها وما أنبلَ يدَها! – يُعيدُ إليك الثّقةَ بالآتي، ويُشيعُ في صدرِك كلَّ معاني الأملِ والطموحِ الى خيرٍ وغَلَبةٍ ورجاء. وتَنظُر اليه وفي العينِ جمرةٌ، وفي الحلْق غصّةٌ، وفي الجوانحِ كآبةٌ، فإذا ابتسامةٌ واحدةٌ من ابتساماته المشرقة، تعطيك من الجمرةِ بَرْداً وسلاماً، ومن الغصّة حُبوراً وانشراحاً، ومن الكآبة أنساً وبهجة، وتنزلُ بالسّماء الى أرضك، أو ترتفعُ بالارض الى السّماء المعدَّة لك...

ذلك لأنَّه وجهُ المرأة، ولولاه لَكانت الحياةُ عبوساً وجفافاً، ولَكانتِ الأرضُ خشونةً وقسوة، ولَكانَ حظُّ الظلامِ فوق حظِّ الضياء... بل لأنه وجهُ «المرأة – الملاك» وجهُ العذراءِ مريم، وجهُ الجمال الذي ليس بعدَه جمالٌ، ووجهُ الحنان الذي ليس أصدقَ وأعمقَ منه حنانٌ، ووجهُ الحبِّ الذي لا ولن يَعدِلَه أيُّ حبّ!

وكيف نَذكرُ هذا الوجهَ ولا تتجلَّى لنا في قَسَماته وتعابيرِه صورةُ الأمومة – وهي في الصّورِ أكرمُها وأسخاها بأضواءِ التفاني والإيثارِ وإنكارِ الذّات؟

وأيُّ أمومة عبقرّية هي أمومةُ العذراء!. فمنذ اختارتها عنايةُ الله أمّاً للفادي الأكبر، رَضيتْ لنفسها بأن تعانيَ كلَّ ما عانته فيما بعد، من ألوانِ البؤسِ والنَكدِ والألم. ولا هدفَ لها، ولا مطلبَ سوى إنقاذِ الإنسانيَّةِ من وثنيّاتِ الجهل واللحم والتراب:

ففي مغارةِ بيتَ لحمَ حملت، وطفلُ المذود، قسطَها الثقيلَ من الحرمانِ والعذابِ والشقاء،

وفي طريقِ الفرارِ الى مصر، طلباً للنجاة من مجزرةِ هيرودس، كابدت أقسى ما يكابدُه مُهدَّدٌ في ما هو أغلى من حياته، من مشقّةٍ وهلعٍ وغمّ،

وفي معيشةِ الخفاء، وقد عاشها الناصريُّ ثلاثين عاماً، كان قلبُها الكبيرُ سياجاً ودرعاً وترساً له، والشّوكةُ التي كانت تَجرحُ بنانَه كانت تَنزلُ حربةً في خاصرتها،

وفي سنواتِه الثلاثِ الأخيرة حملت معه وعنه، من ضنى رسالته العظيمةِ ومرارةِ كفاحِه في سبيلها، ما لم يُكتبْ لأمٍّ أن تَحمَله من قَبْلُ أو بَعد،

وفي أسبوعِ استشهادِه وآلامه، في شوارعِ أورشليمَ الصاخبةِ بعربدةِ جمهورٍ جاهلٍ أسكرته رائحةُ الدّم، وعند جذعِ الصليب على رابيةِ الجُلجلة... في كلٍّ ذلك بلغتْ مأساتُها شدّةً وعنفاً وإمعاناً في الشدَّة والعنف، قلّما أُثِرَ عن نفسٍ بشريّة، سوى نفسِها، أنَّها استطاعت أن تصمدَ لها. وما قاسته من سَحقِ الهول ومَحق الفجيعةِ لا يُقاسُ بمقياسٍ ولا يُزانُ بميزان.

وإنّما ذلك كلُّه هان عليها لَدُنَ التفتَ اليها يسوعُ من على خشبةِ العار، في نَزْعِه الأخير، وقال يخاطبُها: «هوذا ابنُك»، عانياً يوحنا، التلميذَ الحبيبَ، وجاعلاً منها، عن هذه الطريق، أمّاً – وأيَّ أمٍّ! – لجميعِ البشر.

وفي هذه الأيّامِ التي اختفت فيها الابتساماتُ من العيون ومن الشّفاه،

واذ عُقْمُ البغضِ يكاد يَستبدُّ بخصبِ المحبّة،

واذ شهواتُ التّراب توشكُ أن تجتاحَ قيمَ الروح،

واذ أطماعُ المادّةِ ونزواتُها تَشدُّ بالانسان الى تحت،

واذ النارُ والحديدُ والدمُ تُنذرُ بأن تكونَ اللغةَ المفضّلةَ على ألسنةِ الساسةِ والقادة،

واذ لبنانُنا الغالي في غيرِ مأمنٍ من عوادي الأحداثِ والدواهي..

في هذه الغمرة من مخاوفِ المفاجأةِ ومحاذيرِ المجهولِ، نلتفتُ، مرّةً جديدة، إليكِ يا أمَّ اللهِ، سائلين ومصلّين:

يا أمَّ الخالق،

يا أمّ المخلّص،

يا أمَّ الرحمة،

يا مرآةَ العدل،

يا وردةً سريّة،

يا ارزةَ لبنان... تضرّعي لأجلنا..

ناديناك من الأعماق، وما عوَّدتنا إلاّ أن تسمعي وتلبيّ النداءَ، لا لكوننا نَستحقُّ، ونحن الخطأةُ غيرُ الانقياء، بل لكونِك أمّاً قلبُك رحمةٌ وحنان، وعينُك رضىً وإِغضاء، ويمينُك بذلٌ وعطاء، وكلُّك حقٌّ وخيرٌ وحبٌّ وجمال!

١٩٥٤

دَخلكِ إنتي..

رُودي رحمه

وحدك يا مريم شو حملتي
كتاف الْ كلمه لْ حكما تقيل؛
وأصعب لمّا العمر بيقبل
يمشي وهمّو صوتك إنتي
يقول الْ «إيه»، وبكرا يحبل
بالتّكه لْ أبعد من إيل.
كنتي الصمت وياما جبرتي
الْ «هون» يصير بأوّل جيل...
وقرّبتي الوقت... وكيف عجّل
كفّى صوب لْ ما بيتأجّل
حملتي الماضي خلق وصرتي
كل لْ «هلاّ» بالمستقبل
ولْ «هلاّ» عَمّانوئيل.
وروح البكرا كيف قشعتي

تشوفي الجايي عميتكبّل
وبكرا معلّق عَ الإكليل...

يا مريم نسيّال الشمعا
عَ ركابا وجعات التوبه
بالركعا شوبتوعا السمعا
جوّا الهيكل باب الرهبه
سبقتي الفوته بتاني رجعا
لمّا قرّبتي صوب الصلبه
الحربه شكّت صدر الدمعا
خزّقتي قلبك بالحربه
من جرحا انشلحت عَ درعا
لمّا تكيت آخر لمعه
حملتي اللمعا قبل القلبه
انطفيو تنهيدات الشمعا
مش رح صلّي اليوم بقلبي
كلّ العالم يلّي سمعتو.
قاعد بِ سقعات الغربه

ومبحوح من جروح الحرقه
عتقتو يا ناس وما عتقتو!!
الحرقه: إنّو تصيرو مرقه
كبرت فيكن حتى زغرتو!!...

مع مريم وقفات الجرءا
وعّت ماضي من مقبرتو
نعمه الْ «إيه» وما في «للأّا»
ولو إبنا تسمّر عَ الدقّه
الدقّه نزّت حتى ارتحتو...
حبال الموت بآخر شنقه
اشتدّ جنونا لمّا خِفتو
حقّا تقسّي الشنقه حقّا
وصارو عَ خوانيق الحلقه
الوجعات من لْ «آه» لْتفتو
شفتو إنّو بتقوى الخنقه
الخنقه حملت جسم... وصرتو
تهدّو مريم قبل الشهقه

اشتدّ الحبل... وكيف ما لحقتو
تقولو: إنّو العمر بيلقى
يقوّم صلبو عَ مشنقتو...
قبولك إنّك إمّو لْ «الله»،
خلّى الدنيي فرغانه
من ماضي الرجّات... وجرّا
تَ يفرّح صوتا... وسهيانه
ولنّو الدورا تكفّي مرّه...
صِقْعت من حالا وغيرانه
لْ هاك الدوّيرا اللي جوّا
وصارت من بَرما بردانه
شلحت وجّا وعمتتعرّى
من العجقه لْ بعدا ضجرانه
وعمتتسلاّ بْ ضجّة شرّا....
دخلك إنتي إمّي العدرا
هزّي جرار اللي عطشانه
ومن قبر العتمه فزعانه
الفاضي هوّه بقلب الجرّه

الـجـرّه مـن الـفـاضـي مـلـيـانـه
الـمـيّـه عـطشت صـارت خـمـره
الـوقت عـنـاقـيـدو مـحـمـرّا...
لـمّـا قـلـتـي إنـتـي الـعـدرا
لْ حـكـيت يـومـا بـالسـريـانـي
هـلاّ أرضـي مش غـوقـانـه
ويـمـكـن «إيـونـات» الـزرّه
سـمـعـت صـوتـا... ومش دريـانـه
وضـلّـت عَ بـرمـا حـيـرانـه
إنّـو لْ «جـوّا» هـوي لْ «بـرّا»
دخـلك إنـتـي إمّـي الـعـدرا
بـدنـا نـبـيـدك يـرجـع تـانـي
تَ يـغـيّـر هـالـدورا مـرّه

في سيِّدة اللويزة – زوق مصبح
أيَّار ١٩٩٤

العمرُ المريميّ

إدمون أمين رزق

أوَّلُ «صورة»، فتحتُ عيني عليها، كانت لسيِّدةِ «المعونة الدائمة»، المصمودةِ في بيتِنا الجزّينيّ.

مع الأيّام، اكتشفتُ أن أُمَّ يسوعَ هي أمُّنا جميعاً، وليست «الأمَّ الثانية» لي وحدي. ففي جميعِ بيوتِ جزّين، أهلِنا وجيرانِنا، صورةٌ لهذه السيِّدةِ الحلوة، التي تَحضُنُ طفلاً بهيّاً، وكلاهما مكلَّلٌ بهالةِ ضياء.

وعلمتُ أنَّ لها أسماءَ عديدةً؛ فهي حيناً «سيِّدةُ الوردية»، ذاتُ السبحةِ الطويلة، ومرّةً تُدعى «سيِّدةَ الحَبَل بلا دنس»، أو «الأمَّ الحزينة»، مبتسمةً، أو مبلّلةَ الخدّين بالدموع...

أَذكرُ أنّني كنتُ في بدايةِ نُطقي السليم، عندما وعيتُ أنَّ الجزءَ الأهمَّ من طلوعِ الفجر، هو ترديدُ السّلامِ الملائكيّ، مع العباراتِ الثلاثِ المقتضَبةِ لحوارِ جبرائيلَ ومريم، وأنَّ الاستعدادَ للنَّومِ يَكتملُ بتلاوةِ طلبتِها، وزيّاحِ أيقونتها.

أخبرتني أمّي أنَّ هذه السيِّدةَ العظيمة، هي عذراءُ كانت مخطوبةً لشابٍّ صِدِّيقٍ اسمُه يوسفُ من سُلالةِ داودَ، يَعملُ نجّاراً، ويَحملُ زنبقة.

يومَ توغّلتُ في دروب «الضيعة»، وجدتُ كنيسةً على اسمها، وفيها صورةٌ مختلفةُ الملامح، عرفتُ، في ما بعد، أنَّها «شرقيّة». وفوجئتُ بأنَّ لكلِّ قرية «سيّدتَها»، تبني لها الكنائسَ، تقيمُ المزاراتِ، وتَرفعُ الأَنصاب.

مسْتَهَلَّ الخمسينيات، أعلن بيوس الثاني عشَرَ سنةً مريميّة، ومثَّله في احتفالاتِ لبنانَ كاردينال بَشوشٌ خَلَفَهُ على سُدَّة بطرس، وأصبح اسمُه يوحنا الثالثَ والعشرين.

عندما جاء الموفدُ الرسوليّ الى بيروت، علَّمنا صلاةَ «السنة المريميّة»، فحفظتُها، وجعلتُها صلاةَ «العمرِ المريميّ»، وما برحتُ أتلوها يوميّاً، منذ خمسٍ وأربعين... «أنتِ المجدُ، وأنتِ الفرَح، وأنتِ فَخرُ شعوبنا».

تخليداً للحدث، نحتَ يوسف سعدالله الحوّيك، من خشبِ الأرز، تمثالاً لمريم، طاف المدائنَ والقرى، ومرَّ بعروسِ الجنوب، في موكبِ مشاعلَ، وتراتيل، فَهَمَتْ عليه الورودُ، وضاعَ الشذا أيّاماً ولياليَ.

يومَذاك، احتفاءً بزيارةِ السيّدة الحلوة، ارتفع تَمثالُها على مدخلِ البلدةِ المحفور في صخرٍ دهريّ، فباتت لنا «سيّدةَ المَعبور»، تُفرَشُ تحت قدميها باقاتُ الزّهر، وحولها تتألّقُ الشموع.

هذه الرِّفقةُ، كان لا بدَّ ان تَشملَ مراحلَ الحياة، ومنها نَذرُ العائلة، يومَ الاكليلِ، مع طرحةِ العرسِ، بركعةٍ خاشعة، أمام «سيّدة لبنان». ثم توالى العِمادُ سُداساً، في جُرْنٍ حريصاً.

ثمّ... هل فاتني أن أرويَ كم لـ «سيّدة مشموشه» من أثرٍ في حياتي؟.. أم تُراني أخبرتُ كيف تشرقُ شمسُ نوّار، ويتوهّجُ صباحُه، في جزّينَ، ولبنانَ، والدنيا، بألفِ قمرٍ فوّاح؟

أروعُ ما في شهرِها، هذه السيّدة، أنّه يأتي كلَّ سنة، وأن «سنتَها» أصبحت عمراً، وطلبتَها تطول، عاماً فعاماً، باضافة ألقابٍ لا تنتهي، كأنَّ كلَّ قطرةٍ من ينبوعِ «الورد»، تَزيدُ المحبّةَ في الكَون، ودَفْقَ الرحمة.

أجملُ ما في ذكرياتِ الطوبى، أنَّ «شاعر الشلاّل» * الذي يجري دمُه في عروقي، غنّى مريمَ، مطلعَ فتوّته، وأنشدَ السيّدة، ربيعَ عمره، وترنّم بالعذراءِ في كلماتِه، ولها صلّى كلَّ حياتِه، ولم يَضنَّ على النجّارِ الصِدّيق، شفيعِ العيلة والحيّ، بأبياتِه.

... فيا امرأة، أيَّتُها المَدعوّةُ من لبنان، المرتفعةُ كأرزِه، يا بنتَ عمرانَ، وأُختَ هارونَ، المباركةَ مرَّ الاجيال، الممجّدةَ في العالمِين، تدعو لكِ كُتُبُ السماء، وتكرِّمُكِ الأُمَمُ جمعاء، هوذا شعبُنا، في شهرِكِ، يُصَلّي:

«يا أُمَّ المخلِّص، كوني أُمَّنا»!

جزّين

١٣ نيسان ١٩٩٧

أمين رزق (١٩٨٠-١٩٨٣)

وَعْدُ الفِدا

أمين رزق

ثَــغْــرُ أيّــارَ ابــتسَــمْ عــن ورودٍ تــنــتــظِــمْ
أيُّــهــا الــقــلبُ اضــطــرِمْ بِــهــوى الــبــكــرِ الــبــتــولْ

أذكــروا أعــمــالَــهــا حــقِّــقــوا آمــالَــهــا
زيّــنــوا تَــمــثــالَــهــا بــأزاهــيــرِ الــحــقــولْ

إسْــمُــهــا وَعْــدُ الــفِــدا لُــطْــفُــهــا قَــطْــرُ الــنــدى
طُــهــرُهــا الــسامــي غــدا مَــثَــلاً بــيــنَ الأُمَــمْ

فَــلْــنــعــظِّــمْ قَــدْرَهــا وَلْــنــمــجِّــدْ ذكــرَهــا
وَلْــنــكــرِّمْ شــهــرَهــا فــهــي يَــنــبــوعُ الــكَــرَمْ

يــا لَــقَــلْــبٍ مــا ســلا وعــذابٍ مــا حــلا
مــا أُحَــيــلــى الــغَــزَلا بــالــعــذارى الــطــاهــراتْ

فــتــغــزّلْ وانــظُــمِ بــالــعــفــافِ الــمَــريَــمي
وبــفــخــرٍ عَــظِّــمِ حُــبَّــهــا لــلــكــائــنــاتْ

جزّين ١٩٠٧

نورٌ يبوح

مي الرّيحاني

أتذكرين سألتك كيف تسامحين؟
سمعتُ نوراً يبوح:
الوجعُ طهرٌ يَحملِنا الى فوق
الجوعُ امتلاءٌ يَرحلُ بنا الى الألم
العطاءُ إكتفاءٌ يُدخِلُنا الما بعد
هناك...
هناك في الوجع، في العطاء ملكوتُ ولدي
أتذكرين عندما اقتربتُ لألمسَ ظِلَّك

توقَّف العمرُ على عتبةِ وجهِك
انكسر الغضبُ على أهداب عينيك
ركع الأملُ أمامَ انحناءةِ رأسِك
وتصاعدَ التسامحُ حلقاتِ ذِكرٍ بيضاء.

آذار ١٩٩٤

سوناتا لمريم

هنري زغيب

جايي من نْبيد الفجر
حامل معي خمّارة الأجيال ...
مِدّي حنانك جسر تَ أعبُر
من دِنْيِةَ اللي مش أنا
للدِنْيِة الْـ فيها الْـ «أنا» كلاّ.

مدّي حنانك بعد، تَ أوصَل
زنودِك سريري
هدهديلي غَفْوْتي بْلحن الطفوله
وما بقى أوعى
إلاّ عَ وجّك هالسَفَر
صوب الزَنابق ناطره تتقلّد بْوِجّك طهارة مَلمَحا ...

مدِّي حنانِك بعد.

مين موسم مين؟

إنتي... أو عْطور الربيع الطالعه من غَندَرِة شَعرِك؟

ناديت رِفقاتي زهور الحقل:

– «يا زَهر، مين الـ زهَّرَك»؟

دلّني عليكي.

ناديت جيراني الفصول:

– «يا فصول،

مين الـ جمَّعِك أربع لوان

بتتعانق بْحُب وحنان»؟

دلِّت عليكي.

مدِّي حنانك بعد، تَ أوصل.

وِيوعى الشِعر فيي

يكاغي حياة ويوعد بمشوار

طولو حكاية عمر

وتخلق قصيده بكل تفتيحة زهر.

إنتي القصيده؟

لأ. إنتي الشعر.

وشو تغزلي نبض القصايد...

هيك

من نغمَشة خَدِّك على وجّ السما

من لَمْع لولو صوتِك بْوَهج الفرح

من نهدة «بْحِبَّك» بلحظة إنخطاف...

مدِّي حنانك بعد، رح أوصَل.

هاتي سرارِك

شو حلو هالكون!

مع كل موسم وعد... موعد حُب

ومع كل حُب جديد

توعى ببال العطر زهره عاشقه

وكَرِّة كنار جديد.

هاتي سرارِك

شو حلو هالكون!

منِّك الخصب يبارك غلْال السنه

بيدر توزَّع عَ المواسم

أخصَبَا!

حبّة قمح عمتنشَقَع بالسنبله

سلة سمك وتوزَّعت ع الشعب

شِبِع الشعب!

خلَص الخمر بالعرس

قلتي: «جرار المَي تقلُب خمر»

صارت خمر.

قلتي: «العجيبه تكون»

كانت.

وليش لمّا الناس حكيو الناس

رجعتي على تياب السكوت

وإنتي الكلمه الْـ لَو مِنَا ما فتَّحِت كلمه!

من يوم شعّ النجم بِهاك العتم
وتسابَقو ع المذود وسجْدو الملوك
وإنتي العظيمه اللابسه تياب السكوت.
ليكي الغلَط كيف شال إبنِك ع الصليب
وإنتي ع إجْرَين الصليب
تياب إبنِك نـزلِـت عليكي
ووحدِك بقيتي لابسه تياب السكوت.
مدِّي حنانِك بعد، رح أوصل.
لا تتركيني إحترق وحدي بغابة هالجنون
حاسس فجر بِضوّ عينيكي
شايف بِدقّة قلبِك صوات الصلا
سامع شمس بصدرك الـ عميخفق من الشوق واللهفه
عارف – وإنتي مقدّسه بْهالة النور –
إنِّك طريقي صوب تاني عمر
يا عمر، دَيِّنّي شويّة عمر
ت أغمرا وْسَاعا

- «بحبِّك.

لا تسكتي... تَ حِسّ إنّي هون.

بحبِّك.

لا تبعدي... بيطُول ليل الكون».

مدِّي حنانِك بعد، رح أوصل.

مين إنتي

[لو سألني العمر]

منِّك أنا؟ أو بَدْعتي إنتي؟

بين الأمومه وبين رحم الأرض

لحظة صلا عنوانها: إنتي.

بين الحبيبه وبين نبع الحب

نهدة عشق، عَمْتَمْتِما: إنتي.

بين القصيده وبين نبض الشعر

لمِعة بَدع عمتختصر: إنتي.

مدِّي حنانِك

واستريحي

وصلْتْ!

جايي من نبيد الفجر

تاري الفجر إنتي!

بين السما والأرض

غفلة عتم بيضَوِّيا حضورِك

بينِك وبيني الخوف؟

دقّيت ع الخوف... انفَتح

ما عاد فيه غير:

افتحيلي

واتركيني إسكَر بنبع الحياة

وكلما شربتو إعطَشو أكتر...

مدّي حنانِك؟

واستريحي؟

وصلْتْ؟

لا تصَدّقي:

مدِّي حنانِك بعد

ولا تستريحي

ما وصلْتْ

تاري أنا إبن القلق والانتظار

الراحه بتطفيني

وبيشعِّلني العذاب

خلّي الحريق الـ بالمسافه يشدّني ليكي

مِد إيدي ورجِّعا... ما طال

وان طِلتْ... ما دوقِك

خلّي اللحظه ما تجي

خلّي الوصول يبَعِّد... يطّل وصول

بخاف لولا وصلْتْ يغدرني العمر...

ما تسمحيلي أوصل وإرتاح

دَفق الخصوبه إرضعو... وما إشبعو.

هيك قالولي الفصول:

بيتكررو. بيتجددو. وما بيوصلو.

هيك قَلِّي الزهر:

عطرو بيضل يزهِّر من جديد.

هيك قَلّي الشعر:

سر القصيده تمهِّد لتاني قصيده وتوعدا.

هيك قَلّي الحب:

– «عَ نبض قلبا قلبَك بينبض.

حبَّيت بِوجًّا القدّر؟

صار القَدَر آخد شكل وِجًّا».

مدِّي حنانِك بعد

ت أصرخِك: إنتي.

سر الولاده والخَلق: إنتي.

سر الخصوبه والدفق: إنتي.

سر الشعر: إنتي.

والحب إنتي نعمتو.

وإنتي نْبيد الفجر

مِنُّو جيت

حامل معي خمَّارة الأجيال.

مدِّي حنانك جسر تَ أعبر

من دنية اللي مش أنا

للدنية الـ فيها الـ «أنا» كلاّ

وضلّ مِنِّك إخلق...

وإتكرّر من جديد

مع كل طَلّة فجر

يخلق مِنَا مجنون حُبّ جديد!

سيِّدة الورديّة – زوق مصبح

١٩٩٤

أميرة الجبَل

أسعد سابا

مـريـم، يـا عِـطـر الـزَّنـبـق الـبـيـفـوح
عَ الــتــلّــة الــخـضــرا
بـروح الـطـهـر انـتـي خـلـقـتـي روح
يــا مــريــم الــعــدرا

هـالـضـحـكـة الـحـلـوي الـعَـتـمَ الزَّهر
هَــيْ أخــدُوَا عــنِّــك
ونْـكـان بـعـد بـهـا الـدّنـي فـي طُـهـر
بَــعــدو إتْــر مــنِّــك

انـتِ، يـا غـنـيّـة سـمـا - ودهـور
تـركـع تـغـنِّـيـلك -
يـا مـلـمـلـمي دمـوع الـدِّمـوعـو نـور
بِــطـراف مــنـديـلك

يـا أم هـالضـوًا الـدِّنـي وهـالـقـال:
«حبّ الـمـا بـيـحـبَّـك!»
هـالبـاركك يـا هـالـحـجـر والشـال
الـلـيـل مـن قـلـبَـك

يـا أمـيـرة هـالـجـبـل... مـن هَـوْن
تـحـوَّشُـوا ورْوُدك
ألـطـف هـديـي جـبـتـيـا عَ الـكـون
الـطـفـل عَ زنـودك!

١٩٥٤

لا تنسينا ...

أسعد السبعلي

يا عدرا لا تنسينا   تحت جناحك ضمّينا
وخلّي الحُبّ السماوي   ينمِي ويزهّر فينا.

يا أمّ الفادي يسوع   قوّي فينا الامانه
حتّى نستاهل يسوع   المتجسّد بالقربانه
درب الطهاره دربك   والسما حكاية قلبك
من قلبك لا تشيلينا ...

يا عدرا يا إمّ الكون   إنتي الملجا وإنتي العون
السما عطيناها قدّيس   شربل من عِنّا من هون ..
بحياة شربل هل من عِنّا   تردّي البلايا عنّا
وردّي الأمن لموطننا   هالتحت جناحو ربينا

١٩٩٤

السَّلامُ عليك...

د. بولس سَرُّوع

السَّلامُ عليكِ

سلاماً أَحمِلُه أنا جبريلُ رئيسُ الملائكة

من العزِّةِ الإلهيَّة

من السَّلامِ بدايتُه ونهايتُه

ما قَبله سلامٌ وما بَعد.

يا مريمُ

أنتِ من دونِ العالَمين

خُصصتِ بالسَّلام

وما أنا سوى رسولٍ

أحمِلُ ما قاله الحقُّ

لمن ارتأى أن تكونَ مُكَرَّمةً بسلامِ الحقّ.

يا ممتلئةً نعمةً

ما فيكِ نقصٌ.

بقَدْرِ مُرسِلِ السَّلامِ

تكونُ النِّعمةُ

لا تَشوبُها شائبة

تَرتفعُ من عالم الحاجة

إلى عالمِ الكمال.

الرّبُ معكِ

كاملٌ بكمالِ نعمتِه

نعمةٌ على نعمة.

مُباركةٌ أنتِ بين النِّساء

على النِّساء

في سرِّ الخَلْق

ما ائتمنه لأحدٍ سواك

ثمراً يَحمل ثمراً.

مُبارَكٌ ثَمَرةُ بطنِك

مُبارَكٌ لا يُؤتى إلاَّ بَرَكةً

ولا يُؤتي إلاَّ بَرَكةً

تَمَامُ الحقِّ

سيّدُنا يَسوعُ المسيحِ

سيِّدُنا اللهُ

هو وسلامُه واحدٌ

وبَرَكتُه واحدٌ

سلامٌ من سلامٍ

بَرَكةٌ من بَرَكةٍ

نعمةٌ من نعمةٍ

آبٌ وابن.

يا قدّيسةُ

ارتفعتِ بالطّهارة الى فوقَ ما نُدرك

وسَكنتِ حيثُ لا نَصل.

مريمُ أنتِ دونَ سواكِ

رأيتِ ما لا تراهُ العينُ

وأدركتِ ما لا يدركُه الفكرُ

عَرفتِ أين أنتِ

فإنْ نَطقتِ أصبتِ

فصلّي لأجلنا

نحن لا نعرفُ كيف نصلّي مثلَك

نحن بقينا هنا

نحن الخطأةُ

لا سلامَ كاملٌ مَعَنا

لا نعمةَ كاملةٌ.

أعطاكِها اللهُ كاملةً

وأكمل بها سلاماً

لكي تَشفعي لنا عندَه

الآنَ

في حياتِنا كي يَهدينَا

إلى دربِك

إلى دربِه

وفي ساعةِ موتِنا

يُنيرُ لنا ظُلُماتِ الرّحلة

فنصلُ إليكِ

نصلُ إليه.

آمين.

نيسان ١٩٩٧

مريم

د. ديزيره سقّال

يا جسداً من نورٍ
يتهادى فوق حقول بَخورْ،
يا جسداً في كلّ الأجسادِ
يحوّلُها عطراً وعبيرَ زهورْ،
يا لونَ الفرحِ الآتي من فردوسِ الصلواتْ،
يا عِشقَ الرّوحِ المتجلّي
في كلِّ الأشياءِ
وفي كلِّ الهمساتْ...

في جنّتكِ المسبوكة من لون الطّهر ورائحة العشقِ المتجلّي أتجمّعُ في ذاتي / أتجلّى، وأطيرُ إليكِ كما يحنو الماءُ على الضوءِ، أنامُ بهذا النّورِ المستغرق، يا كلَّ الأسرارِ اجتمعتْ في سرٍّ، يا كلَّ نساءِ الأرضِ التمّت في خاطرةِ امرأةٍ، وانصهرت حقلاً أزرقَ من ضوءٍ،

أوْ

من رائحةِ الضوءِ...

هنا

في جنّتكِ المسكوبةِ داخلَ جسم الفرحِ العاري

يتجمّعُ سرُّ صفاءِ الأشياءْ،

ويصير رداءْ

للدنيا إذْ تتجلّى

أغنيّةَ حبٍّ

تَنبتُ في كلِّ الأمداءْ...

في جَنَّتكِ المسكوبةِ داخلَ جسمِ الفرح العاري

تلثمُ جرحَ الدنيا وتُبَلْسِمُهُ

شَفَتَا «عذراءْ»

١٩٩٤

الى مريم العذراء

بولس سلامه

يا أمّ ياسوعَ هاتي غوثَك الآنا
واستمطري من حنانِ اللهِ غُفرانا

لعلّ بحراً خِضَمًّا من عنايتِه
يَمحو برحمتهِ القُصوى خطايانا

جبالُنا الشُمُّ في آثامِنا غَرِقَتْ
حتى الجلاميدُ أنَّت من خطايانا

فَصِرْتُ أخشى من التاريخ يَذكرُنا
يقولُ لبنانُ أوْدَى بعدما كانا

وكان أروعَ ما في الأرض رَوْنَقُهُ
سهلاً وتلاًّ وجنّاتٍ وقِيعانا

من قال بالجُودِ والأخلاقِ ساطعةً
كَمشرقِ الشمسِ كان القصدُ إيّانا

وزاد في حسنهِ أبناءُ منَ رضعوا
حُبَّ البتولِ فصار الحُبُّ إيمانا

هـذي الـكـنـائسُ مـن أكـبـادِنـا انـبـثـقـتْ
فـذكـرُكِ الـعـذبُ لـحـنٌ فـي حـنـايـانـا

أجـراسُـهـا حـيـن تَـشـدو فـي مـسـامـعِـنـا
فـوقَ الـمـعـازِفِ تَـطـريـبـاً وإرنـانـا

قـالـوا بـلـبـنـانَ لـلـعـذراءِ كَـمْ وطـنٍ
فـقـلـتُ حَـلَّـت قـلـوبَ الـشـعـبِ أوطـانـا

مـن شـاطـئ الـبـحـرِ حـتـى شَأْوِ أرزتِـهِ
تَـرَيْـنَ فـي كـلِّ فَـجٍّ عـنـك إعـلانـا

فـي الـراهـبـات عـذارى لا انـتـهـاء لـهـا
وفـي الـديـورة مـلءَ الـعـيـن رهـبـانـا

مـن أجْـلِـهـا هَـجَـروا الـدنـيـا وزيـنـتَـهـا
فـكـم تـقـيٍّ يَـجـوسُ الـلـيـلَ سـهـرانـا

يَـصـومُ حـتـى يـكـادُ الـجـوعُ يُـسـقِـمُـهُ
وربّـمـا بـات طُـوْلَ الـلـيـلِ جَـوْعـانـا

لـذّاتُـهـم غـيـرُ مـا تَـبـغـي جَـوارِحُـنـا
كـأنَّ دنـيـاهُـمُ لـيـسـت بـدنـيـانـا

هـم يـعـبُـدون الإلَـه الـحـقَّ عـن ثـقـة
ونــحــنُ نَـعـبُـدُ فـي الـلـذّات أوثـانـا

تـلك الـتـي اخـتـارهـا الـبـاري وبـرَّرهـا
أَضـحتْ شـفـيـعَـتـنـا الـعُـظـمـى ومـلـجـانـا

يـا قِـمّـةَ الـطّـهـر إنَّ الـحـزنَ يَـغْـمُـرُنـا
أنتِ الـتـي كـابَـدَتْ فـي الـعـيشِ أحـزانـا

عـنـدَ الصـليب وقَـفـت وِقـفـةً صَـبَـغَـتْ
مـن دمـعِـكِ الأحـمـرِ الـلـهّـابِ أجـفـانـا

أمسـى فـؤادُكِ أتّـونًـا تُـحـرقُـهُ
لـواعـجُ الـحـزن مـلءَ الصـدر حَـرّانـا

مـن بَـعْـدِ عِـشـرينَ قـرنـاً فـي الـزمـانِ مَـضتْ
صـدى نـحـيـبِـكِ فـي الأعـمـاقِ أبـكـانـا

يـا بـنـتَ داودَ قـد أولـيـتـه شـرفـاً
وبَـزَّ مـنـزلُـك الأعـلـى سـلـيـمـانـا

عـجـائبُ الـلـهِ فـي لُـرْد، وفـاطـمـة،
يـا ربَّـةَ الـطّـهـرِ كـانت عـنـك بُـرهـانـا(١)

فكم شفيتِ من الأسقامِ أخطَرَها
وكم فتحتِ لدربِ النّورِ عميانا

يا قِمّةَ الطُّهْرِ إنّ الحزنَ يَغْمُرُنا
أنتِ التي كابدت في العَيش أحزانا

أولاكِ ربُّكِ ما لم يُوْلِه أحداً
فَصِرتِ أعلى نساءِ الكونِ سلطانا

خُلِقتِ كالنّور لا عيبٌ ولا دَنَسُ
ليت العليَّ الذي سوّاكِ سَوّانا

كم آيةٍ لكِ في القرآنِ قد جَمعتْ
عَلى المحبّةِ إنجيلاً وقرآنا

تَهَلَّلَتْ سورةٌ كنتِ المدارَ لها(٢)
يا دُرّةً لألأت في آل عُمْرَانا

نادى بطُهرِكِ صوتُ العُرْب كلِّهِم
من غارِ مَكّةَ حتى دارِ نَجْرانا(٣)

طهَ وأصحابُه الغُرُّ الكرامُ رأَوْا
رأيَ ابنِ ساعدةٍ اذْ كان مُطرانا(٤)

أمُّ العبادِ جميعاً في محبّتِها
فما تفرّقُ أحزابًا وأديانا

كالضّوء يَنتظمُ الأمصارَ قاطبةً
يُضيءُ في القَفْرِ أو يجتازُ بستانا

يا ويحَ لبنانِنا الفتّانِ من فئة
تَقَمَّصوا جِلدةَ الحِرباءِ ألوانا

حينًا تراهم مع الأطهارِ في جهةٍ
وهم يغوصون في الأقذارِ أحيانا

تَبّاً لمن جَعلوا من طِيْبِ تُربتِنا
للأبرياءِ بسيفِ الغدرِ أكفانا

ما كان أغناهُمُ عن سُوءِ صفحتِهم
وعن فظائعِهم ما كان أغنانا

يا ويحَ نَذْلٍ من الشيطان قُوَّتُهُ
ابليسُ جَلَّلَهُ خُلْقاً ووجدانا

قد كان خَيراً لهُ موتٌ بِمَتْرَبَة
من أن يواجهَ يومَ الحَشْرِ دَيَّانا

خيرٌ له سَقْرٌ تشوي أضالعَه
من رؤيةِ القادرِ الجبّارِ غضبانا

طُلْسُ الذئابِ العُتاةُ المجرمون مَحَوا
بالغدرِ والخدعةِ النكراءِ حُملانا

نصيبُهم «مالكٌ» في النّارِ يُنْضِجُهم
ويلتَقي أتقياءُ اللهِ «رضوانا»(٥)

نال الشهادةَ آلافٌ مؤلّفةٌ
فَلْتَغْمُرِ الرحمةُ الوطفاءُ قتلانا

يا مريمَ المعجزاتِ الخالداتِ أمَا
من آيةٍ تُرْجِعُ الأخلالَ إخوانا

يا ربّةَ الطّهرِ حَسْبي منك مَرْحمةً
أوِ ابتسامُك للأشعارِ ديوانا

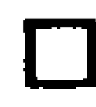
٢٩ تشرين الأوّل ١٩٧٧

---

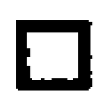
(١) اشارة الى معجزاتها في (Lourdes) في فرنسا وفي مدينة (فاطمة) في البرتغال
(٢) هي سورة مريم
(٣) غار مكّة هو غار حِراء
(٤) هو قسّ بن ساعدة الأيادي مطران نجران
(٥) مالك خازنُ النار أمّا رضوان فحافظ الجنّة

شَذَرات من بولس سلامه

مريمُ، مريمُ الطهارةِ عنها نَقلَ الوردُ نفحةً لحِسانهْ
أيُّ ذِكرٍ! إمّا على القفرِ يُرسَلْ يتفتَّقْ ثراه عن ريحانهْ
ويُفيقُ الهَزَارُ في السَبْسَبِ المحرومِ يشدو على أماليدِ بانهْ
يُقلقُ الغصنَ بالهُتافِ شجيّاً ويَغطُّ الجناحُ في ألوانهْ
لأريجِ البخورِ منكِ على المذبحِ فوحُ الربيعِ في نيسانهْ
تَجتليه العيونُ بالطّيبِ نَشوى ليس تَلوي أهدابَها عن دخانهْ
حوله الشمعُ ألسُنُ الضارعاتِ هُنَّ رمزُ التقيِّ في إيمانهْ
ولسانُ النفوسِ لَمْعُ ضياء كلِّ لَسنٍ يُسِفُّ دونَ بيانهْ



مُلبسُ الكونِ عزّةً وسناء يرتدي يومَ عيدِه أطمارا
بين شيخٍ عفٍّ الإزارِ وبكرٍ اسمُها العذبُ شَرَّفَ الأبكارا
جَهَلَ الكونُ قبلها أنَّ في وُسعِ الجميلات أن يَعِشْنَ عذارى
خلعتْ حسنَها على الليل طُهراً فكسَتْهُ من الصباحِ إزارا



لذكرِ مريمَ، مَن لم ينفتحْ طرباً كان امرأً مغلقَ الإحساسِ مأفونا
يا أمَّ عيس، ويا كنزَ السماء، ويا انشودةَ الخُلْدِ يا فخرَ البتولينا
من تحت أقدامِك البيضاءِ قد نبتت زنابقُ الطّهرِ واخضرَّت بوادينا

تاجك، يا مريم
حزنٌ رضِيَ بحزنه

د. نور سلمان

يا مريم!
التي إليها
الملائكةُ شعراء
والشعرُ أعجوبة
هي أنتِ
التي بها
توهَّجتِ الامومة
طالت قداستُها
السماء
هي أنتِ...
واستردتِ
الأعمارَ التائهة
إلى مدارِ الطفولة
ونبوغِها...
منك الولادةُ
دنيا
تطهِّرُ الدنيا...
تَظلِّين عروسَ
البُشرى
في عاصمةِ الزمن
تاجُكِ
حزنٌ رضيَ بحزنه
تَظلِّين المختارةَ
فيَ كلِّ كتاب

قالها الانجيلُ
قالها القرآن
قالها حبٌّ
وَسِعَ
مجد الحزنِ كلَّه...
قطفتُ
من دموعك
حبَّةً لعتماتي
بَهَرَتني غبطةُ
استسلامِك
مَسَحَ
أزرقُكِ قلبي
فَسَقَطَ
حجابُ السماءِ
عن السماء
وحجابُ البحرِ

عن البحر
وحجابُ الغيابِ
عن الغياب
لأصيرَ
الدربَ لدربي
العينَ لعيني
الشفاءَ لشفائي...
أبْيَضُكِ
قممٌ باهرة
تسطِّحُ الدنيا
الكونُ التائهُ
تحتَ ظلالك
يَرْمُقُ
دَورةَ النورِ
من مذبحِ خشوعِك
وَيصْغُرُ...

هذا الكونُ
تَقْصُمُهُ
النهاياتُ الملبَّدة
والهفتي إليكِ...
تلوِّحين بالسرّ
لكنَّ هذا الكونَ
مُثْقَلٌ بالتراب...
حولَكِ
الأبعادُ المصدومةُ
تَتَهاوى فيها الدروبُ
لكنْ

على جبينك أنت
فيضُ صعودٍ
يُلقي
الخلاصَ بَعْدَ الخلاصِ
يا مريم!
ذهولُكِ الساطعُ
غبطتُكِ الساطعةُ
حزنُكِ الساطعُ
حَضَنَ
السؤالَ والجواب

١٩٩٤

الرَّجاء
ميلودراما بفصلين، وستة مشاهد

د. ميشال سليمان

الاشخاص:

المرأة : (مريم)

النساء : (عامّة النساء) عَشْرُ نساء تقريباً

العبيد : (عامّة الرجال) عَشَرةُ رجال تقريباً

السجّانون: (الطغاة) ثلاثةٌ تقريباً

النور : (يمثّل دورَ الخلاص)

الحربة : (رمزُ الاعتداءِ والقهر)

زهرة الزنبق: (عنوانُ الرجاء)

الفصل الأوّل

المشهد الأوّل

المسرح: قد يكون زاوية كنيسة. شمعدان كبير في الزاوية. إناء زجاجيّ فيه باقة ازهار. كرسيّ في الجهة المقابلة. محرقة يتصاعد منها بخور.

– تترامى موسيقى طقسيّة

– ترتفع أصداء خارجيّة، تُصبح ضاجَّة.

– يُسَلّطُ الضوءُ على ستار أبيض يتَدلّى على الحائط المواجه. يبدأ خافتاً، ثم يُصبح ساطعاً تدريجيّاً.

– الصنوجُ تُقرع قرعتين.

– تخفتُ الضجَّة

–يسود صمتٌ عميق

– تدخل المرأة (مريم) من بابٍ جانبيّ. تقف في مُنتصف المشهد. تركع رافعةً يديها الى العلاء.

– تتحوّل الموسيقى الى ألحان حزينة.

– تدخل النساء بأزياء مختلفة يغلب عليها الطابع القديم، وتمرّ الواحدة تلوَ الاخرى بخشوع أمام مريم.

تتحلّق النساء حول مريم، وتُنشد بمصاحبة الموسيقى:

بصوت خافت: **أيُّها الضوءُ الفِدَاء**

أيُّها الضوءُ الرجاء

بصوت مرتفع قليلا: **أنشرِ الحقَّ لِواء**

أنشرِ الحقَّ لواء

بصوت مرتفع الى
ان يصبح حاداً **إجعلِ الارضَ سمَاء**

إجعلِ الارضَ سماء

– المرأة (مريم) تردّدُ النشيد وحدها بصوتٍ شجيّ

– تخرج النساء على التوالي خاشعات.

– يخفُّ النور تدريجيّاً، الى أن ينطفىء. فتُقرع الصنوج قرعتين.

المشهد الثاني

– أصداء موسيقى رتيبة.. حزينة.. ثم تتصاعد

– المرأة (مريم) وحيدة، راكعة ويداها على صدرها في مشهد حزين

– تدخل النساء، وتقف صفّاً واحداً وراءَها.

– ترتفع من جهة الباب أصداء سلاسل مصحوبة بأنين. ثم يدخل رجال مكبّلون بالسلاسل، ويرتدون ألبسة قديمة متعدّدة الأشكال

– يدخل في أثرهم سجّانون بألبسة قديمة مناسبة، ويحملون حراباً، ينتهرون العبيد، ويُجبرونهم على الركوع.

– ترتفع الموسيقى صاخبة، وتقرع الصنوج قرعةً واحدة. ويسود الصمت.

– المرأة (مريم) تقف، وترفع يديها الى العلاء ضارعة. ثمّ تتقدّم وتستعرض النساء المتحرّكات في مثل رقصة طقوسيّة. وتقترب من العبيد الراكعين.

– العبيد يتململون، ثم يبدأون بالنشيد، برغم زَجْر السجّانين.

– ترتفع موسيقى تحمل أصداء الأَنَفَة والتمرّد:

أيُّها الضوءُ البهيّ

عُد إلينا

أَيُّها الضوءُ البَهيّ

عُد إلينا

كنْ رَجاءَ التائهين

يا ملاذَ الضُعفاء

أيّها الحقُّ الرَجاء

كن سلاحاً في يدينا

– السجّانون ينتهرون العبيد بغطرسة لكي يصمتوا.

– يبدو الخوف على وجوه النساء

– يتململن في ما يشبه الرقصة الطقسيّة تعبيراً عن الغضب الدفين. ثم يخرجن، وكلٌّ واحدةٍ منهنّ تضرب كفّاً بكف وتهزٌّ رأسَها، حيرةً وأسفاً.

– المرأة (مريم) تَشُدّ يديها على صدرها. ثمّ تروح وتجيء، والحزنُ بادٍ على أساريرها. ثمّ تخرج.

– الموسيقى تخفت تدريجيّاً، ويخفتُ الضوء أيضاً.

المشهد الثالث

– تُقرع الصنوج قرعتين

– يسطع الضوءُ، ثم يبدأ بالخفوت

– تدخل النساء في رقصة طقسيّة على ايقاع الموسيقى

– تدخل المرأة (مريم) وتقف في وسط المشهد

– تتحلّق النساء حولها

المرأة (مريم) تُردّد وهي شاخصة بالضوءِ المتواري تدريجيّاً:

أيُّها الضوءُ.. حبيبي

عُدْ إلينا

قَلَّ الدِفءُ

غابَ الحَنَانُ

كادَ الحُبُّ أن يموتَ في الانسان!

(تصمت برهةً، ثم تستأنف:)

حبيبي!

أيّها الضوءُ في الأعالي

أيّها الواثقُ بنوره

أيّها الحُبُّ في تجلّيهِ الأعظم

الكونُ يُنَاديك

في أذُنيهِ صدَى صوتِكَ

في قلبهِ نارُ حُبّكَ

تَتَأهّبُ لِتَتخّذَ شكلَ بركان.

الانسانُ يناديك...

تُنشد: عُدْ الينا

خيّمَ الليلُ علينا

وانتفى ظلُّ الرَجاء

تردّ: غابَ الحنان

كاد يموتُ الحبُ في الانسان!

– يخفت الصوت. تخفت الموسيقى، يخفت الضوء.

الفصل الثاني

المشهد الأول

– الموسيقى ترتفع لحناً فاتراً، ثم تتصاعد حتى تصبح حادّةً

– يسطع الضوء

– المرأة (مريم) في وسط المشهد، مطرقةً حزينة.

– تدخل النساء ثم تطوف طوافاً طقسيّاً يضارع الرقص، ثم تنشد، متضرّعة الى مريم:

يا عينَ الشمس

يا رَوْحَ الوردة

أنت التي وضعت النورَ في كؤوسنا

كالماءِ يُنعشُ اللَّهَوات

أنتِ التي وَضَعتِ النارَ في كؤوسنا

وَجَعلته يَستَعذبُ الماءَ

أنتِ.. أقسَمْنا.. ليس سِوَاكِ

مزجَ الشمسَ بروحِ الوردةِ، بطعمِ الدِماءِ

بتَجرُبةِ الماءِ المُعَدَّةِ للشَّراب

– ينحنينَ ويأخذْنَ بالركوع حولَ مريم. وكلّما ركعت واحدة يزدادُ الضوءُ سطوعاً

– عند انتهاء دورة الضوء، ينهضْنَ ويتحلّقن عبر الطوافِ الدائريّ وهنّ ينشدنَ:

أيّها الفجرُ

آن أن تبتسمَ

أيّها الفجرُ

آنَ أن تنسَجمَ

والعصافيرَ والزهورَ بالدُعاء

طال عهدُ البلاء

أنت عهدُ الرجاء

– ينتهي النشيد. تخرج النساء صفّاً واحداً من الباب الخلفيّ

– تبقى المرأة (مريم) وحيدةً شاخصةً الى العلاء

– يسود الصمت

– تُقرع الصنوج ثلاثَ دقّات متتالية

– ينطفىء الضوءُ تدريجيّاً.

المشهد الثاني

– المرأة (مريم) وحيدة جاثية، مُطرقة.

– يتصاعد دخان البخور

– تترامى موسيقى طقسيّة رتيبة.

– يسطع الضوء

– تُسمع ضجّةٌ ..ووقعُ اقدام.. وأنين.

– العبيد يدخلون مُكبّلين، يتحلّقون حول مريم

– يتحوّل أنينُهم الى نشيد:

دربُ الشقاءِ طويلٌ

فأين دربُ الرجاء

– السجّانون ينقضّون عليهم، ويكمّون أفواههم.

– يسود الصمتُ برهةً. ثم ترتفع قرعةُ صنوج واحده.

– يُردّد العبيد جوقةً واحدة:

حينَ ينتهي الحبُّ

يثورُ الغضبُ

حيث تحتجبُ الشمسُ

تنفجرُ السماء

– يشخص العبيد الى مريم، ويتوسّلون:

نحن ننتظرُ شفاعتَك

مُباركةٌ يدُ التي تُعانقُ الضياء

جميلةٌ قدَمُ التي تعلنُ الأنتصار

– يُنشدون: **نحن منفيُّون**

ونعرفُ الوطن

مَنْ يردُّ لنا تُرابَه؟

منْ يُغَنّينا كتابَهْ؟

بحرَ حبٍ ناعمٍ كالحرير

بحرَ نارٍ مائجاً كالسعير

يغسلُ جراحَنا

يُعلن بُرَاحَنا

هذه الوادي السحيقة

نَجتني زهرَ الحقيقة

نَزْفُرُ الايمانَ بالحُبّ زَفيرا.

صرخةَ الخلاص!

- تصدح الموسيقى. تُصبح صاخبة. تُحرتق السلاسلُ في أيدي العبيد.

- الصنوج تُقرع قرعاً متتالياً

- يقف العبيد ويتمايلون في رقصةٍ طقسيّة للتأهّب.

- يهبط الضوءُ من أعلى الى أدنى، كأنّه البرق تّتلوه رعود.

- العبيد يجرّون أنفسهم مُتهالكين، ويتحلّقون حول مريم، حلقة كبيرة. وفيما هم يَنْشَدُّون الى بعضهم بعض، يخفت الضوء تدريجيّاً وينطفىء.

المشهد الثالث

- صمتٌ مُطْبق.. وظلام.. يرتفع الضوءُ خافتاً

- يرتفع صوتُ كمانٍ حاداًّ مُثيراً

- تُقرع الصنوج قرعتين.

- تترامى حرتقة السلاسل

- يدخل العبيد

- يتبعهم السجّانون متأهّبين.

- يتألّق الضوءُ. تدخل المرأة (مريم) وتقف وسط المشهد، وقفة الكِبَر الحزين.

– تدخل النساء متمايلة بتؤدة. يتحوّل التمايل الى رقصة طقسيّة فيها معنى الرجاء. تقف النساء أمام العبيد.

– تصدح الموسيقى تحمل معنى التسامي

– النساء ينشدنَ:

أيّتها الشمسُ التي تمشي في الارض

أيّتها الشمسُ التي تَعشقُ نورَها

أيّها البرزخُ المُفضي الى الرجاء

انتِ الحبُّ في تجلّياته...

يا مطراً نورانيّاً يَهمي

يَسقي الارضَ العطشى

على رجاءِ الربيعِ القادم...

– يرتفع صوت كمانٍ حادًّا

– تُقرع الصنوج عدّة قرعات.. ويسود الصمتُ برهةً..

– المرأة (مريم) تشقُ الصفّين متقدّمة. ثم تستعرضهما في مشيةٍ طقسيّة. وتعود الى الوسط.

– النساء ينشدن بمصاحبة موسيقى كئيبة، يخترقها بين حينٍ وآخر صوت كمانٍ جارح:

قبلَ أن ينقشعَ الظلام

ووجهُ الارضِ يغتسلُ بالندى الطَهور

قبلَ أن يسقطَ القِناعُ

عن وجهِ المغاورِ السوداء

قبلَ أن يتمزَّقَ الظلمُ

وتدوسَهُ أقدامُ الحريّه

هيَ ذي الساعةُ التي

يتجمَّعُ فيها الايمانُ الأكيد

ويجري طوفاناً من النّور

تَعالوا نُحييّها!

- تصمت النساءُ

- تُقرع الصنوجُ قرعتين. وتستمرّ الموسيقى

- العبيد يتملْملون، وينشدون:

تعالوا نُحييّها!

قبلَ هُبوب رياحِ النار

ويصطرعُ البحرُ بالأمواج العاتية

قبلَ أن تشقَّ السفينةُ

جُهمةَ الأُفُقِ البعيد

قبل ان يتقلّبَ في الأرض

مارجُ الجمرِ المُستعِر

هَلُمُّوا نقطعُ سَلاسِلَنا

هَلُمُّوا نفتحُ أذرُعَنا

ونقفُ في عين الشمس!

– تُقرعُ الصنوج قرعات.

– ترتفع وتيرة الموسيقى.

– السجّانون يتململون رُعباً، ويأخذون بالانصراف، الواحدُ تلوَ الآخر.

– المرأة (مريم) تلتفتُ الى الحائط حيث يتدلّى الستارُ الأبيض. ترفع ساعديها ضارعةً الى العلاء.

– يُسَلّطُ النور على الستار خفيفاً، ثم يسطع ويتألّق.

– تَظهر على الستار يدٌ تَسحبُ حربةً من صدرٍ بشريٍّ، وترميها، وتختفي.

– تُقرع الصنوجُ قرعةً واحدة.

– تظهر اليد ثانيةً، رافعةً زهرةَ زنبق.

النهاية

١٩٩٤

مَرْيَمُ
أَلعروسةُ الآيَهْ

ريمون شبلي

تَغْمرُني الغِبْطَهْ
يَمْلؤُني الوَجْهُ النَّهارْ
ونِعْمةُ الرِّداءْ
والطَّرْحةُ الطّويلةُ الزَّرْقاءْ
وهَالةُ الأسرارْ.

•

تَغْمرُني الغِبْطَهْ
تَملؤني العروسةُ الآيَهْ
وتَنْتشِرْ
في الصَّوْتِ والحَنينْ
والحَرَكَهْ
والإِنتِظارْ.
أَيَتُها الهدايَهْ
يا مريمُ المُبارَكَهْ

في شَهْرِ نَوَّارْ

تَنفتحُ الآفاقُ

تُهَلِّلُ الأشواقُ

عيناكِ واحتانِ

يداكِ قَوْسا بَرَكَهْ

أُرجوحتانِ.

طُوباكِ يا أيَّتُها الغِبْطَهْ

يا أُمَّ فادينا

وتَعبرينَ فينا

يَحترقُ التِّنِّينْ.

نَشتاقُ يا بَتولُ

نشتاقُ لو يَتَّسعُ الرَّبيعُ

ويَكبرُ الصَّيْفُ

ويُوصِدُ الشّتاءُ حُزْنَهُ ..

لو يَسقطُ السَّيْفُ

وتَغتسِلْ

بطُهْرِكِ الضُّلوعُ ..

نَشتاقُ .. نَشتاقُ.

ونَبتهِلْ

ليَفتحَ الفَضا حَنينَهُ

وتَنحني السَّما

تُقَبِّلُ المَدى

فيَخْفقُ المكانْ

وتَشتعِلْ

مسافةُ الزَّمانْ.

ونَبتهِلْ

يا آيةَ الغِبْطَهْ

ليَنهضَ الإِنسانْ

أَفْئدَةً دافئةً

ويَقْظَةً .. وينْهَضْ

سواعداً .. وتَنتفضْ

جِراحُ لُبْنانْ ..

ونَبتهِلْ
لتَنهضَ الفصولُ
غمامةً خضراءَ
وشجراً ورَفَّةً
وثَمَراً وحِنطَهْ
أو جَنَّةً تَميلُ ..

ليَفْرِشَ الضُّحى جفُونَهُ
ويَنشُرَ القَمَرْ
أشواقَهُ
ويَحْفِرَ الحُبُّ حُروفَهُ على القَدَرْ.

ونَبتهِلْ
نُوَسِّعُ النِّداءَ
نُطلقُهُ
إليكِ يا عذراءُ نَبتهِلْ.

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٢

مدائح جديدة

جورج شكّور

إفْرحي، تَهْتِفُ دُنياي، آفْرحي   يا عَرُوسًا بُوركتْ بالسُّبَحِ!
مَنْ كأمٍّ اللّهِ أُمًّا كَمُلَتْ   ومِثالاً لِعَذارى المِلَحِ؟!
يَتُها الفائقُ دَوْمًا قُدْسُها   قَبِلَتْ مِلءَ المُنى والفَرَحِ
ألْهِمينا، بارِكي لُبنانَنا   كَبُرَ الهَمُّ علينا، آجْتَرحي
مِنْ أعاجيبٍ، وآياتِ عُلًى   وأطِلّي في شَفيفِ اللُّمَحِ

أنْتِ أمُّ الأُمَّهاتْ
تُوِّجَتْ بالنَّيِّراتْ
وبَهِيِّ البَسَماتْ
لكِ، يَا نَهْرَ الهِباتْ
تَهْتِفُ الدنيا: آفرحي

بآسمِكِ الحُلْوِ حلا كُلُّ لِسانْ   يا إناءَ الرُّوح، يا روحَ الحَنانْ
نَجمةَ الصُّبْحِ ومِرْساةَ الأمانْ   أرزةَ العِزِّ، وأزهارَ الزَّمانْ

يا حِمَى الحُبِّ، آفرحي

بُـرْجُ عـاجٍ قـيـل أو بَـيْـتُ ذَهَـبْ   أيُّ حِـصْـنٍ أنت، يا بابَ السَّـمـاءْ!
ذابتِ الشَّـمسُ شُـعـاعًـا وآنسَـكـبْ   مِـلْءَ عَـيـنـيكِ جَـمـالاً ورَجـاءْ
وشـــدا الـــكَـــونُ: آفـــرحـــي

ظَـلِّـلـيـنـا بِـجَـنـاحِ الـطُّـهْـرِ   رَفْـرِفِ الجَنَّـةِ، أفـيـاءِ السَّـلامْ
وخُـذي مـن قـلـبِـيَ المُـنكـسِـرِ   خَـمـرةً لَمّا تَـذُقْ مـنـهـا الأنـامْ
خـــمـــرةَ الـــبـــالِ آفـــرحـــي

زَيِّـــنـــيـــنـــا بـــالـــفـضـــائـــلْ
غَـــيْـــرُهـــا ذاوٍ وزائـــلْ
لكِ، يـــا كُـــلَّ الشَّـــمـــائِـــلْ
تَـــهْـتِـــفُ الـــدُّنـــيـــا: آفـــرحـــي

كُـنْـتِ جِـسْـرًا بين أرضٍ وسَـمـاءْ   ولِـــقـــاءً بين رَبٍّ وبَـــشَـــرْ!
كَـشَـفـيـفِ الماسِ إنْ شَـعَّ الضِـيـاءْ   عَـبْـرَهُ مَـرَّ، ومـا الـمـاسُ آنْـكَـسَـرْ
بِـكِ بـات الـلّـهُ مُـذْ حـانَ الـفِـداءْ   إبْـنَ إنسـانٍ وأَلَّـهْـتِ الـبَـشَـرْ
جَـــنَّـــةَ الـــرُّوحِ افْـــرَحـــي

وإذا تُــذْكَــرُ «قـــانـــا»	حـيث كــان الــعُــرُسُ
قُــولُــكِ الــبـــارِعُ بـــانـــا	ويَـــسُـــوع الـــقُـــدُسُ

جــاء لــبـنـــانَ يَــسُــوعــا	وغـــدا فـــيـــه المســيــحْ
مـــا أُحَــيْــلاهـــا رُبُــوعــا	حَــوَتِ السِّــرَّ الصَّــحـيــحْ!

رَبَّـــةَ الــسِّـــرِّ آفْـــرَحـــي

سيّدة الوردية – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٣

قانا: هي قانا الجليل في لبنان

قُدومُ مريم

د. علي شلق

كما توحي صورتُها في كنيسة كفريا من أقدم كنائس لبنان،
فكنتُ أُذهَلُ متأمّلاً جمالَها وجلالَها وأنا طفل وأحلم.

خَطْوُكِ الطفلُ، انْعِطافٌ وتَمَنٍّ
كُلّما رَفَّ جناحاك على الريح تغنّي
قالت الخطوةُ قلبي. قالت النَّظرةُ عيني
قدمان انسابتا بين السّماوات وبيني
تهبطين الأرضَ في موعد إيمانٍ وحزنِ
عيدُ أورشليم بيضاء على بِشرٍ ويُمنِ
فَرَحٌ يهني على الدّهر ويُغني
يَنبضُ الصخرُ وفي رَحْبِ المَدى جنّةُ عدنِ

فاضَت النُّعمى بكفريّا شموسًا في المجالي
وعلى قُدسك ثوبُ من مَلاءات الخيالِ
تُمطرينَ الأرضَ من سُحبِ حنانٍ وابتهالِ
تَزرعين الخيرَ بالخَطواتِ من خُضر الدّوالي

تُسبلين الأنملاتِ الزُّهرَ من طَيفٍ ببالِ
ثوبُك القدسيُّ منسوجٌ من الزُّهر الغوالي
بقلوبٍ وعيونٍ وأمانيٍّ حوالي

أيّ ثوب لاح تذكارَ شفاهٍ وجباهْ!
نسجته كفُّ جبريلَ ابتهالاتِ صلاةْ
أنجماً ذابتْ وتُجري الوَهْجَ في صفو المياهْ
لِمَ لا تَمشين والدنيا على دربك تهويمُ شفاهْ
لا تغيبي. لك لبنان انبعاثٌ لحياهْ
مثلما شعشع من قلبك للأرض إلهْ

مريمُ والبحرُ من ظلّك ممدودُ المدى
عرشُك المنسوجُ بالأنجم جلّى سرمدا
قلتِ أمّ الارضِ، قالتك السّماواتُ ندا
فهبطت الارضَ قربانَ حنانٍ وفِدا
ورسمتِ الحُبَّ في أشواك دربٍ موعدا
فإذا المذودُ منه شعَّ فجرٌ للهدى
مريمٌ. ما أقدسَ الصوتَ، وما أحلى الصدى

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٤

.. ويَمَّمْتُ وجهي إليها

محمّد علي شمس الدّين

١

تَلبَسُ الروحُ وحشتَها

وتداري أساها

تَعَبي سيّدٌ

وجناحي مهيضُ

هذه الروحُ شيَّبَها عِشقُها

وبَراها الذي تابَ من عِشقِها

ثُمّ إني مريضُ

جمرةُ الحزنِ خضراءُ في القلب

والجفنُ يلمعُ فيه العذابُ

سأرفعُ نحو السما كأسَكُمْ

وأشربُ نخبَ الّذي (سلّموا ثُمَّ غابوا)

وقوفاً على البابِ

هذا فمي دميةٌ

وَجَناحي قبابُ

وحَلَّفتُهم بالذي كانَ من سرِّنا

فما سمعوا

أو أجابوا

وما عرفوني

ظلٌّ يبكي على زَمَنٍ غامضٍ بيننا

وينوحُ الغرابُ.

٢

تلبَسُ الروحُ أوجاعَها

وتداري أساها

تَعَبٌ سيّدٌ

وفضاءٌ قليلُ

وما كنتُ أبكي

ولكنّني كنتُ ملتجئاً تحت ثوبي

أحدّقُ في اللّهِ... ماذا أقولُ؟

وحيّرني وجهُها

مَلِكٌ أم رسولُ

مَلِكٌ

أم

رسولُ؟

مرَّ ما بيننا مَلَكٌ جارحٌ فهوى

مرّتِ الساحراتُ

مرّ عشّاقُها واحداً واحداً

ثُمَّ ماتوا

مرَّ طيفٌ على الماءِ

مرَّ المسيحُ

مرّ نجمي:

رجلٌ فارعٌ

وسِنامٌ

وريحُ

فوق سيناءَ يعدو، ووجهتُهُ الشرقُ

لا يستريحُ

– هيهِ

ماذا تقول طَوَالِعُكم يا صديقي؟

وماذا تخبِّئُ تلك النجومُ

سكَتَتْ في عباءتِها

وَعَراها الوجومُ؟

– تقول: إذا الشمسُ مالت بميزانها

على جَبَلٍ نائمٍ لا يصلّي

فأشعل في قلبه طيرَهُ

وأتى خاشعاً

وجميلا

إذا قام من قبره ميّتٌ ومشى

إذا مسَّهُ متعبٌ وكسيحُ

فلا تسألوا

لن يردَّ الجريحُ....

سوى هللويا

أتى نجمَنا وهوانا

هللويا

مشينا على قاربٍ وحدَنا في الهواء

هللويا

تعدّلَ حتى مِزاجُ النجومْ.

٣

لأجلِكِ عَدّلتُ ميزانَ روحي

وأسلمتُ قلبي إلى قَدَرٍ غامضٍ

إلى اللّه...

كانَ لي نخلةٌ

كلّما هزّها ربُّها أمطرتني

فآوي إلى جذعِها حين يأتي المساءُ

وأُرسِلُ طَرْفي

أسرّحُ شَعرَ الثريّا

وأصغي إلى ما يقولُ السكونُ

وحيّرني وجهُها

مَلَكٌ أم جنونُ؟

مَلَكٌ

أم

جنونُ؟

كانَ يَلزُمُني كي أفسّرَ هذا العذابَ

قليلٌ من الشعرِ

لكنني لم أكُنْ شاعرا

ما الذي كانَ يفعلُه الشعراءُ قبلي لكي يَصِلوا؟

إنّها حالتي:

أرى لا أقولُ

أرى

لا

أقولُ

سأروي لكم سرَّها فاسمعوني:

لم يكنْ في البدايةِ إلاّ الظلامُ

وروحٌ ترفرفُ مثل الحَمامِ على الغَمْرِ

واللهُ مبتهجٌ وحدَهُ

ثُمَّ جاءَ الكلامُ

كان بَرْدٌ وحُمّى يلفّانِ جسمي

وأنا في ردائي غريبٌ ومختَطَفٌ

كيف أروي الذي كانَ منّي

وأبعدُ من لغتي نشوتي... والسلامُ؟

أوّلاً: حملتني الطيورُ على صدرها

ثانياً: أوصلتني إلى غابةٍ في السماءِ

ثالثاً: أسبلوني على طَرَفٍ من ردائي

رابعاً: شقّني عند نحري الملاكُ

خامساً: أودعوا سرَّهم عند قلبي وقاموا

سادساً: ضَمّني....

واستراحَ الكلامُ.

٤

يكونُ ليَ المجدُ: شمسي مُتَوَّجةٌ في الأعالي

وكفّي على الأرضِ ميزانُها

إذا غيمةٌ عَبرَتْ سلّمتني خُطاها

إذا امرأةٌ صَرَخَتْ في أقاصي الجزيرة ملهوفةً

أرّقتني

فأمسحُ أحزانَها وأساها

أطوفُ على عَسَس الليلِ أسألُهم:

هل سَمِعتُم أنيناً

وهل أبصرَتْ عينُكم دمعةً في جفونِ اليتامى؟

أنا شمسُهم وخُطاهُمْ

أطوفُ على فَرَسٍ في البلادِ وحيداً

يقبِّلُني الفقراءُ

ويَلمُسُ أطرافَ ثوبي الحُفاةُ

نَقشتُ على جسدي وشمَها

وخبّأتُ في جعبتي خصلةً من دُجاها

يحيطُ بيَ البَدْوُ في ظلمةِ الليلِ

أحكي لهم خَبَري حول نارِ القِرى

ويأنسُ بي وحشُهم في الفَلاةِ

ولكنّني كنتُ أسألُهم غيرَ ما سألوني

أتى رجلٌ من أقاصي المدينةِ يسعى
وألقى بسَمْعي كلاماً
فألقيتُ رَحْلي على كتفي
ويمَّمتُ وجهي إليها
ما الذي لا يراه المصلّي بمحرابه
وأُبصرُه خاشعاً على قَدميها؟
ما الذي لا يراه الملوكُ
وأبصرُه، دونَهم، في يديها؟
تسّللتُ بين السيوفِ وأحلامِهم
كلَّما أغمضوا جفنَهم أبصروني
أنا أجملُ الأنبياءِ وأعجبُهم خبراً
فالبسوا وحشتي مرّةً.. واتبعوني

حديقةُ مريم

محمّد علي شمس الدّين

أطْبَقَتْ مريمُ جفنيها على جفنِ النخيلْ
وَسَقَتْني قهوةً مثلَ مِزاجي
أطبقَتْ مريمُ جفنيها على صورتِها
فرأتْني...
... كانَ يا ما كانَ في يومِ الثلاثاءِ
وكان الطقسُ عُشْبا
والفراشاتُ التي تخرجُ من كُمٍّ الفضاءْ
تتلاشى
كفضاءِ السَحَرَهْ
جَلَسَتْ مريمُ في مرمى الحقيقَهْ
مرَّ قنّاصٌ ولم يقنُصْ
ومرّتْ في الحديقَهْ
طفلةٌ خضراءُ
مثل الشَجَراتْ

قلتُ فَلأعبُرْ
وأطلقْتُ عِناني
نَظَرتْ مريمُ لم تخطئْ حصاني
ورأتْ ظلّي فسمّتهُ الترابْ
ورأتْ كفّي
فسمَّتْها الزَمَنْ
ودَعَتْني
فتداعَيْتُ إليها
أخَذَتْ مريمُ غصنَ الشَجَرهْ
رَسَمَتْ خطّينِ لليأسِ
.... وخطّاً للأمَلْ
ثم شَقَّتْ صدرَها العالي
كرمّانِ الجَبَلْ
وأشارَتْ للدمِ المعقودِ فوق الثَمرَهْ
وأشارَتْ للجَبَلْ...
إنها تمطرُ في السرِّ
وقبلَ الكائناتْ
في أقاصي
مريمَ المنهمرَهْ.

العذراء

محمّد توفيق صادق

وجهُكِ الشرقُ هَديلٌ وحَمامْ   ناهدُ الضوءِ، مُوشّى بالغَمامْ
تُدهشينَ الكونَ أنّى تظهري   مريمَ الطُّهرِ وعَذراءَ الأنامْ
شاءكِ الرحمنُ نجوى أُمَّةٍ   تلِدُ النّورَ الذي شَقَّ الظلامْ
وَوَضعْتِ الطفلَ مجداً منْ علٍ   حاملاً في الأرضِ أغصانَ السلامْ
وَهَفا كلُّ شريدٍ واهتدى   ودنا كلُّ طريدٍ وأقامْ
هَلِّلي يا أمَّنا وابْتسمي   شَعْشَعَ المنتورُ واخضلَّ الخَزامْ
قَمَرُ القدسِ يُصلّي راهباً   وتآخى المهدُ والبيتُ الحَرامْ

نحن يا عذراءُ ضَيَّعْنَا النوى   غُرَباءَ الدارِ أضنانا الغرامْ
يَبسَ النخلُ وشحَّتْ غَيمةٌ   وتلَظّى الرملُ واشتدَّ الضِرامْ
يَهْوذا لا يرتوي مِنْ دمِنا   هَدَمَ الهيكلَ والقدسُ تُضامْ
وأتى المِنبرَ لا يردَعُهُ   هالةُ النور وقُدْسيُّ المقامْ
أنقذينا وافتدينا وارحمي   مُهَجاً حَرَّى وأطفالاً نيامْ

نــحــن يــا أمُّ عــلــى عــهــد الــفــدى نشــربُ الــدمــعَ كــؤوســاً مــن مُــدامْ
كــم تــظــلّــلــنــا بــعــيــنــيــكِ هُــدىً وَحَــفــرنــا ســيــرةَ الــفــادي وِســامْ
حــمَــلَ الآلامَ عــن كــاهــلــنــا وبــنــى فــي الــنــاس: وُدّاً ووِئــامْ
لــيسَ لــلــحــقــدِ طــريــقٌ عِــنْــدَهُ لا ولا فــي الصــدرِ غِــلٌّ وانــتــقــامْ
أيُّــهــا الــعــذراءُ والــقــدسُ لَــنــا خَــلِّصــيــنــا... مَــزّقــي ثــوبَ الــلِّــئــامْ

آذار ١٩٩٧

مريم - الأُمّ، الشفيعة، الشاهدة

مقاطع من قصيدة «أجراس اليوم الثالث»

د. أديب صعب

الساعة ٢٢,٣٠

أرَق، أرَق، صُداع، غَبَش.

نوافذُ الرؤيا تتفتّح.

أرى أشياءَ كثيرة،

أسمعُ أصواتاً كثيرة،

العالمُ كلُّه يتجمّعُ في عينيّ:

باطلُ الأباطيل.

سألتُكِ يا بلادي:

أيُّ ضوءٍ فَجّرته يدُ المحبّةِ

باسمكِ القُدّوسِ،

باسمِ طلائعِ الخَلْقِ،

ولم تَسحقْهُ أقدامُ الطغاةِ،

ولم تُمَلِّعْ كلَّ جفنٍ مهتدٍ للموردِ الأعذَبْ.

سألتُكِ: أيُّ هادٍ

راحَ بالعَينين يَحفرُ دَربَنا للّهِ، للحقِّ،

ولم يَحملْ معاصيَ الدهرِ، لم يُصلَبْ؟

بلادي، بلادي، بلادي،

مصلوبةٌ لم يأتِ يومُها الثالث بعد.

بلادي؟

باطلُ الأباطيل.

الساعة ٢٣,٠٥

أكتب؟

ما تَفعلُ الكتابَهْ؟

ما تَحملُ الأصواتْ؟

في وطن الغربانِ والحيّات؟

ما يَحصدُ الحُبُّ سوى الكآبَهْ؟

الكتابة، الأصوات، الحُبّ؟

باطلُ الأباطيل.

يعلّمونني؟

«مَنْ أنا؟

قبلَ، يُقالُ.

قد يكون الصوتُ صَوتاً صارخاً،

قد لا يكونْ.

رُبَّما، رُبَّتَما، أو بَينَ بَينْ.

ألضُّحى ليلٌ، وأضواءُ العُيونْ.

كلُّ شيءٍ بَينَ بَينْ».

يعلّمونني؟
باطلُ الأباطيل.

الساعة ٢٣,٤٠

أرَق، أرَق.
كلامُ الليل يمحوه النهار،
وكلامُ النهارِ يمحوه الليل.
غيرَ أنّي عَرفتُ الآنَ كلَّ شيء:
أنا نفسي عندما آوي إلى الفراش.
عندئذٍ أخلعُ عن وجهي جميعَ الأقنعة.

أهْربُ من كلِّ الوجوهِ حَولي،
أهربُ من وُجوهي،
من شكليَ المشبوهِ،
مُطَّرِحاً هزيمتي ويأسي،

إلى مدىً أَلبسُ فيه قَوْلي،
إلى مدىً أكونُ فيه نَفْسي.

أكونُ نفسي؟
باطلُ الأباطيل.

الساعة ٢٠,٠

أرسمُ علامةَ الصليب ثَلاثاً على جبيني:
فَلْتَذهبِ الأرواحُ الشرّيرة.
أُصَلّي، أطلبُ، أستغيث:
يا أُمّي، يا مريم،
قُولي لأخي يَسوعَ ألاّ يتركَني.
أمسِ، وأنا في بركانِ اللهيب،
صَرختُ إليه من أعماقي،
عَلّه يمرُّ من أمامي
فألمسُ طَرَفَ ثوبه،

علّه يحملُني ويطيرُ بي.
غير أنَّه أدارَ وَجهَه
كأنّه لم يسمعْني.

يا أُمّي، يا مريم،
قولي لأخي يسوعَ أن يجيبَني
إذا نادَيتُه.
قولي له ألاّ يتركَني،
لأنّي ألمحُ كثيراً من براكينِ اللهيبِ تَنتظرُني.

إسأليه لماذا يَهربُ منّي
كلَّ مرّةٍ أُناديه –
وأنا الذي سَوّيتُ له شجرةَ الصنوبر
يومَ وُلِد،
ورَصّعتُ له المغارة،
وأنا الذي ذهبتُ إلى الكنيسة

تحت المطر،

وأنا الذي صَلّيتُ كثيراً،

وأنا الذي بكيتُ كثيراً،

وأنا الذي خَرجتُ ليلةَ الغطاس إلى العراء،

ولم أدَعْ طلبةً إلاّ طلبتُها.

وأنا الذي عَلْقتُ صورتَه فوق رأسي،

ووَضَعتُ كتابَه تحت رأسي...

قولي له كلَّ هذا،

يا أُمّي، يا مريم.

أتَسمَعين؟

أتُريدين شهوداً؟

الساعة ١,١٥

أرَق، أرَق.

فُكّوا عنّي عقدةَ محبّتِكم أيُّها الناس،

إذهَبوا عَنّي.

ليس عندي شيءٌ أردُّه لكم.

محبّتُكم تنقلبُ رعشةً ورعباً،
والجسورُ تتقصَّفُ بيني وبينكم.
بكيتُ على أمواتِكم كثيراً،
فَرِحتُ في أفراحكِم كثيراً،
فاتركوني الآن.
خذوا ضوءَكم عنّي،
فقد تقرّحَت عيناي من ضوئكم.
أُعطوني الظلام،
وخُذوا منّي كلَّ شيء.

أصواتُكم تَحزُّ في قلبي،
تَحفرُ مستنقَعْ
يَسقطُ فيه الحُبُّ والطفوله،
وتَغرَقُ القبيلهْ،
وطائرٌ يَطيرُ لا يَرجَعْ.

دَخلتُ في الحُلْم، رَأيتُ النّارْ.
وكانتِ الأرضُ على الهاوِيَهْ
يكادُ أن يَجرفَها التيّارْ.
ورُحتُ أُحصي المدّةَ الباقِيَهْ،
قَلّبتُها ثانيةً ثانيهْ،
وكانتِ الأرضُ مدىً من أنينْ:
أبصَرْتُها، سَمعتُ حسَّ الجراحْ،
صَغيرَها، وَلْوَلةَ النائحينْ،
جَرجرتُ خُطْواتي إلى المصباحْ،
يدي على الجدارِ، خلفَ البابْ،
لم يُنرِ المصباحُ، نادَيتُهمْ
للمرّةِ الأُولى: أبي، أُمّي. .
ناديتُهمْ، لم أسمعِ الجوابْ.

أحلمُ أنْ مُتُّ، وكلُّ شيءٍ
يبكي: الرؤى والأضلُعُ الكسيرَهْ،

ولم أقلْ كَلِمَتي الأخيرة.
وافَرَحي – ماتت معي
كَلِمَتي الأخيرهْ.

ألجَسَدُ المغَطّى
بِوَرَقِ الدمعِ وبالغُصونْ،
بالهاجِسِ الخفيّ والمكنونْ،
غابَ وغابت بَعدَه الحنايا،
ضاعَ وضاعت خَلفَه العُيونْ.

لا تَلْبَسي، يا مَرِيَمُ، الأسْوَدْ،
لا تَندُبي مَوتي، ولا تَنوحي.
ها أنَذا مع الضحى تولَدْ
بَكارَةُ العالمِ من جُروحي.

وشاح الروح

زينب مرعي الضاوي

العذراءُ

الزهراءُ

الكينونةْ.

وهذا الماءُ

الأيقونةْ

على صدرِ الدنيا

كأنْ الياقوتُ

مريمَ

والمهدُ

والمرجانْ.

حَدَقُ النهارِ

وماءُ عينِ الزمانِ

المُصَفًّى

المُصْطَفَى

أنتِ

الأريجُ المُحْتَفَى

بهِ، بينَ النّساءْ

في محاريبِ المنى

أمْسُكِ المسكُ

المُقْتَفَى

والنسغُ الرقراقُ

مَدُّ أجراسٍ

غِمْدُ أغراسٍ

لامتشاقِ قَدَّرين

ووجهِ قَمَرَّين.

تماهى الليلُ والليلك.

والوردُ البتولُ

بَتَلَةُ إشراقٍ يقول:

شغفُ نُسكٍ
غدُكِ
العشقُ / الطوافُ
والعفافُ المرتجى.

جبينُكِ الجنوبُ
والجراحُ الممسَّدةُ
من شوكِ المعابر،
حين المرقَّطُ الدامسُ
شواظُ أنجمٍ
والخوذُ، المرايا، المطفأةُ
انكسارُ الذاكرة.
راحتُكِ الجليل
وكفٌّ قانا الوريفُ
في هواجرِ الخطوبِ
تُكَفْكِفِيْنَ حزنَ اليتيمِ
الجائرِ

ودمعَ الثاكلِ
تَكُفُّ الأسئلةُ الملحاحُ
في عينِ السائل.

تَصْعَدِيْنَ في تسابيحِ البنفسجِ
الهاجدِ
سَعَفَ شمسٍ
وزنابقَ على الرمالِ
يَهمي شذاها
يُنبوعاً ناهِدَ الندى
وبَخوراً يطفو على المدى
تمائِمَ خرزٍ
كالترياقِ على الوجعِ / الوجلِ
وتعاويذَ من عينِ الردى.

تسعى المصابيحُ إليكِ
تسعةً مطهّرةً / مطهّمة

تكتسي الأرضُ رداءَ الرّوحِ
والريحُ مَهَبٌّ الجلجلة.
تَرْشَحُ الصلبانُ
دماً وزيتاً
فتتعمَّدُ الأسابيعُ
تغتسلُ الينابيعُ
والبحارُ السبعة.
تحني طِباعَها المساميرُ
لميازيبِ ضوءٍ
وذبالاتٍ قامَتْ مُجَلْجِلةً
بفضاءٍ فسيحٍ
ومغارةٍ من صخرِ الحنان.
نخلتانِ تَطَّرِدانِ
على صدرِ الهدى
يقيناً مرتاباً..
مسقطُ حزني / أمّي

فالحزنُ ارتيابٌ
واليقينُ محرابُ مريمَ.

أراكِ كما الرحيق
وشاحاً من الجمانِ الأزرقِ
على كتفِ القرى
وتُوَّيْجاً سماويّاً
يَدلُّ الزهْرَ الوشيكَ
مِنَ الثّرى.
وعينُ الطريقِ
تسترعي انتباهَ الشوكِ
تومئُ للصابرين
أنَّ الجبينَ قيامةٌ
والهنيهةَ مفتاحُ الحياة.

وأراكِ فاطمةَ
سيّدةَ النساء.
من جفنكِ دمعُ زينبَ.

مثقالُ حبَّةٍ

كالَّتي أَنْبَتَتْ سَبْعَ سنابلَ

والسنبلةُ مائةَ حبَّةٍ

وذراعَ شهيدٍ

أُنْبِتَتْ سبعةَ جداولَ

ومعولاً يَهْجَعُ على ساعِدِ الحقلِ

ولا يستريحُ،

ليستفيقَ الدهرُ

والسبايا

سحائبَ طيرٍ من طينِ الصباح

ونواقيسَ تِبْرٍ تقرعُ الميلادَ

تقرأُ النفسَ صعوداً

في ترانيمِ الجسد المُمَهَّد

قمحاً وسنا.

ترتدي الفراشاتُ

شكلَ العبيرِ الأصهبِ

تردِّدُ ما قالَهُ النّورُ
في جوقةِ ثوانٍ
من اللهبِ المقاوم.

يتّكئُ الترابُ
إلى جذعِ جَمْرَةٍ
وجذعُهُ على التلال،
تندلِعُ أناشيدُ احتراقٍ
من الصمتِ الْجَسُورِ
في كُنْهِ الكلام
ثلاثُ ليالٍ قريرة
كقيلولةِ جمرٍ
فوقَ الغيم
وتحتَ الرماد.

١٩٩٥

عذراء لبنان

ريمون عازار

يا مريمُ

يا أمَّنا

يا زهرةً شذيّةً منْ أرضِنا

تمسُّها أناملُ الرحمنْ

فتنحني طائعةً

وينحني أمامَها الزمانْ

يا أجملَ الآياتِ في الانجيلِ والقرآنْ.

يا حلوةً آتيةً

في الأرزِ منْ لبنانْ.

لتفرحي

يا مريمُ

نُوزِّعُ الورودَ في السماءْ

نعلِّقُ النجومَ في قناطرِ المساءْ
ونَبتني على الذرى مناسكاً
لأنّكِ المليكةُ الفريدةُ البهاءْ.

في عرس قانا
عندما باتَتْ كؤوسُ الخمرِ لا تجري
وقد لاحتْ على الحزنِ القلوبْ
هلْ تُعلَنُ البُشرى؟
وطيفُ الله يمشي خافياً
ما فوقَ هاتيكَ السُّهوبْ؟
تَكَلَّمي يا مريمُ
فتنتهي في أرضنا الآلامُ والخطوبْ
تَشَفَّعي يا مريمُ
فيستحيلَ الماءُ خمراً في أجاجينِ الجنوبْ.

أجراسُنا يا مريمُ
تعانقُ الصلاةَ في المآذنْ

وفي المدى مآذنٌ
تعانقُ الأجراسَ والدّعاءْ
فصوتُنا الى العلى موحِّدٌ
ودينُنا على الهدى موحِّدٌ
وأرضُنا، يا أمَّنا، واحدةٌ
وشعبُكِ العُبورُ واللّقاءْ.
فباركي يا مريمُ
وأبعدي من بيننا
الخصامَ والبَغْضاءْ
وجدّدي يا مريمُ
البشارةَ المضيئةَ السّمحاءْ
فإنّما لبنانُنا عُليّةٌ
وانّما عذراؤه حرّيةٌ
تَشُعُّ في أرجائِهِ
وتبتدي أزمنةُ الخلاصِ والرجاءْ.

أيّار ١٩٩٤

مريم

عصام العبدالله

وكان وحدو كتير

مدوّر متل سر ووقع بالبير

كِلْ ما كِتر بيصير متل بعيد

وحدو العتيق

ما كان مرّه جديد

وحدو اللي قاعد بينك وبينك

وحدو اللي قاعد فيك

طوّل لحالو صار يتسلّى

ويتخيّلك

تيلعّبك

يمكن إذا ضوّا السما

ويمكن إذا طفىّ السما

يسلّيك.

النسوان ما كانوا حدا
فاق الدّكر وحدو
جاي ع بالو رفيق
فكر بإنّو لو عمل حدّو مرا
يمكن مزاجو يصير أحلى شوي
بتلعّبو
بتعطّشو وبتشرّبو
وبتمد إيدا برق
بتصير الطريق
داير يفتّش تا يلاقي بنت
يقرالا شعر
يملّس عليها بالحكي
ويفرك على روح الحبق
ويشمّ كفّو عطر
البنت المتل كلمه
عا راس صوتو لَعّبا متل السحر

ولمّا سألهن وينها ردّ العمر
البنت اللي عم تسأل عنّا
كلمه وغرقت بالحبر

هاتوا حقول الواسعه
مدّوا الورق
غطّوا السرو بالمي
جاي حدا يفك الحرف
يرسم خليقه يرتّبا متل الجُمَل
ويبلّشا بحرف الألف
آدم
أوّل كلام بينعمل من طين
أوّل نحت للصوت
أوّل ترجمه
أوّل حياة مزيّنه ومهيّأه للموت
أوّل ملحمه

آدم دكر مش عاجبو
بيضيق خلقو من الدكورا كتير
بدّو مرا تبكي بنص الليل
من فرحتا بمرايتا
وتفرك ع عنقود العنب
تترك وجع وتطير.

وما كان باقي طين
بيمد إيدو عا صدر آدم
بيشيل ضلع بيعملو حوّا
وبيملّسا
شو ناعمه
بيصبر عليها، بيعتني فيها
وبعد ما ينفخ فيا ويخلّصا
بيشلح تياب الشغل
بيعلّقن متل السنين.

مبيّن كاإنّو آدم تحرّك، عرف
آدم مدوّر كان متل تفّاحه
ولمّا سمع صوت المرا
دغري وقف
متل الألف
آدم، وحوّا شافتو
وتطلّعوا ببعضن
متل الكاإنو في خجل
مارق حدا عم يجرحو
وعم يسمعوا صوتو متل مفتاح
بيدور بِـ باب الحكي وبيفتحو
ما تاكلو تفّاح
ما بيسمعوا بيقرّبوا
ما تاكلوا تفّاح
ما تغلّطوا خلّوا الوقت مرتاح
بيطنّشوا وبيقرّبوا

بتقطف وبتناولوا التّفاح بـ خيرو

وكل ما أكل بستان

بتناولو غيرو.

وما كان عامل هالحساب

بدّو المرا تمرق هوا

وتصير دغري غياب

بدّو المرا ما تعرف الشهوه

تشيل الأساور والحلق

تخلّي الحبق

تغلي متل جمر اشتعل تيفوّر القهوه.

من وين نزلت شهوتن

من وين

ما بيكتروا إلاّ إذا صاروا اتنين

هوّي اللي ضوّا الطين

عالميلين

تا يمرقوا طيور الحكي

إللي طيّرن بعدين.

حوّا اللي لحقت آدم
من الأوّل الأوّل
نسيت حدا قبلو
راحت ع شغله شافتا
وكان بدّو تروح
صوب شغله حسّتا
هوِّي
هالغامض المنحسّ إنو حدّنا
ومنحسّ إنو ضدّنا
لَمّا عن التفاح بدو يردّنا

مقهور من حوّا
حوّا اللي شافت جسمها
متل الخطيّه جسمها
معمول من روح الطرب
قنينة نبيد

وسكر ديك الحطب
مقهور من حوّا
بتخطر ع بالو مريم
اللي صوّرا بعدين
البنت اللي طفّت شهوتا
وقت اللي ضوّت شمعتا
تتشوف إنّو صورتا مش صورتا
تتشوف إنا صورتو
وإنّو ترك ع مخدّتا
روح الزمان
العرفتا من ريحتا

نكاية بحوّا قال لَـ مريم
بدّك صبي وما يِقْرَبك رجّال
مش معقول.
إلاّ إذا بدّي أنا إلعب
بقعد بعبّك عالهَدَى

بتخلّفيني بعد تسع شهور
متل الكاإنّو ما حدا خلّف حدا
وبيضلّ جسمك نور عا بلّور
الإم البلا شهوه
أوّل شهيدة للجسد
وبظنّ ما زاد العدد.

حلو الدهر بالليل
لما بيفتح الشبّاك
وبيطلّ
سامع عرس بالحي
صواتن قريبه
وعم تخشّ دفوفهن
بيجاوبوا بكفوفهن
سامع عرس
عم يلمعوا غنوّا ع حدّ سيوفهن
صار القمر خنجر

بيسِنّ حالو عالعتم

بيشرقط نجوم وكواكب

طوّلوا ع رفوفهن

هيدي العروس الإسمها مريم

بالأزرق الفاتح

متل الكاإنّو في سما

وصلت من مبارح

اللي إسمها مريم

بالازرق الغامقْ

منامِ وإجا رسّام

تايرسمو ويفيقو

لاقى الرسم فايق

هيدي العروس الإسمها مريم

والدهر عالشبّاك

بيشوف إنّا وحدها

بتمشي متل لا قبلها ولا بعدها

وحدا العروس وغاب من حدّا العريس
وكان الوقت يمكن خميس
يمكن الجمعه
يمكن نهار السبت
طرف الوقت
بيعدّ إيّام المضت
بيحطّها تحت التخت
وحدا العروس الإسمها مريم
أللّه عملها من حليب الريح
تاتنتبه حوّا منيح.

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٣

سيِّدة البيدر

د. ساسين عسَّاف

حَدَثاً علّمتني أمّي الجبليّةُ صلاةً رست في الذاكرة المُجْهَدة، يُنْبِتُها القلبُ كلَّ ليلةٍ إغفاءةً أُولى يكنُّ فيها الجسدُ وتَنقى لها الروح.

ساءلتُ أمّي، وبراءةُ الأحداث في لُبِّ السؤال: كلُّ الأولاد يا أمّي لهم أمّان؟

– «إيه يا ولدي سيّدة البيدر أمّ لكلّ ولاد الضيعة. صلّيلا ونام».

غفوتُ .. وهَمُّ السؤالِ مع الزمنِ بات من غيرِ جواب.

بحثتُ عنه في كلّ الدوائر. كلُّها كانت هباء.

أعودُ اليومَ إلى أمّي الجبليّة، جوابُها يبقى، على العمر، أوفى جواب.

أمّي لم تكن في جامعات روما وباريس وسلمنكا. لم تقرأْ آباءَ الكنيسة. لم تجادلْ في سرّ التجسّد.

وَردتْ أمَّها العذراء في عطاءات البيادر والحقول.

أحبّتها حتى الوجعِ والجمر.

صلّت لها يومَ أبي يحلُم بالحَبّ والتّبغ والزيتون. رافقتها في حقول القـهـر والتّعب الحـلال؛ في سـواحبِ الـريح وفي مضاربِ الشمس رافقتها، ونَبْضُ القلب زرعٌ ونضير.

حاكت يدَ العذراء تمتدُّ إليها تَطرحُ البركاتِ في المعجن الريفيّ تدوّرُه أقماراً تُشْبِعُ الأولادَ مغموسةً بالزّيت والزعتر.

ساكَنَتْها في هَدْأة القبو، وصلّت كي تُعيدَ إليها وَقْعَ أقدام أبي يؤوبُ من شهقةِ الأرضِ ومن شَقَّة المحراث، يندهُ أنْ هاتَ الطستَ والماءَ والصابونَ، يتمدّدُ فوق الحصيرِ وفوقه عمرٌ وعمرٌ من بذارٍ تلتمُّ وتحيا وتنهضُ من عروقِ الأرضِ أمواجُ السنابل.

مرّةً أمّي عاتبت سيّدةَ البيدر، عاتبتها باكية. يومها شَحَّ البيدرُ، والنَّورجُ الخشبيّ لم يعرفْ زوغةَ الأولاد، وجبينُ الأسمرِ الصَّلبِ لم يلمّعْه وهجُ الشمسِ والعرقُ الصبيب.

ما كلُّ ما كان يكفي.

يومَها بكت أمّي.

مدى العشيّات يدُها باقةُ وردٍ، وصدرُها زنبقٌ طهرٌ وصلاة. قلبُها وَجَعٌ ولهب.

ركعت عند أعتاب المزار، وراحت تنده العذراءَ في القَصيِّ الرحب، في السماءات الكثيره، راحت تدخل في الضوء أكثر، تُبْحِرُ في العذوبة، فيها تَنحلُّ والبرهةُ تَسمو، فرحُ الوصال، ودفءُ التغوّر في الوصال، بهاءٌ عارمٌ وحضور، بياضٌ لطيف مُفَاض، بهاءٌ ليس من نوع

البهاء. أن تشهدَ أمّي النّورَ فهي مُضَاءة. فسحةُ الضوءِ في العمقِ تَسمو على السرّ. وكان فجرٌ وسنابل.

وبعدُ، كان ليلٌ وتبعثرٌ ورحيل.

لا سنابل لا مناجل لا غلال.

النّورجُ الخشبيّ مطروحٌ تراب.

يد العذراء ما عادت تدور.

سيّدةُ البيدر غَوَّرت في فَجّ الذّواكر.

في الموعدِ المعهودِ ما عادت تعود.

قريتي المهجورةُ لم يعدْ فيها بيادر.

والولدُ المطمئنّ لجواب الأمّ أنَّ سيّدةَ البيدر أمٌّ لكلّ الأولاد، كما شاءت أمُّه الجبليّة، يصلّي كلَّ ليلٍ وينام.

في سيّدة اللويزة – زوق مصبح

أيّار ١٩٨٨

لكَ في حقولنا زهرٌ
يا مريم ..

راجي عشقوتي

علَّمتني أُمّي أن أصلّيَ لمريم
وكان لنا قرية!
تَطْلُعُ من فمِ الفجر
أوراقُ شجرِها حناجر
تَغْزِلُ الشمسَ على يديها
وَتطحنُ الصمتَ أناشيد ...

مفتوحةٌ لنا الحقولُ والبراري
نَرْكُضُ مع الضحكِ والعافية
نَخْلُطُ المواسمَ والفصول
نَختَرِقُ العبيرَ والشوك
نَلمُّ النّهرَ، واللونَ، والياسمين

يَجبُ أن نَرجِعَ بباقةِ زهر
إيمانُنا فيها وعَرَقُنا
مذبحُ مريَمَ ينتظِرُنا ..
اليومَ عيدُها!

ونحنُ بعدُ أغنيّةُ أطفالٍ وأولاد
كنتِ طريقَنا يا مريم
نَهربُ عليها مع الفرحِ إليك
نمتلئُ بنعمة «الربُّ معكِ
مباركةٌ أنت في النساء ...»
ولا يَعودُ يَنكسرُ زَهْوُنا والشّروق
تَتَدَفَّقُ الأيّامُ على دروبنا
أجراسَ آفاقٍ وأحلام ...

عميقٌ سلامُك فينا، يا مريم،
آتياً من الضوء والحزن

مُعَانَقَةَ الصلاةِ للخشوع

وعَبَقَ المسيحِ على الصليب

ساحرَ الجمال!

بهاءُ وجهٍ، ونَبوءةُ عينين،

عليه «تَهِلُّ نجمةُ الصّبح

ويُهدى الوردُ إليه»

«أنا أَمَةٌ للرّب»

رَدَدْتِ على الملاك

تَوَاضُعُكِ مَدينٌ له ثَمَرُ الأرض

نفسّرُ في مياهِك حلمَ الوعد:

وُلد المخلّص!

وهواءٌ جديدٌ لكتبِ السماء

انتعشتْ به

مَجَّدَتكِ كلُّها يا مريم

حَمَلَتْك على زنابقَ وأهازيج

أحاطَتكِ بقداسةٍ، ونجمٍ، ومجوس
كنتِ في كلمتِها حقيقةً وحياة
ولم تَضيعي في بريقِ الأساطير.

على صوتِ هيرودسَ يأمرُ بقتلِ أطفالِ أورشليم
تهجَّرْتِ!
تبحثينَ عن بيت
عَصَفَ بك التمرُّدُ عالياً
تريدين البيتَ .. ولو مغارة!
وبيتُنا نريدُه
نَشُمُّ فيه حجرَ العمر صامداً في التاريخ
علّمينا أن نَتمرَّدَ مثلَكَ
ولا نَبقى انتظاراً على قبورِ البكاء

١٩٩٤

سيّدة المعونات

اميل يوسف عوّاد

شفيعُنا في قريتنا بحرصاف هو مار يوحنا. فأنا من رعيّة كنيسته. لكنّي نادراً ما أتوجّه اليه في صلاواتي، مِثْلُهُ مِثْلُ سائرِ القدّيسين والقدّيسات . درجتُ على هذه العادة منذ بدأتُ أسافرُ الى خارج قريتي وخارج وطَني، حيث تَيَسَّرَ لي مشاهدةُ الكثيرِ من العجائبِ والغرائب. فأراني شديدَ التفكير في عظمة هذا الخالق المبدع.

إنّما هناك شيءٌ خَفِيٌّ يَشدُّني الى مريمَ العذراءِ عليها السلام، التي أحبُّ ان اسميًها سيّدةَ المعونات.

سيّدةُ المعونات هي شفيعةُ ساقيةِ المسك، جارةِ بحرصاف قضاء المتن الشماليّ – لبنان؛ وأمّي من هذه البلدة ومن رعيّتها.

على مَرِّ الايّام تأثّرتُ بأمّي، وحبّها، بل عبادتِها لسيّدة المعونات، وأصبح إيماني بها مثلَ إيماني بربّي.

كيف لا، وقد نجوتُ من الموت مراراً عديدةً بفضل استجابتها لي.

في صِغَري، أيّامَ الشيطنة، مشيتُ على الدرابزين الحديديّ فوق سُور يعلو اربعةَ امتار. زلّت بي القدمُ، فهويتُ من هذا العلوّ الى الارض

وأُصبتُ ببعض الرضوض. لكنيّ نجوتُ من الموت. كيف ذلك؟ كنتُ أردّد وانا على «الدرابزين»: «يا امّي زتيّني ويا عدرا استلقيني».

كذلك في عهد الصّغر واللهو. كنتُ برفقة إبنِ الجيران في طَريقنا الى صيد العصافير. حاول رفيقي ان يُغْلِقَ البندقيّة، فلم يُفلح. الصدأ جمّد الإبرةَ خارج مكانها. ضربها على جذعِ شجرة، وأنا الى جانبه على بعد مترٍ واحد. فنجح في إغلاقها. لكنَّ الخرطوشةَ انفجرت، ومزّق خردقُ «الدكّة» بعضاً من فخذي الايسر. ونجوتُ، يومَها، من الموت. كيف ذلك؟ لأنيّ قبل ان أتفحّصَ فخذي صرختُ بأعلى صوتي: يا سيّدةَ المعونات.

أيّام الترامواي، القاطرةِ الكهربائيّة، كنتُ عائداً من سهرةٍ في مربعٍ ليليّ، شربتُ فيها العِرق، وكنتُ في العشرين من عمري. وفي هذا العهد لم يكن عندي سيّارة. إتّجهتُ صَوْبَ الترامواي، ولحقتُ به، وكان سائراً على «التسعة»، وهو تعبيرٌ خاصّ بالترامواي، معناه أنّه كان سريعاً جدّاً. فلم أستطعْ من الصعود اليه. وارتطمتُ ببابه الحديديّ المغلقِ. ولا أدري ما الذي دفعني للوراء، ونجوتُ من الموت تحت دواليبه. الذي أعرفُه أننّي عندما لَمَسَتْ يداي حديدَ بابه، إذا بصوتٍ في داخلي يَنفجر: «يا عدرا».

في سنين العمل كنت شريكاً ومديراً لمجلّة «السياحة» اللبنانية مع أديب مروّه؛ وفي الوقت نفسه شريكاً ومديرًا لمؤسسة A.K.S. التي تُعنى بالسّفر والسياحة. رَشَّح الزميل أمين حتّي نفسَه لرئاسة نقابة السّفر والسياحة في البلدان العربيّة، وطلب منّي مرافقَته الى القاهرة حيث

جرى الانتخابُ، وأن اكونَ خطيبَ الوفدِ اللبنانّي.فاز الزميل حتّي بالرئاسة. وركبنا الطائرةَ، وكانت من نوع DC4 بمحرّكَين، عائدين الى بيروتِ. وعند وصولنا فوق غزّه، فوق الاراضي الفلسطينية، عاصفةٌ هوجاءُ صحراوّيةٌ ضربتِ الطائرةَ الصغيرةَ، فانقلبت على نفسها عدّةَ مرّات، وتدحرجتِ الأمتعةُ والحقائبُ والقناني وكلُّ ما كان موضوعاً فوق الرفوف.. على رؤوسنا. وَدَبَّ رعبُ الموتِ فينا جميعاً. وأُغمي على الكثيرين. أذكر أنَّ الزميل حليم قربان ظلّ ملازماً فراشَه عدَّة ايّام بعد هذه الحادثة. أمّا انا فقد صعدتُ، في اليوم التالي، الى الجبل، الى ساقية المسك، وزرتُ كنيسةَ سيّدةِ المعونات مُجَدِّداً إيماني بها وشاكراً.

أثناءَ حوادثِ ١٩٧٥، سقطت قذيفةٌ عشوائيّةٌ على منزلي في بيروت شارع بدارو، فاخترقت سطحين من البناية، واستقرّت في غرفة نومي دون أن تنفجر. وكنتُ في حينه خارجَ البيت. وسقطت قذيفةٌ أخرى في منزلي في بحرصاف، وأحدثت ثلاثَ فجوات في الغرفة التي أنام فيها، وكنت في حينه أيضاً قد خرجتُ من البيت قبل خمس دقائق.

أنا اؤمن بربّي أوّلاً. وبسيّدتنا مريمَ العذراء، سيّدةِ المعوناتِ، شفيعةِ أمّي وشفيعتي.

١٩٩٤

أُمّي

توفيق يوسف عوّاد

لمن تدقُّ أجراسُكِ يا سيّدةَ المعونات
على التلّةِ المشرفة على ساقية المسك
ضيعةِ أُمّي؟
خلا دربُكِ يا سيّدةَ المعونات من ذاتِ منديلِ الحياء
وغابت عن أعيادكِ ذاتُ جبينِ الحُسن
سَمَّيْتُكِ أُمّي.
ذَوَى الحَبَقُ على بابنا ولوى المردكوشُ عنقَه
مات العطرُ واختنق الصباح
مَن يَفتحُ لشمسِ جبلنا شبّاكَ البيت
مَن يملأُ بالبركةِ معجَننا
وَيُزقُّ تحتَ سقفِنا طيورَ السّرور
مَن يَمسحُ بالشّفاء جباهَنا ويَرسمُ لنا في غربتنا إلى أقاصي المعمور إشارةَ الصليب؟

قالوا يهوّنون عليّ يا أُمّي إنّكِ في الثمانين
في الستّين أنا، ولا أصدّقُ إلاّ أنّني طفلُكِ
ومع الأطفالِ أحفادي سأقفزُ درجاتِ البيت
أصحيحٌ أنّكِ لن تلاقيني
ولن يسبَقكِ هُتافُكِ باسمي
كلاّ ولن يَلحق؟
مات اسمي على شفتَيكِ يا أُمّي؟
ماتتِ الصلاة؟
إذن كيف تُقْبِلُ المواسم
ويأتي الليلُ بنومِ الهناء؟

وقالوا
جاءت سيّدةُ المعونات تَعودُكِ، فهي مُعَلّقةٌ فوق رأسكِ
أنا أعرف
لها وحدَها بين السيّدات كنتِ تتعبّدين
وحدَها سيّدتُكِ شفيعةُ ضيعتكِ
ويَعرفُ مار يوحنّا بحرصاف ضيعةِ أبي إيثارَكِ لها منذ زمان

تُرى، ما يقولُ مار يوحنّا المعمدان
وهل يَغَارُ القدّيسون؟
ومار مطانيوس
قيّمُ أرزاقكِ وسادنُ مملكتكِ
من أيِّ ضيعةٍ هو عليه السّلام؟
لم تذكري لنا ولا قصدتِ يوماً لزيارته
لم يكلّفكِ. كان يسكنُ في البيت.
قولي يا أُمّي
إلى من يسلّم، إذ يجدُها، مفاتيحَكِ الضائعة
وماذا نقولُ له إذ تَعجزُ يدُكِ عن أخذها؟
ويا أُمّي
هلاّ وزّعتِ مفاتيحَكِ على ملوك الخافقَين
ليملأوا مثلكِ ممالكَهم بالخيرات
ويُشرعوا بينها أبوابَ المحبّة
بالكلمة الطيّبة يَحْسمون الخصام
وبالابتسام

يُطلقون السلامَ أسرابَ حمام

في العالم.

نَذْراً نذرتُ يا أُمّي

لسيّدةِ المعوناتَ نذرتُ: حافياً أزورُها

مع الفجر قبل المصلّين، وفي العتمة بعد أن ينصرفوا

وحدَنا في الكنيسة مع سراج الزيت

وعلى البلاط البارد شَحَذَتْه ركعاتُكِ العمرَ

وبكلّ حرارة قلبي...

لا باسمي - مُثقلٌ بالخطايا أنا يا أُمّي -

بل باسم الطفل الذي كنتُه

وباسم الأطفال أحفادي الذين أُطِلُّ من عيونهم إذ يُطلّون

وكما كنتِ تَضعين في أحضانها همومَ ليلكِ ومتاعبَ نهاركِ...

ولكنْ بحقّكِ يا أُمّي

ماذا كنتِ تقولين لها

وماذا كانت تقولُ لكِ مريمُ العذراء

أُمُّ الطفلِ المكلّلِ بالنجوم؟

أشياءُ كانَت بينكما وأشياء...

تكون المرأة أُمّاً، أوْ لا كانتِ النساء!
ومِثلُها ومثلُكِ يا أُمّي تبقى الأُمّهاتُ عذراوات!

يا ما صَنَعتِ العجائبَ من أجلنا
– واحدةً سأطلبُ إليها من أجلكِ
ببراءتكِ أنت وإيمانكِ سأطلُبها من سيّدةِ المعونات شفيعتِكِ
سميرةِ أحلامِكِ وآمالِك
عشيرةِ الأوجاعِ والهموم
سَمَّيتكِ أُمِّ الطِفلِ المكلّلِ بالنجوم
سأستحلفُها به وأطلبُ وأقرعُ أجراسَ صدري
حتّى تسمَع السماء!

وَرَكْضاً إلى البيت بأشواقي أرتمي في حضنِ أشواقكِ
وأغمرُ يدَكِ
لن تقدري على سحبِها منّي كما كنتِ تفعلين في السّابق
سأغمرُها يَدَكِ بالقبلات
سأسقيها يدَكِ بالدموع

ومن روحي

أنفخُ فيها حياةً جديدة

كَذبَتِ الحقيقةُ التي نَزَلَتْ بكِ يا أُمّي

جبينُكِ سَيَطْلُعُ مع كلِّ صباح

منديلُكِ قوسُ قزحٍ فوقَ الضيعتَين

إشارةُ الصّليبِ التي دُرتِ بها الأُفقَ من جهاته الأربع

تَحضُن الأرضَ

ومع السنونو العائدةِ التي تَنتظرُها شرفتُنا كلَّ ربيع

سيسبِّحُ اللّهَ صوتُك يا أُمّي

وبأحلى أسمائنا يُنادينا

يَفنى الحبُّ كلُّه ويَبقى حبُّك يا أُمّي

أَمْسُه عطرٌ مَكنوزٌ من ورودِ مصطبتِنا

وَيَوْمُهُ عيدٌ كفرحة لِقائنا

وَغَدُهُ طفولةٌ دائمة.

طوكيو ١٩٦٨

يا هالأكتَر من حنوني

موريس عوّاد

يا عدرا، إمّ يسوع وإمّي. إمّ المقهورين الما عندُن إلاّ تنهيدات طويلي، ومَرّات مش مَسموعا.

يا إم العم يصرخو بقلبُن تَ ما يسمعُن البيخاف من الحقيقا، ويرجَع يجلدُن أكتَر مَ جلَد.

يا عَدرة البنات البيآمنو بالحب – السر اللّي هوّي شَرقوطا من الحب الكبير اللّي جِبْلنا هوّي إبنِك يسوع من عند بَيّو.

يا عدرة اللّي نَدرولِك بَتوليّتُن، تَ تضلّ أبديّة نقاوتِك تزهّر بالعِرق البشري.

يا هالأكتَر من حَنوني، وإيدَيا مفتوحين عَ وسعُن، تَ يغمرُو الراجعين بَعد غيبي طويلي، وما عندُن إلاّ يكبّو وجُنّ المتلان نَدَم ودموع بحِرجكِ الإمّ، ويتزكّرو مبارحُن عَ وَهْج حنانِك، والمسا.

يا فَرح زاكرتي لمّن كنت صَبي. يا بنت ناصرة الجليل، اللّي من حِرجِك طلّ، وبَعد ليل طويل، أوّل صبح عَ جليل الأمم.

يا هالزنبقا الوحيدي المفرّخا بغابة التاريخ، المَلَكي المتوّجي قبل مَ تجي عَ الارض، وعَرشِك من الارض للسما.

إنتي الحاملي وَسيقة العفو عن المرا اللّي قطفت أوّل خطيّ من هاك السجرا اللّي عمرا ألوف السنين وبَعدا عم تحمُل خطايا كتير.

هِادا أنا موريسِك الطفل الكبير، الرجع لَعندِك من غربة الخطيّ وعينيّ.

حِطّي ايدِك المريَميّ عَ قلبي اللّي عطبتو الخطيّ، بيصحّ، متل مَ إبنك يسوع كان يصحّح المعطوبين بحَطّ إيدو عَليُن، وردّيلو شي من نقاوة مبارح.

وعَينك عَ اللّي بقي من لبنان، من متل مَ كان لمتل مَ صار. لبنان كمان ما عندي غيرو، وجّو عَم يتغيّر. قلبي خايف عليه وخايف عليكي بلبنان، ما يبقا لَنقاوتِك مطرح

مأخودي عن كتاب

«كانت مكتوبي إلو»

مَرْيَم .. مَرْيَم

جورج غانم

يا مريمُ العذراءُ يا أيقونةَ المسيحِ
يا زهرةَ السماءْ
لؤلؤةُ النورِ
ونجمةُ الملائكَهْ..

يا مريمُ
لِيرجِعَ الضياءُ .. نُصَلِّي
لِيرجِعَ الذين هاجَروا
لتَهدأَ العاصفةُ الهوجاءُ
ليَدفأَ الذين في الترابْ
لتَظهْري على وجوهِنا
لتَقْطَعي القَفْرَ إِلى الغمامَهْ
وتُمْطِري
ليَظْهرَ المسيحُ .. نُصَلِّي.

تَمُرُّ سَوداءً

قوافلُ الغَجَرْ

تَمُرُّ سوداءً

خيّالةُ القَدَرْ

يا مريمُ!

وتَسْقُطُ الجبالُ

ويُصْلَبُ الماءُ على الحَجَرْ

ويُصْلَبُ الزمانُ.

لا تَعْتَبي ..

أنا على يديكِ حِنْطَةٌ

وعِنَبٌ

قَبِلْتِني على يديكِ طائراً

وها أنا .. ريشاتُهُ تناثَرَتْ

قَبِلْتِني صوتاً وها أنا ..

حَنْجَرَتي مَسْفوحَةٌ

وها أنا الشَّهيدُ.

... وقامَ بعدَما أنقضَتْ ثلاثَةٌ ...

تُرَى يقومُ بعدَ شَاسعٍ من السِّنينْ

يقومُ حامِلاً زمانَهُ

وصَاعِداً.

يا صوتَ أُمَّهاتِنا

يا صوتَ مَنْ نُحِبُّ ..

أُحِبُّ وجهَها التي أُحِبُّها

لأنَّني

شاهَدْتُ تَرْسُمينَ في جبينِها

إِشارةً.

لأنَّني

على فمي كَتَبْتُهُ

وفي دمي كَتَبْتُهُ

قدَّسْتُهُ آسْمَكِ ..

وفي متاهَةٍ

متى يطيرُ الطيرُ أَحْمَراً وصارِخاً

وكلُّها حرائقٌ

يا مريمُ .. آسْمُكِ ...

وتَنْجَلي.

يا أُمَّنا الحبيبَهْ

في كلِّ حُبٍّ جمرةٌ

وكلُّ وردةٍ شَذاً وقطرةٌ دِماءْ

يا أُمَّهُ المُعَلِّم

«جَدِّدْنَا يا آبنَ اللهْ»

«أَقِمْ ترابَنَا ...»

يا أُمَّنا .. حُبّاً ولا أسىً ولا آنتهاءْ

يا فَرَحاً مُقَدَّساً.

سيّدة اللويزة – زوق مصبح
أيّار ١٩٨٨

عَدْرا .. يا عَدْرا

جورج غانم

يا ريت بقدرْ علّيا
الكِلْمي وبقدرْ ضَوّيَا
وبْتِقْبَلا العَدْرا
نِجْمي على صَدْرَا

يا ريت بقْدرْ إرْفَعَا
بْنِقْطَا عَجيبي مْنِ الجواهرْ رَصّعَا
وتِمْرُقْ علَيْها إِيد الله تْحَرّكا وتْوَجّعَا
وبْتِقْبلا العَدْرا
خاتِمْ حنينْ بإِصْبَعَا

لَوْ قِلْت إنّكْ هـ النْجوم
لَوْ قِلْت إنتِ الورْدْ

شُوْ قِلْت .. بَعْدَا كِلْمِتي زْغِيري
لَكِنْ بْتِكْبَرْ كِلمتي
لَوْ قِلْت إِنتِ الوَعْدْ
عَنْ تِطْعَمي جُوْعان عَنْ تِسْقي شَرِيدْ
بْحِضْنِكْ طِفِلْ عِرْيانْ
بْيِلْبُسْ مِنِ تْيَابِكْ لِيَومِ العيدْ
وِبْتِطْلبي .. بِيْقُوم وبِيمْشِي الكسيحْ ...
وِبْتِكْبَرِ الكِلْمي
لو قِلْت إِنتِ الإمّ .. يا إمّ المَسِيحْ.

طَالِعْ عَـ بالي إِسْأَلِكْ ..
قَوْلِكْ رَح بْينزَلْ بصَوتِ الرَّعْدْ
وبْيطرُدُنْ ...
وَحْدُو رَح بْيِرجَعْ
وَحْدُو مِتِلْ لِبْنانْ
وإِنْتِ يا مريمْ ناطْرَا بْبَابِ السَّمَا ...

دَخْلِكْ يا عَذْرا رافقي يَسوعْ
هَوْنِ الدِّني غَبْرَا
والدرب فوق جْبَالْنا وَعْرَا
تاج المَلِكْ عَـ الأَرْضْ
والحِقْد حامِلْ صَوْلجانْ ...

دَخْلكْ يا عَذْرا خَلِّصِي لِبنانْ.

سيِّدة الورديَّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٢

هذه القصيدة آخرُ ما كتب الشاعرُ وأنشد. بعدَها، رَحَل....

سيِّدةُ الأشواق

رفيق غانم

أصلّي لكِ قبل أن أنام
أصلّي
في الصباح
أحملُ وجهَك في عينيّ
أقرأُ عنكِ على وجهِ الربيع
تُشرقين
تَرتسمين
على جباهِ الأبرياء
على زنودِ الفقراء
يناديكِ المتعبون
أمتلئُ منكِ
وأمشي.

حمل الصليبَ

مشى

حملتِ صليباً

مشيتِ

تعبَ

وقعَ

تعبْتِ وقعْتِ

دقّوا المساميرَ في صدره ويديه والقدمينْ

نزف الدمُ من صدرك ويديــك والقدمينْ

حنى رأسَه .

انحنيتِ

أيّتها المصلوبةُ في الأعماق.

كانوا ثلاثة

يسوعُ

ولصّان

وكنتِ

لم يدرِ أحدٌ

غفوتِ مع الدنيا
يا مقدَّسةً
يا نقيّةً
يا عمقَ أعماقِ الصليبْ.

فاضَ النورُ
فانتقلتِ
يا رمزَ القيامَةِ
يا بيتَ الربِّ
ينحني الكونُ
يُشرقُ وجهُك
وجهُك الحقيقةُ
تَخجَلُ الاساطيرُ
يَشقُ فُلْكُك الطوفان.

يا أمَّنا
أشاهدُ الصليبَ

أشاهدُك

يُخيَّل اليَّ

أنَّك الصليبُ والمصلوب

مُتَّحدان.

أكتبُ عنْكِ

قرَّبْتِ منّا الربَّ

أوأنَّه شاءَ

فاقتربنا

أصبْحنا

نخاطبُه

يخاطبُنا

نَسمعُه

يَسمعُنا

نحبُّه

يحبُّنا

واذا بكينا

اذا توجّعْنا

اذا فقدْنا

اذا تألَّمنا

اذا فرحْنا

يكون مَعنَا

ويكونُ

اذا سقطْنا

اذا اخطأْنا

اذا ابتعدْنا

يسامح

أصبح منّا ولنا

قرأْتُ عنكِ

كتباً مرسومةً في عيون الأطفالْ

وكتباً موشومةً على زنودِ العمّالِ والفلاّحينْ

وكتباً محفورةً على جباه الأشقياءْ

وكتباً منقوشةً على شفاهِ الفقراءِ والجائعين

وكتباً متوهِّجةً دوائرَ حولَ ضمائرِ القادةْ

وقرأْتُ

قرأْتُ عنك
في أعماقِ البحارْ
يُعلِّقُ ربابنةُ السُفُنِ رسمَك على صدورهم
تصبحين في كلِّ زاويةٍ
مع الشموعِ
على الاخشابْ
وتتحدّرين دمعةً مع الدموعْ
يرسِمُونَ وجهَك على حجارةِ البيوتْ.

يا أمنَّا
تعيشينَ معَ لقمتي
مع تعبي
مع حُنوّي على أطفالي

في عينَي أمّي

في خفقَاتِ قلبِ حبيبتي

أصلّي لكِ

تَحيينَ

في كلّ مكان

تُشرقينَ مع الشمس

لا تَغيبين

تبقى ظلالُك في الظلامْ

أنتِ الأملُ

الحُلْمُ

سيّدةُ الاشواق

وأنتِ

علاماتُ البدايةْ

والقيامةْ

كلُّ العلاماتْ.

١٩٩٥

أميرةُ السماء

روبير غانم

كانَ هنا في زمنٍ وغابْ
أميرُ كلِّ الشِّعرِ
والحضورِ والرَّبابْ
كانَ هنا..
وَندَهَ الترابْ
تداخَلَ الضبابُ بالضبابْ.

أخي الذي بصوته المِنْ وَردْ
وقمرٍ
يضيءُ ذاكَ البُعدْ
يَهيمُ في الأحلامِ والحناجرْ
تَصهلُ في عروقه المنابرْ
يُقلقُها..
تُورِقُ في أسفاره القلائدْ

يا نَسرُ، يا، يا وجعيْ
يا أنبلَ ما في الكون من قصائدْ.(١)

لمريمَ العذراءْ
لأمِّ كلِّ الأرضِ والسماءْ
لوَهْجِها المِنْ غارْ
سطوعِها المن نارْ
حضورِها..
المن ورَقِ الخشوعِ والأديارْ
بهائها..
المن فرحِ الأعماقِ والأدهارْ
لمريمَ العذراءْ
أصواتُنا، أزهارُنا، ناياتُنا...
لأمِّ كلِّ الأرض والسماءْ.

يا مريمُ العذراءْ
سيّدَةَ العبيرِ والحنانِ والفداءْ
«كانْ ياما كانْ»

في غابرِ الأيّامِ والأزمانْ
صقيعْ
لا دفءٌ لا ربيعْ
غبارْ
لا زَهْوٌ لا قرارْ
وصارْ
في حضنِك المليءِ بالأقمارْ
أنْ وُلِدَ الإلهْ
أمطرتِ الأشعارْ
تَحوّلتْ أيّامُنا صلاةْ.

يا مريمُ العذراء
يا سَفَرَ الرِّياحِ والأكوانْ
تُلْهِبُنا الأحزانْ
تَنسجُ في أفكارنا جزائرَ البُهتانْ
يُخيفنا النسيانْ
بواطنُ الغموضِ والنيرانْ
نَسكنُ تاريخاً مِنَ الصّلبانْ
تُؤلِمُنا، تُفْرِحُنا الصّلبانْ

نَخَافُ ننحني
تَنثرُنا الرموزُ والأطيافُ في الوديانْ
يُنقِذُنا الإيمانْ
وشامخيَن صُلَّباً يَوَدُّنا لبنانْ.

لولاكِ يا سيّدتي
يا مريمُ العذراء
أحَرَقَنا العويلُ والشقاءْ
لولاكِ يا كاملةَ النقاءْ
وزَّعَنَا الجنونُ في الفضاءْ.

يا مريمُ العذراء
يا وهجَ من تاقوا إلى الرجاءْ
يُرْعِبُنا المصيرْ
تَلُفُّنا أزمنةُ الهديرْ
تَسْرَحُ في أعصابنا
فواجعُ الشقاءْ
يَكُبُّنا المساءْ
على تُخُومِ الوهمِ والبلاءْ

يَصيرُ هذا العالمُ السُفْليُّ
واحةَ البكاءْ
وَنُمَّحى..
لا فيضٌ لا رخاءْ
يَهربُ منّا الشّعرُ والبهاءْ.

يا مريمُ العذراء
تَوَزَّعي في الكونِ
في النفوس والأسماءْ:
تُمْطِرُ في مسامنا
مباهجُ البقاءْ
نَطرُد أوهاماً مِنَ الفناءْ
يَلُفُّنا الغناءْ
نَصيرُ مثلَ الماءِ
مثلَ الشمسِ والهواءْ
نَحُلُّ في الهديلِ
في الأشواقِ والأصداءْ
توزّعيْ..

ووزّعي الظلالَ والأضواءْ

يا مريمُ العذراء

يا أميرةَ السماءْ.

لمريمَ العذراءْ

لأمِّ كلِّ الناسِ والكنوزِ والصفاءْ

لوردةِ المنائرْ

لِعَبَقِ الدُعاءِ في المباخرْ

نُولَد في التّذكارْ

وَتسجدُ الربوعُ والسُّهوبُ والأشجارْ

تَرتحلُ الغيومُ والأسرارْ

وَيطْلُعُ النهارْ.

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٣

---

(١) هو جورج غانم، وكان، قبل سنة، في كنيسة سيّدة الورديّة ـ زوق مصبح، يُنشِدُ آخر قصيدة له في مريمِ العذراء.
ولذا، هذا المطلعُ تحيّةَ أخٍ لأخ!

مريم والطفل، وأمّي

د. غالب غانم

في المريَميِّ من الكلام رأيتُ أبكارَ المشاهِدِ

واليدَ العليا تدفَّقَ حُسنُها

وقوافلَ الزَّمنِ القديمِ تنمُّ عن زمنٍ خَضيبٍ جامعٍ جَعَلَ السَّماءَ مشالحًا زرقاءَ لَفَّتْ من ترابِ الأرضِ ركنًا ليسَ مِنَّ ذَهَبٍ ومن صَخَبٍ

ولا ممّا يدلُّ على الممالِكِ والأرائِكِ

أو على الأبواقِ والأسيافِ والأيّامِ دائرةً على حَجَرِ الطّينْ

ومدائنًا بيضاءَ أوَّلُها المغارَةُ، والمسالكُ مِتعةٌ ومَشقَّةٌ لكنّها الدّربُ الطويلةُ والجميلةُ سِرْ بِهَا...

في المريميّ من الكلامِ

تُخبّئُ الأوراقُ سرَّ بريقِها

منذُ المقدّسَةِ الهنيهَةِ حينَ يوحَنَّا وطفلُكِ والبِشارةُ والقصيدةُ ما أُحيلاها...

أقولُ هي القصيدةُ

كي أعيشَ جنونَها وسلامَها.

وأقولُها:

باقاتِ وردٍ في المعاني

ناياتِ صمتٍ تجعلُ اللّفتاتِ أبلغَ...

فرحَ الأمومةِ، حزنَها إِذْ صارَ من فرحٍ

فما أُمٌّ كمريَمَ لو بكتْ

شَفتِ الدّموعُ جراحَها وجراحَهُ...

عادوا، وألواحُ النّبوءةِ، والعلامَهْ

صدقَتْ، وتَمَّتْ بالقيامَهْ.

ورأيتُ أجملَ ما ترى عينٌ، أرقَّ، أشَفَّ، أكثَرَ ما يُذكِّرُني بماضٍ كان فيه النّبْعُ

رَقْراقَ الحنينْ:

ما صورةٌ جَعَلَتْ يَفيضُ النُّورُ أغمارًا

ويُختَصَرُ البهاءُ بلفتةٍ

والقلبُ يُمسي في الأليفِ وفي النَديّ

مثلَ التي جمعتْ بمريَمَ طفلَها...

أميّ، ذكرتُكِ تجمعينَ الزّهرَ من بِكرِ الحقولْ

ويدايَ تغتبطانْ:

هَذي بَنفسجَةٌ، وتلك شقيقَةٌ... و«بَخورُ مريَمْ».

والأبيضُ النَوَّارُ قربَ الأحمرِ المَوَّارِ قربَ الليلكيّ...
اكتملتْ... وباقَتِي الجميلةُ لن تكونَ لِغَيْرِ أمّي!
أميّ، ذكرتُكِ تَضرعينَ إلى النقيَّةِ
تَضرعينَ إلى النّقيَّةِ
تَضرعينْ:
يا مريمُ الأمُّ آقبلي منه الزّهيراتِ البتولَهْ
يا مريمُ الأمُّ آحمليهِ وأعطني طفلَ المغارةِ كي أضُمَّ
وكي تضمّي.
في كلِّ أمٍّ مريمٌ تشتاقُ أن يأتي...
ومريَمُ كلّما طِفلٌ أتى
تشتاقُ أن تبقى الأمينةَ والرّسولَهْ
قَرَأَتْ ألوهتَهُ
وتابَعَتِ القِراءةَ في الطّفولَهْ.

أيّار ١٩٩٦

عُيُونٌ إلى العَذراء

جورج غريّب

على عَتَباتِ الجَنَّة

حاوَلتُ أن أقولَ للعَذراءِ شيئاً، جاءَ من خَلفِ البَصَرْ...
حَاوَلتُ رَسْمَ وَجهِهَا، على زمانٍ قد عَبَرْ...
على رُؤَى الآتي، على أغنيةٍ، من أغنياتِ المُنتَظرْ!...
على ضَياعِ حاضِرٍ قد أثقَلُوهُ بالخطَرْ...
على النَّدى... على الشَّذا... على حِكاياتِ المَطَرْ...
على الثُّلُوج والبُرُوْقِ والأعاصيرِ الأُخَرْ...
على عَبَاءاتِ الفَلاةِ أو مطارِفِ الحَضَرْ...
على مغارةٍ لَدَيها وُلِدَ اللهُ، وزُلزِلَ القَدَرْ...
على صليبٍ سَجَدتْ مِنْ حَوْلِهِ، قوافِلُ السَّفَرْ...
على ضريحٍ قد رأى قيامةَ الذي على الموت انتصرْ!...

حاولتُ، أن أقولَ أشياءَ لها... فَرَدَّني الخفَرْ...

وردَّني الحياءُ والدَّمْعُ، وردَّني الحَذَرْ...
لأنّني، في رَسْمِها، بحاجةٍ الى جميع أبجديّات البَشَرْ!...
الى لُغاتِ الجنَّة الزّرقاءِ، والأجنحةِ البِيْضِ، وقُدْسيِّ الصُّوَرْ!...

سَيِّدة الثَّورة

وعندما جاءَ المَلاك... يقولُ: يا مريمُ...
إختاركِ رَبُّ السَّمواتْ... أُمًّا لَهُ...
تَغَيَّرتْ جميعُ هذي الكائناتْ...
تَغَيَّرت صَلاتُنا... جميعُ ماضي الصَّلواتْ...
الأبجديَّاتُ تَغَيَّرتْ... تَغَيَّرتْ جميعُ تلك الكَلِماتْ!..

تغيَّرت في الأرضِ ألوانُ التُّرابْ...
تَغَيَّر الضياءُ في النُّجوم، في رَحْبِ القِبابْ...
تَغَيَّر المِذودُ والحبُّ وقَوْسٌ في السَّحابْ...
تَغَيَّر القَمْحُ... تغيَّر الشَّرابْ...
تغيَّر اللَّحنُ على الرَّبَابْ...

تَغَيَّرتْ هُنا عُروشٌ شُيِّدَتْ فوقَ الحِرَابْ...
تَغَيَّرتْ ماهيَّةُ النِّساءِ والأرحامِ، في حَمْلِ الكتابْ...
واستُنْزِلَ التَّجْسيدُ في مَحْوِ الخَطَايا والعَذَابْ!..

سيِّدةُ الأمَّهَات

مريمُ!.. يا أمَّ يسوعْ!...
يا ما أَضأنا حولَ تمثالكِ أسرابَ الشُّموعْ!..
يا ما ذَرَفْنا عند أقدامِكِ فَيْضاً من دُمُوعْ!..
يا طَرْحةً بيضاءَ مُدَّت فوق هاماتِ العَذارى!..
يا دِيمَةً خضراءَ هَلَّت فوقَ بِيْدٍ وصَحَارى!..
في شهر نوَّارٍ عصافيرُ الرُّبَى تَشدو سُكَارَى...
على اسمِكِ الفوّاحِ آلافُ الكنائسْ... تَتَبَارى...
وعندَ كلِّ مُنحَنى، شِدنا لمريمٍ مَزَارا!...
مريمُ ضوءُ القمرِ!.. مريمُ فوحُ الزَّهَرِ!..
سنابلُ القمحِ. بيادرُ الرّبيعِ الخَضِرِ...
والدةُ اللّهِ على الأرضِ... وأمُّ البَشرِ!..

يـا خـمـرةَ الإنجيـل، صُبـَّتْ في كُـؤُوسٍ لـلبرايـا، سَـكِـرَتْ مـنـهـا المَحَاسِنْ...

يا سُوْرَةً في مُعجِزِ القرآنِ، من آياتها الشُّهْمِ، تِلاوات المَآذِنْ!..

سيِّدة البُكـاء

اللازمة

يــا مــريمُ الــعــذراءْ يــا زُرقــةَ السَّــمــاءْ
حــمــلتِ في الأحشــاءْ أعــجــوبــةَ الــفــداءْ

١

مــريمُ أضــنــاهــا الــنَّــحــيبْ يــومَ ابْــنُــهَــا عــلــى الصَّــلــيبْ
ويــومَ لــبــنــانُ الــحــبــيبْ مــا زال يَــكــويــهِ الــلَّــهــيبْ
فــالــكــأسُ مَــلأى بــالــدِّمــاءْ

٢

وَحِــيــدُهــا نــادى الإلــهْ: رُدَّ الــرَّدى يــا أبَــتَــاهْ

والأرزُ غــــنّـــى مَــرْيَـــمَـــا يَــشــكــو إلــيــهــا الأَلَــمَــا

فــأرجــعــي لَـــهُ الــهَــنَــاءْ

٣

مــريمُ تــبــكــي مَــرَّتــيــنْ لــبــنــانُ، يــا عــذراءُ، أيــنْ؟

هــل مِــن قــيَــامــةٍ تُــعــيــدْ أمجادَ فــردوسٍ شــهــيــدْ؟...

تُــعــيــدُ لِــلأرزِ الــرّجــاءْ؟!..

ألحان: سليم فليفل

سيّدةُ الفردوس

يا مريمُ العذراء.. كُنّا في الأعالي... فَهَوَينا!..

كُنَّا الرِّماحَ السّمهريّات العوالي... فانحنينا!..

كُنَّا السَّيوفَ البِيْضَ، سُلَّت من خِبَاها... فالتوَيْنا...

قَوْمِيْ هُنا، قد كَفَرُوا بالحُبّ، يا أمّي، وهذا ما جَنَيْنَا..

قَوْمِيْ هُنا تَفَرَّقوا... هلْ يا تُرى اليومَ التقَيْنا؟!..

كَم شِئتِ – **يا عذراءُ** – أن نحيا كِراماً... فأَبَيْنَا...

لبنانُ – **يا عذراءُ... يا أمّاهُ...** – كُلُّ ما لَدَيْنا...

مُدّي لنا اليومَ يَدَيكِ... وامنحينا لَفْتَةً منكِ إلينا

لَعلَّنا نُنْقِذُ فردوساً عَلَيْهِ قد جَنَيْنا!..

ونُنقِذُ اقتصادَنا الجريحْ!.. جنُوبَنَا الذّبيحْ!.

ومَن تهجَّروا وهاجروا وشُوِّهوا وُجوِّعوا، وما من حِيْلةٍ بين يدينا...

يا مريمُ العذراءُ رِفْقاً!. ما عَلَينا؟ إنْ سألناكِ حناناً!.. ما علينَا؟!..

سيّدةُ الرَّجاء

عذراءُ!. ما الأرضُ؟. وما عُمْرُ الدُّنى؟. بَدْءٌ وانتهاءْ؟!.

ما خَلْفَ هذا الكونِ، يا عذراءُ، قُولي، ما الفِداءْ؟!

ما الموتُ؟. ما بَعْدَ الرَّدَى؟. ما الفرقُ ما بين ابتسامٍ وبُكاءْ؟!.

ما الأَبَدُ الموعُودُ؟. ما الآزالُ؟ ما بَعْدَ الرَّجاءْ؟!.

هل مِن أحبَّاءٍ لنا، يَجْمَعُنا يوماً بهم بعضُ لقاءْ؟!

هل مِن قِيامَاتٍ تُرى؟. هل مِن عقابٍ أو جزَاءْ؟!

هل بَعدَ موتِ الجسمِ – يا عذراءُ – خُلْدٌ أم فَنَاءْ؟!.

يَدَاكِ في عَلْيَا حريصا، مُدَّتا، كَشُعلتين لإهتداءْ...

في الأكماتِ السَّبْعِ منكِ، للخليج الأزرقِ الرُّؤيا، منارات تُضَاءْ...

غَزَلْتُ، في ظِلّكِ إيماني وشِعري، فيه جاورتُ السَّماءْ!.
لكنّني جئتُكِ والنَّزْفُ من الجُرْحِ العميقِ...
جئتُكِ يا مُلْهِمَتي، والعمرُ حُزنٌ في رحيقي...
لا تحزني لم يَبقَ من صِدْقِ الهوى غيرُ الحريقِ...
يا مريمُ العذراءُ!. إنّي شاعرٌ أخطأتُ في الدنيا طريقي!..

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٣

لكِ يا عذراءُ

خليل فاخوري

لك يـــا عـــــذراءُ كَــــمْ
صَـلَّيتُ فـي الـمـحـنـةِ كَـمْ!
وطـــلـــبتُ الـــغـــوثَ
لِلأرضِ التي غُمَّتْ بغَمّ!...
أنتِ فـــوقَ الـــقِـــمَـــمِ
الـعـذراءِ عـذراءُ الـقِـمَـمْ...
وشِـــراعٌ مـــن ســـمـــاواتٍ
وهـــذا الـــكـــونُ... يَـــمّ!..

إنـــزِلـــي والـــيـــدَ تُـــعـــطـــي،
أطـــفِـــئـــي هـــذي الـــحِـــمَـــمْ
هـــا هُـــمُ الـــنـــاسُ
جراحاتٌ... وآهاتٌ وهَمّ...
قـــد رَنَـــوا صَـــوبَ
مُـحـيَّـاكِ قـلـوبـاً وهِـمَـمْ...
أرزُهُـــــم مَـــــعْ ذلكَ
المصلوبِ في القدسِ انْسَجَمْ.
خـالَـهـا تَـصـلُـبُـهُ أخرى
الـــتـــي تُـــدعـــى الأُمَـــمْ.

أيـــنَ أنتِ الـــيـــومَ
يـــا عـــذراءُ والـــدنـــيـــا ألَـــمْ!
غَـصَّـةٌ قـد هَـدَّتِ الـكـونَ،
عُـــلاهُ... والشَّـــمَـــمْ...

إنـــزلـــي عَـــدْلُـــكِ قـــد دُكَّ وَخَـــلَّـــوهُ رِمَـــمْ!...
إنـــزلـــي قـــد أنـــزَلـــوا الـظُّـلـمَ عـلـيـهِ والـظُّـلَـمْ.

أيـــنَ أنتِ الـــيـــومَ، يـا عـذراءُ والـظَّـهْـرُ انقَسَـمْ!
دِيْـسَـتِ الأقـداسُ دَوسـاً، ضُـرِّجَ الـحَـقُّ بـدَمْ!...
هـي ذي أرضـي الـتـي حَـطَّـتْ بـهـا تـلكَ الـقَـدَمْ،
قـد غَـدَت تـبـكـي الـذي قـد كـان عِـرْضـاً مـا انـثَـلَـمْ...
إنَّـمـا الـنِّـيرانُ مـنـهـا حَـيَّـةٌ خَـلْـفَ الـضَّـرَمْ!
وغـداً سَـوف تَـفُـضُّ الـخَـتْـمَ إنْ كـان انـخَـتَـمْ،
تُـكْـسِـرُ الـظُّـلـمَ، تَـحـدَّى الـموتَ تَـجتَـثُّ الـعَـدَمْ...

لَـكِ يـا عـذراءُ، تُـسْـتَـجـمَـعُ شَـمْـلاً وتُـلَـمّ،
تَـبـعَـثُ الـنـورَ الـذي عـن وجـهـهِ الـبُـطْـلُ انـهَـزَمْ...
وسَـتَـبـقـى وسـتَـبـقـى لأولـي الـحـقِّ عَـلَـمْ،
قُـدْسَ أقـداسِ الحضاراتِ ومِشعالَ الأُمَمْ.

أَرجعي كلَّ مهجَّر!

خليل فاخوري

مريمُ البِكرُ أضاءْ، وجهُكِ البيتَ المُدمَّرْ!
بكِ يُبنَى بكِ يُعمَرْ أنتِ في الأرضِ سماءْ...
أرجِعي كُلَّ مُهجَّرْ.

نحنُ ما كُنَّا استَطعنا، بَعدَ ما عَمَّ الدَمارْ،
أنْ نرى أنَّا بدَعْنا... فدَعي كَفَّكِ مَعْنا،
باشري مَعْنا العَمارْ.
بكِ يا مَريَمُ، رَنَّمْ كلُّ عُودٍ واغتَنى،
وغداً، طاب الهنا مِثلما تَبنينَ مَريمْ
هاكِ لبنانَ انبَنى.

لكِ دُنيانا تُقَدِّمْ باقةً ذاتَ عبيرْ...
أنتِ مَن فَكَّ الأسيرْ لَكِ مِنْ كلِّ مُهَدَّمْ!
وانبنى قلبٌ يطيرْ...

مريمُ البِكرُ أضاءْ وجهُكِ البيتَ المُدَمَّرْ!
بكِ يبنى بكِ يُعْمَرْ، أنتِ في الأرضِ سماءْ...
أرجِعي كلَّ مُهجَّرْ.

قصائدُ صغيرةٌ الى مريم
تَليها مقاطعُ من الضفاف

رياض فاخوري

١- احمر وابيض

تأتي مريمْ
في قنديلْ:
وردٌ احمرْ
قبلَ الصيفْ
وردٌ أبيضْ
بعدَ الصيفْ.

٢- زنبقة

زنبقةٌ مريمْ
قطفتها أمّي
من أعلى التلّهْ
نثرتها فوقَ المذبحْ

٣- مفاتيح

من صوتِ التسبيحْ
عرفتْ أمّي
أنَّ مريمْ
حضنتني
وحمتني
في المفاتيحْ.

٤- الصورة

إكتملَ الصنْدلُ فوقَ الجسدِ
والصّورهْ
لَبِسَتْها الارضْ.
عرفتْ أمّي
أن الصّورهْ
لا تأخذُ معنى التّسبيحْ
إلاَّ في العَدّ
حملتها

ورمتها

قمراً يُطلِعُ زَهْراً «عن جَدّ».

٥– قربانة

في الدّيرِ وُلِدَتْ مريمْ

من قربانهْ

قالوا عنها: خَرَجَتْ

من «شَقِّ الفجرِ»

فقلنا:

مريمْ

أنفعُ من

شمسٍ هيمانهْ.

٦– قدّاس

إمتشقتْ دائرةً

من قلبِ اللهْ

كانت تعرفُ أنَّ النّورْ

في عينيها

مَطَرُ الأنفاسْ

وَلَمّا دخلتْ

بدأ القدّاسْ.

٧- الجرس

الملكُ الجالسُ حيثُ تكونْ

جرسٌ مجنونْ

يُقرعُ قبلَ الظّهرْ

يُقرعُ بعد الظّهرْ

تأتي أمّي

من حقلِ الضيعهْ

مع وردٍ أبيضْ

تَنثرُهُ فوقَ المذبحْ

تركعُ حيناً

وتصلّي

تَنهضُ حيناً

مع إيمان التّقوى

تُرْسِلُ عينيها

قمراً أخرسْ

وتصلّي...

أمّي، يا أمّي!

كانت سلطانهْ

كالأطفالْ

سَمّوها كالاطفالْ

في زمن «يهشلُ»

مع زَهْراتٍ تُضوي.

لمّا كبرنا

هربتْ سلطانهْ

هربَ الايمانْ.

– عودي يا سلطانهْ

– الآنَ أعودْ!

– لكنْ، أين تقيمُ الروحْ

– في كلّ مكان.

– والمجروحْ؟

– يولدُ في الأحزانْ!

ليس جميلاً يا سلطانهْ
أن يبقى جرسُ الوردْ
خارجَ كلِّ الأيامْ:
يُقرعُ في الصبحْ
عند الظّهر يَدُقّ
قبل مجيء اللّيلْ
يهربْ.

سلطانه
أكليلٌ من حُبّ
نَرْسُمُهُ موجاً
نحملُه من جرحِ بلادٍ
صوبَ القلب.

- **الدّعاء الأخير**

١

باسمكِ نستيقظْ

ومن المشارقِ نأتي الى المغاربِ

وحولَ عرشكِ

نزفٌ رعشةَ المساءْ

٢

أيّتها الوردةُ المبتلّةُ بضمير الشعوب

هامسةٌ براعِمُكِ

جديدَ إيمانكِ

حتّى يتوارى هذا الضبابُ عن عيوننا فنلتقي.

٣

بالأمسِ فتحتُ نافذتي وصلّيت

وقبلِ أن تَجنحَ سفينتي على الرمالْ

حملتُ دعائي وقلت:

إنّكِ في قلبي

٤

الآنَ لم اعدْ وحيداً

الآنَ صرتُ يا مريم

صوتاً يكلّم الجميل

ولا ينتهي

ولا ينتهي

ولا ينتهي

مقاطع من الضّفاف

إستقبلوها معنىً. طوّفوا في الهِجرَةِ. قدّسوا الموتَ فينا.

هل الأرضُ خطأٌ، أم السماءُ رجاءٌ

كلِّموها عن كارثةِ المدْنِ □ إطمئنُّوا □ هو الحُبُّ ذاتهْ □

هي الرأفةُ ذاتها□

هو الوادي يَضُمُّ ما ليس فينا

كَلِّموها... تَقَدّموا

استقبلوها معنىً

وفي الغدِ اشهدوا للتناقض في شهدها
إنّها النسّوةُ التقيّات
او قبرُ بستانٍ لطريق عاموسَ
او اختبارُ نزوعٍ لكسرةِ خبزٍ

ليس الشجرُ اخشابَ توابيتَ
او ثمرةُ حُبّ
الشجرُ صخرةُ سرٍّ وعظام
كلّسها الصّلبُ والجمجمة

ربِّ،
صرخةٌ المريميّاتُ أقبلتْ والعرسُ في قانا واضحٌ
والخمرُ في الأجاجين حُقُّ عُليّةٍ
وظهوراتٍ لمتّى ولوقا وبطرس.
ربِّ،
ليس روحاً رأينا بل زلزلةً للحم بشريٍّ
يوزّعُ شكّاً وعجزاً وشطاً لقبر زيّنته مساحيقٌ ومشدّاتٌ
وسَبْقٌ مع
الموتِ والخوفِ وما سوف يكون

ترقّينا ربّ، نزولاً

هبطنا الجبل والقمّةَ وكلٌّ حذاءٍ

مسنّنٍ لصعودٍ ولكنْ

هتافُ الأعالي تنوّعَ فينا

وكان ارتفاعاً

كلاعبِ أرغنٍّ يلعبُ باخَ...

او دونَ أيّلٍ في الضفافْ

وكان اضطرابَ صدى وقرعاً

يشدُّ العصورَ على مخدع الآسِ والخضرةِ

ويدخلُ رَجْمَ الدلالِ وَرَحْمَ التعاسهْ

وفوق ابتلاءِ الدموع برَجْفَةِ ريشِ الغرابْ

وباب الوصول الى الظلِّ نوسّعُ صوتَ الجدارْ

وتبدأ أنثى برجمِ المدارْ

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٢

جميلة لبنان

الأب يوحنا قمير

وَطِئتْ ترابَ لبنان،
يومَ كان يطِئُه يسوع،
واستعجلتْ آيةَ الخمرِ فيه،
إن تكنْ قانا العرسِ قانانا.

وطِئتْ مريمُ أرضَ لبنان،
فعلقِت به شأنَ كلِّ من وطئه:
إختارته موطنًا، طردت عشتروت،
أقامت في شطآنه ورُباه،
في مدنهِ وقراه،
تجدُها أنّى طلبتَها،
في المعابدِ، وعلى الدروب.

وهوَينا جمالَ لبنان
فهَوَينا جمالَ مريم،

رَدَّدْنا ما في «نشيد الأناشيد»:
كلُّك جميلةٌ، يا حبيبتي، وليس فيك عيب،
هلمّي معي من لبنان، هلمّي معي من لبنان!

وأحببنا مريَم كما نحبّ،
لأنّ فيها ما ليس فينا:
هي الصمتُ، ونحن ثرثارون،
هي التّواضعُ، ونحن طواويس،
هي الطُهر، ونحن العُهر،
هي تَبِعَتْ يسوعَ حتّى الصليب،
ونحن نصلُبه كلَّ يوم.

ولُذنا بمريمَ كما نلوذ،
لأنّنا ضعفاء،
أوجسنا الخطرَ، أو عانيناه،
فَفَزِعْنا الى كَنَفِها فَزَعَ طفلٍ الى أمّه،
ساعةَ الروّع والهَلَع.

مريمُ، عَرْفَ الأرزِ في لبنان،

أُثبتي على حُبّنا ثباتَ أرزنا،
نزهو بكِ وبه، ويدومُ عزُّنا،
يدوم... او يعود.

مريمُ، نقاءَ الثّلجِ في لبنانَ
لا تنزحي عن جبالنا،
وإنْ نحن نزحنا،
لئلاّ يَفْقِدَ الثلجُ النقاءَ،
وتَفقدَه القلوب.

مريمُ، أختَ البنفسجِ في لبنان،
لا تهجري سفوحَنا،
لئلاّ يهجرَنا الصمتُ والحياء،
وكم يهجرُ منهما كلَّ عام!

مريمُ، نشيدَ الحنانِ في لبنان،
ظَلّي بيننا أمًّا تَقينا مَعَاطبَ الأيّام.
ظلّي إسمًا محبَّبا، وندعو بناتِنا
مريَم، وماريّا، ومريانه، وماري.

ظلّي صورةً ترافقُ المسافر،
وايقونةً تزيّنُ الصدور.
ظلّي دعوةَ الفلاّحِ الغادي،
وسبحةَ الأمّ التقيّة،
وآخرَ نبضاتِ الشفاه لدى كلِّ رُقاد.

مريمُ، جميلةَ لبنان،
جميلةَ كلِّ اللبنانيين،
مسلمين ومسيحيين(١)،
وَفّقيهم على حُبّه وفاقَهم على حبّك،
يحبّونكِ، ويحبّونه، يَجمَعُهُمُ الحبّان،
يَجمعُهم حُبُّكِ لهم،
فيتسالمون، ويتعايشون، ويتآلفون،
ويعلّمونَ الناسَ الألفةَ، والتعايشَ، والسلام.

٢٩ نوّار ١٩٩٤

١- يقرأ المسيحيّ في انجيله: «قال الملاك: ألفيت نعمةً عند الله، يا مريم، فها أنت تحملين، وتلدين ابنا، وتسمّينه يسوع» (لو ١: ٣١) ويقرأ المسلم في قرآنه: «قالت الملائكة: يا مريم، أن الله اصطفاك وطهّرك، واصطفاك على نساء العالمين...
يا مريم، أنّ الله يبشّرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم» (٣: ٤٢، ٤٥).

صلاةُ مريم..

د. إميل كَبا

أنا الأُمُّ..

تَعبُ المريمات،

أَرضُ انحناءاتِ الآلامِ،

وَجَعُ الخليقه.

أيٌّ لم يدخُلْ زمنَ ارتحالي؟

أيٌّ لم يُغادرْ مكانَهُ الى ابتهالي؟

لم ينَمْ على يدي،

يا وَلَدي.. إنجيلَ حقيقه؟!

أنا الأُمُّ

تَعبُ المريمات

وَلَدي.. هاتِني لهمْ

أرضاً بلا شَجَنِ

أَعِدْني من أجْلِهم

بُرعمَ الوعدِ في الكفنِ

من كلِّ شتاءٍ خطيَّه

حمِّلْني عنهمْ.. حمِّلْني همَّ كلِّ حنيَّه

اتْرُكْني.. على بابِ المحبَّةِ

إغماءةَ ضَمٍّ

كلَّ يومٍ.. كلَّ يومٍ.

أنا الأمُّ

تَعَبُ المريمات

أرضُ انحناءاتِ الآلامِ

وجعُ الخليقه.

أيٌّ لم يَهْفُ الى ثَوابي؟

أيٌّ لم يُغادرْ شروقَهُ الى غيابي؟

لم يَسْمُ الى غدي

سَفرَ العمرِ كلِّهِ

يا ولدي.. بخلْجةٍ عميقه؟!

أنا الأمُّ..

تَعَبُ المريمات

ولدي.. يا ربِّ،

في رَحِمي بقايا انتظاراتِك

وهَذي البريَّةُ منْها شَجاك

تَدري كمْ فيها منْ تراباتِك

وفوقَ جبينها سموُّ عُلاك

إرحَمْها يا ولدي،

يا ربَّ الكائنات

أَيعصي.. يُخالفُ الأمَّ

طفلُ بَرِيَّه؟

أأَنثُرُ لكَ الدَّمعَ قرباناً، ضحيَّه؟

إرحَمْهم يا ولدي،

يا ربِّ الكائنات.

أنا الأمُّ..

تَعَبُ المريمات

أرضُ انحناءاتِ الآلامِ
وَجَعُ الخليقه.
أيٌّ لم يَفِئْ بعدُ.. الى ندائي؟
أيٌّ لم يجِدً فوقَ عينيْهِ.. الى عَنائي؟
لم يُروَ.. وهو صَدِي
اعتصامَ الدَّهرِ كلِّه.. يا ولدي
بدَمْعةٍ صديقه.

أنا الأمُّ..
تَعبُ المريمْات
ولدي.. يا ربٌّ،
مِنْ حقّي أنْ أُطلِعَ الآهَ
في قرارةِ قواريري دماؤُهم
نجيعُ الذّكرياتِ،
باسمِها أُناديكَ، يا ربَّ السماواتِ.
الى رَحمِي أعذْهُمْ
كمثلِكَ أعذْهُمْ.. وعودَ رجاء

أنقذهُمْ منَ الخوف

وحتَّى منْ خوفِكَ خوفِكَ حرِّرْهُمْ

سَماحَ بهاء.

لن يُعيدَ الخمرَ الى الكرمِ،

ألقَ النَّجمِ فوقَ صفاءِ اليمِّ،

غيرُ نقاء،

حَبَّةُ الخَردل تيكَ

مغْفرةُ الصَّلْبِ الرَّحيمِ

الأملُ المعافى في الجسدِ السَّقيمِ

تلكَ.. تلكَ يا ربِّ

من فُتاتِ حِلْمِكَ الرَّواء.

الى رَحمِي.. أَعِدْهمْ

كمثِلكَ، يا ربِّ، أعدهُمْ

يا ربَّ الكائنات.

أنا الأمُّ..

تعبُ المريمات،

أرضُ انحناءاتِ الآلامِ
وَجَعُ الخليقه.
أيٌّ لم يُعلِّقْ رجاءهُ على رجائي؟
أيٌّ لم يُطلقْ حمائمَ طُوفانِه في سمائي؟
لم ينمْ
على وسادةِ يدي، يا ولدي،
إنجيلَ حقيقه؟

آذار ١٩٩٧

يا مريم العذراء
هذي صلاتي

د. ميشال كعدي

يا أُمَّ اللّه
يا أُمَّ الإيمان والمحبّةِ والرَّجاء،
إليكِ هذه الصّلاة.
يا سلطانَة الأرضِ والسَّماء
ها نحن نلجأُ إليكِ،
ها نحن بين يديكِ
نَؤمُّ عتباتِ هيكلِ ابنكِ المخلّص
معكِ ندوسُ على الشّرير المتربِّصِ،
بنا، مُحمَّلاً الإثمَ والفساد.
معكِ ندوس، ومع ابنكِ
الجاثمِ على الآزال والآباد

ألسَّلامُ عليك يا مريم.

إسمعيني،

أعينيني،

أنا المتعبِّدُ لكِ...

أنا المُتْعَبُ،

أحملُ ذنوبي وآثامي،

لأستردَّ غفراناً، وهناءً،

ورجاءً

بشفاعتِكِ، ومحبّتك

يا أمَّ اللّهِ والرَّجاء.

أنتِ علَّمتِنا، كيف يكون الضّياءُ

ضياءُ المحبّة...

فتلمَّسناها صخرةَ إيمانٍ،

نمسحُ بها تعَبَنا،

وجِباهَنا،

وعقولَنا،

أنتِ علَّمْتنِا الحقيقة،

وكيف تحيا في الصّدور

ضَوْءَ بَخور.

يا أمَّنا الحنون

أنتِ علَّمتنِا الصَّفاء...

نَجتَديه من النَّقاء،

والضِّياء.

أنتِ علَّمتنِا، أن نكون

مشاعلَ تضيءُ ظُلماتِ المقهورين،

والمشرّدين

والمهجّرين

علّمتِنا ان نواسيَ الثّكالى

ونُعينَ الأرامل.

يا أُمَّ السَّلام

والوئام

تلفتُني قناعتُك.

قناعتُك بما أراده وَلدُك.

قناعتُك بالشّوك يكلّلُ رأسَه،

بالحربةِ تصيبُ جسدَه،

بالعلقمِ، والخلِّ يُسقاه،

بالصَّلبِ من أجلِ خطايانا، التي جعلها خطاياه.

علّمتنا أنَّ الموتَ حقٌّ، إن دقَّ،

فهو يُبشّرُ ببدايةِ خيرٍ وجمالٍ وحقّ،

وأنَّ الموتَ ليس نهاية.

علّمتنا أنَّ المحبّةَ سُنَّةُ الإيمان

وأنَّها منكِ ومن لبنان

أيّتُها البتولُ، صحيحٌ، صحيح،

أنا مؤمنٌ بك، إيماني بالمسيح.

يا أمَّنا.

وطِّدي إيماني هذا، في قلبي،

لأحملَه رسالةً تُنقذُ شعبي

وزاداً الى أهلي وصَحْبي.

وطِّدي إيماني لأبشِّرَ

بعجائب الفادي.

لأبشِّرَ بمروره في قانا الجليل

في بلادي

لأشربَ في «أجاجينه»، وأضْفُرَ له الغارَ أجملَ إكليل.

يا مريمُ العذراء.

ساعديني، لأتحدّثَ عن أعاجيب:

الأعمى الذي أبصر

والمخلّعِ الذي حَمَلَ سريرَه ومشى،

والموبوءِ... وغيرهِم.

ساعديني لأنشرَ محبّتَك

وحنانَك

يا عذراء.

ساعدي لبنانَنا وقولي:

ألويلُ لمن يفكّرُ ببيع لبنان،

فخيرٌ له، أن يُعَلَّقَ في

عنقه، حجرُ الرَّحَى، ويُرمى

في البحر.

ألويلُ له، لأنّه لن يدخلَ

ملكوتَ اللّه.

•

يا أمَّ اللّه

هذا لبنانُكِ.

لملمي دموعَ أطفاله،

واقبلي دعاءَ شيوخه

وارأفي بشهدائه،

وتنهّداتِ معاقيه.

فيا عذراء
كوني معَنا دائماً...
علّمينا أكثرَ... وبَعد
أكثر

يا مريم
ألسَّلامُ عليك.

١٩٩٥

إلى مريم

عبده لبكي

أيَّتُها الأمُّ

بهاؤكِ هو بهاءُ السّعادةِ تَخدمُه الملوك

عاطفتُك دمٌّ يَتقطّرُ طاهراً ليغسلَ العالم

حبُّك يَمحو الحدودَ والآفاقَ حتّى الدموع

فَيَهَبُنا الأملَ والملجأ

رأفتُك تَلفُّنا بوشاحِها اللامتناهي

يدُك تَنتشِلُنا نحن الغَرقى في وحولِ فسادِنا

نَخشعُ أمامَكِ أيّتُها الأمُّ

ونَستعيدُ أنفسَنا من الضَياعِ ومن مَعطِفِ الظلمة

نورُ وجهِكِ يَغمرُنا فنعرفُ معنى الخلودِ ونولدُ ثانيةً

أيَّتُها الأمُّ

نحن أسرى المَعصية

أعتقينا من قيودِها فنصبحَ كالغيوم

نحن أبناءُ الخطيئة

ساعدينا فنَخلصَ على خشبة الزّمان

يَسكُننا الخوفُ أنّى تَوجَّهنا

أسمعينا صوتَك فنطمئنَّ ولا يَفْجَأُنا السارق

يَستبدُّ بنا الجشع

فامسحي قلوبَنا بزيتِك المقدَّسِ لنهنأ

يستعبدُنا الضَّعف

فانظري إلينا بحنانِك حتّى يتبدَّدَ، دون موعدٍ أو صِدفة

تَمتلِكُنا الكبرياء

فدوسي برجليك الطّاهرتين رأسَ الأفعى

أيّتُها الأمُّ

عيدُك هو كلُّ يومٍ تشرقُ شمسُه على العالم كتاباً للأمومة

وكلُّ قلبٍ يَنبِضُ بالمحبَّة مثلَ كنَّارة

وكلُّ يدٍ بيضاءَ مِعطاءَ لم تَتسلَّلْ إليها شقوقُ النسيان

وكلُّ كلمةٍ نقيَّةٍ عذبةٍ كمشعلٍ من ثلج

وكلُّ فعلٍ يُرضي روحَ اللهِ الماثلةَ في الكون

وكلُّ فرحٍ لا يَصدأ

وكلُّ جمالٍ لا يموتُ رغمَ دَبيبِ التحوُّل

وكلُّ كنزٍ نَجمعُه في السَّماء

وكلُّ لسانٍ لا يُدميه شَوكُ الكذب

أيّتُها الأمُّ

يا أمَّ اللهِ وأمَّ المخلِّص

كُوفئت من أجلِنا لخلاصنا

فكيف نَستطيعُ أن نكافئَك

يُحزِنُك ابتعادُنا عن الحقِّ قانعينَ بالجوع

ويُحزنُك إنكارُنا للحقيقةِ بأشعَّتِها التي لا تَنكسر

يُحزنُك ألاَّ نَسيرَ في طريقِ الخلاصِ وإنْ على امتدادِ الصحاري

وابنُك هو الطريقُ والحقُّ والحياة

ويُحزنُك انجرافُنا وراءَ شهواتِنا التي لن تذكرَنا إذ تزول

يُحزنُك تَفعثُّنا وانقسامُنا رغم الوصيَّةِ ومَثَلِ الكرمة

يُحزنُك الحقدُ الذي يملأُ نفوسَنا أبواباً مقفلة

يُحزنُك أن نَسُدَّ آذانَنا فلا نعودُ

نَسمعُ صوتَ الله

ويُحزنُك أنَّ الضميرَ في أعماقنا

تَسكنُه العقاربُ

أيّتُها الأمُّ

نَتضرَّعُ إليك وتَضرُّعُنا رحيقُ العطش

أن ابقَي معنا منارةً

نسألُها دائماً الشّعلةَ الأبديَّة
وبلسماً نَنتصرُ به
ورجاءً في جرنٍ مقدَّسٍ لا يَخيب
وبركةً لا تَفْتُر
وراحةً لا تُفنيها العواصف
إمنحينا شجاعةً لا تُهْزَمُ لأنَّها منك
ووداعةً لا تَيبسُ أغصانُها
وإيماناً راسخاً لا يُذلُّه قيصر
إمنحينا أن نَبقى في كَنَفِكِ الدافئ
وتحت حمايتِك المنيرة
إمنحينا أن نَظَلَّ أبناءَك
أيّتُها الأمُّ.

آذار ١٩٩٧

زنبقتان للسيّدة

الياس لحوّد

(١)

طرحةٌ عذراءُ من أبهى حقولِ الأقحوان
طرحةٌ علّقها العرسُ على قلبي يمامات... يمامات
وأعلتها جفونُ البيلسان
– كيف أمشي
وأنا خِربةُ أجيالٍ وأجيالٍ
على أنقاضها ينبتُ وردٌ
وانكساراتٌ على مدّ المرايا
طرحةٌ عذراءُ من عرسٍ إلى عرسٍ قتيلْ
طرحةٌ عذراءُ من عرسٍ الى عرسٍ على برقٍ قتيلْ
– كيف أمشي
وأنا حَقْلةُ أشواقٍ وأجراسٍ على أقصى دماري
وعلى آخر ما أبقى الهوى من مستحيلْ

«قلتُ أمشي

وإذا بيني وبين الدرّب حقلٌ من عذارى

نيّراتٍ كلُّه مُرٌّ وعلقمْ

صحتُ: ربّي

وتقدّمتُ كما يعبرُ سهلٌ من خيولٍ يتقدّمْ

كان يوماً مُتْرَفاً من كلِّ أزهارِ الأوان

كان يوماً مترعاً (من كلِّ زوجٍ ضمّتانْ)

إنه شهرٌ من العشّاقِ

في محرابِه تَزهو التراتيلُ ويَجثو ألفُ مُغرمْ

كان يوماً أبيضاً تلبسُه في الوجهِ مريمْ

يَستديرُ الوقتُ من أعلى الثّواني

يستديرُ الزّنبقُ الأبيضُ من كلِّ الأواني

عندما تَعبُر في أحلامِنا البيضاءِ مريمْ

مريمٌ أجملُ من زنبقِ مريمْ

صَرَخَتْ زنبقةٌ حمراءُ من فرحةِ أدهمْ

عاشقٌ يكتمُ ما في القلبِ من أشواقِها

.. كان يوماً وجهُهُ فُلٌّ حريريٌّ وخدّاهُ

صباحاً نجمتانْ

ومساءً نجمتانْ

كان يومَ الأحد الرابع

من أوّل أيامِ الزمانْ

قلتُ أمضي/ وتقدّمتُ على برقٍ قتيلْ

كانَ يا ما كانَ... آلافُ الحكايا

كانَ يا ما كانَ... آلافُ الصبايا

منذُ آلافِ الصّبايا

زرعتْ مريمُ في أرواحنا زنبقَها

ونما الزنبقُ فينا فتنةً

ومليكاتٍ قتيلاتٍ... فكانْ

كلّما تُقطَفُ عذراءٌ بَنَى

ألفَ عذراءٍ لنا في مهرجانْ

(٢)

أَطْفِئْ شمعةَ روحي
يا رَكْبَ العشّاقِ
وضعْها في مِشكاة الحسنِ
وأشعلْها ببهائي
فأنا فلٌّ في آنيةِ الجسمِ
تُفتِّحُه أصباحُ التيهِ
وتقطفُه أرجائي
وأنا وترٌ تَقطعُه الطرقاتُ بسكّينِ الأرواحِ
فتوصله الأجواءُ بأنغامِ الأجواءِ
أنا نغمٌ في كأسِ اللهِ
تدوِّرُني أرياحُ البرقِ
وتَنشُرني بجنوبِ الأرض
وتنثرني بفضائي
– قدِّيسٌ أنتَ؟
– أنا قدّيس؟!
لا...
أحدُ العشّاقِ أنا

أحدُ العشّاقِ المقتولينَ بنارِ الحُبِّ أنا

آخرُ نورٍ مُلقىً في خاتمةِ الأضواءِ

أطْفِئْ شمعةَ روحي في هيكلها

أشعلْها يا أحلى العشّاقِ

ويا أبهى الشهداءِ

... أدخلُ في هيكلها

تَقْبَلُني عذرائي ملكاً

أجثو وأقبِّلُ طرحَتها

أجثو وأقبِّلُ طيبَ الأرضِ

وطُهرَ الأرضِ

ونورَ بهاء الأرضِ

وأُطْفَأُ في عذرائي

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٣

قنديل الطريق

الأب كميل مبارك

طابَتِ الخَمْرُ إذا ما الخَمْرُ مَاءْ
شاءَها الحبُّ نبيذاً مُسْكِرا
وسَماءُ الارضِ وَهْجٌ مِنْ سَمَاءْ
فرحةٌ والنَّاسُ ليلٌ أقمَرَ

وافتَرَقْنَا ...
وَتَغَرَّبْنَا تراباً بارداً طَعْمَ الشَّقَاء
كلَّ يومٍ نَمْلأُ الأجرانَ ماءً
نستقي ... فالماءُ مَاءْ
أينَ ذاكَ العُرْسُ نُهداهُ جديداً مُزْهِرا
لمْ يَعُدْ في خاطِرِ الدُّنيَا بقاءٌ او فَنَاءْ
وانتهى ما كانَ وهَّاجاً، عتيقاً أَغْبَرَا
فاْذكري يا أُمُّ أنَّ الخَمْرَ ماءْ
شِئتِ أن نُسْقَاهُ خمراً مُسْكِرَا

أُذْكُري الأَرضَ وَمَنْ أعطَتْ
بخوراً طيِّبَ العَرْفِ نَقيًّا
واحْمِليها
حولَ عرشِ اللّه نوراً سرمديًّا
عَلّقيها
أنجُماً وهَّاجةً صوتاً شجيًّا
أَنتِ يا أحلَى الهَدَايا للسَّماءْ
أعَطتِ الارضُ وَقَدْ عزَّ العَطَاءْ
فاجْعليها
مَوطِئَ العرشِ السَّماويِّ
وَعرشاً أبَديًّا
واذكري الارضَ لِتَبْقَى
هيكلاً للّه، حُبّاً بشريًّا

أُذكريني
حينَ يَأتيني الرُّقادْ
وَتُغَشِّي أعيُنِي سُحُبُ الرَّمَادْ
واغْمُريني

فأنا والّريحُ حربٌ وجِهادْ
وَصَلاتِي أدْمُعي
وَشراعِي أضْلُعِي
مَزَّقَتهُ الرِّيحُ أكفَانَ المَعَادْ
فاستُرِينِي
أنتِ لي يا امُّ قنديلُ الطريق
فاحْملي عبءَ السَّفَرْ
أضحكِي الاشواكَ زهراً والحَجَرْ
والنّارَ في لَهَبِ الحَريقْ
والماءَ في صَدْرِ الغَريقْ
والذِّئابَ الحُمْرَ مِنْ بينِ البَشَرْ
والخَفَايَا
والنَّوايَا
نَجِّنَا يا أُمُّ مِنْ شَرِّ الرَّفيقْ
في الطريقْ

نَحْنُ أهلُ الارْضِ يا أُمِّي صِغَارْ
وَتُرَابُ الارضِ فِينا

سامِحِينَا
حَمَّلتنَا الارْضُ اثْقَالَ الغُبَارْ
وصحَارِي المِلح فِينَا وَالمَحَارْ
وَبقَايَا ...
مِنْ بَقَايَا صُوَرةِ اللَّهِ اسكُبِينَا
واجْمَعِينَا كالمَزَارْ
نَحْنُ أهلُ الارضِ يا أمِّي صِغَارْ
سَامِحِينَا.

زهرةُ الدُّنيَا وقربانُ الجَمَالْ
قُلتَهَا النُّورُ اذا ما اللَّيلُ أَظْلَمْ
بَلسَمُ القلبِ وقَدْ عَانَى الالَمْ
وَدُعاءُ الارضِ طِيْباً وابتِهالْ
واسمُها ثَغرٌ
كَمَا الوَرْدُ بِكُمْ
قُلتَ كُلَّ الحُبِّ مَرْيَمْ
قُلتَهَا الأُمُّ اذا ما القَلبُ تَمْتَمْ

١٩٩٤

إليَّ، يا عروسُ، من لبنان

مي مـــرّ

ممّا جاءَ عنك في «نشيد الأنشاد»:

«كلُّكِ جميلَةٌ، يا حبيبتي، وليس فيك عَيب.
هَلُمّي معي من لبنان، إليّ يا عروسُ
من جَبلِ المُرِّ واللُّبانِ،
شَفتاكِ تَقطُران شَهداً، وعَرفُ ثِيابِكِ كعَرْفِ لبنان»...

(نشيد ٤: ٦-٨-١١).

وممّا جاءَ في «القرآنِ الكريم»: «إنّ اللّه اصطَفاك وطَهَّركِ واصْطَفاكِ على نِساءِ العالَمين». فعَلَ ذلك لِتَكوني الصَّفيّةَ الّتي «ألقى إليها بمَن هو كَلِمتُه وروحٌ منه». (النِّساء، ٤، ١٧١؛ آل عمران، ٣، ٤٢).

أمّا نحن، فنُسَمّيكِ في طِلباتنا: «أرزةَ لبنان»، كي يَظَلَّ مَسكَنُكِ عندنا، وتَبسُطي يَدَيكِ من فوقِ أعلى أرزاتِنا، وتَظَلّي أُمّاً لِـ لبنان، وتُباركينا.

مريم
قدّوسة القدّيسين

جَـنـائـنُ أرْضِـنـا أرِجَـت بِـوَردِ
وتُـؤثِـرُ طـيـبَـهـا آهـاتُ وَجْـدِ.

بِـسِـرٍّ الـسُّـنـبُـلِ الـغَـنَّـتْـهُ كـأسٌ
تَـبـوحُ، بِـربِّـهـا، بِـعَـبيرِ عَـهـدِ

تَـنَـبّـأَ أنّـهـا الحُسـنُ، اصـطَـفاهـا
لِـتُـصـبـحَ أُمَّـه، وَيـفـي بِـوعـدِ

إلهُ الـكـونِ، جسـمـاً صـارَ فـيـهـا،
وفـيـهـا صـارَ مـن نِـعَـمٍ ورَغْـدِ.

لَـعِـطرُ الـعِـطرِ جُـمِّـعَ في بَـهـاهـا،
وزَهـوُ الـزَّهـرِ يَـهـزَجُ فَـوقَ رَنْـدِ،

وَيصدَحُ بُلبُلٌ: «من أيِّ نايٍ
تَخِذْتِ الشَّدوَ، بَل من أيِّ نَدٍّ؟»

وأسأَلُ: «ما لَها شَمساً تَوارَتْ
وباحَت: نَكَّسَ الأعلامَ زُهدي؟

أمريمُ أشرَقَت؟ ضاءَ المُحَيّا
بِشُعٍّ، ما الشُّموسُ سناً، ويُعدي»،

وهَلَّلَتِ النُّجومُ، وَهامَ دُرٌّ:
«خُذيني، يَستَجيرُ، لِنَظمِ عِقْدِ».

وَشاعَ الحُبُّ، والدُّنيا جَمالٌ،
يَقولُ: «الرَّبُّ قُربٌ بَعدَ بُعْدِ».

وأُعجَبُ بالجَمالِ يَرودُ أرضاً،
وعُرسُ الدَّهرِ، هل ألقاهُ عِندي؟

وصـارَ الـرَّبُّ صـبَـوتُـه بِـلادي،
وَصـارَ الـعُـمـرُ طِـفـلاً طَـيَّ مَـهْـدِ.

لَـيَرنو الـطِّـفـلُ يَـغـمُـرُها حَـنيـنـاً،
تُـهَـدهِـدُه الـذِّراعُ بِـلَـفِّ بُـرْدِ:

«بلى، أنتَ الإلهُ، وأنتَ طِفلي،
وفي قَـلـبـي تَـنـامُ، وفَـوقَ زَنْـدي.

أُقـبِّـلُ راحَـتَـيكَ، وحُـبُّ حُـبِّـي
مُـحيَّـاكَ الـبَـهِـيُّ، وسُـكـرُ نَـهْـدي

مُـنــاه الـزَّهــرَتــان: فَــمٌ وخَــدٌّ،
حَـريـرُهــمــا أُدَغـدِغُــه بِـخَـدِّي.

حبيبي، طِرْ بِنا، والصُّبحُ طُهرٌ،
أُلَـفَّـكَ بـالـضِّـيـاءِ، بـلا زَوَرْدي.

وفَـوقُ، لـنـا الأثيرُ، نَـفُـوحُ فُـلاً،
وزَنــبَـقَـةٌ تَـفَـتَّــحُ مِـلءَ قَـدِّي.

فَـدَيـتُـكَ بـالـزَّمـانِ بـكـلِّ مَـجْـدِ،
وأهتِفُ: منكَ ثمَّ إليكَ مَجْدي.

كمالُ الحُبِّ وَحدَك، دُمتَ حُبِّي،
ولـكـنْ لَـسْـتُ أرْضـاها لِوَحدي.

لأمنَحَكَ السّماءَ، نَذَرتُ نفْسي،
الّتي من قَبلُ، وهْيَ البَعدُ، بَعْدي.

عَـرَفتُ، عَـرَفـتُـكَ الآتـي إلـيـنـا
لِـتَـفـديَـنـا، ولا تُـرْهـي، بِـفَـرِدِ.

أكِـلْـمَـةَ ربِّـنـا، في قـلبِ قَـلـبـي،
بـهـا أُلـقـي إليَّ، لأنتَ خُـلـدي».

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٣

سلامٌ.. أمريم

الأب روفائيل مطر

سَلامٌ، أمَرْيَمُ، أُمّاً بَتُولاً لِذاكَ العَظِيمِ
وقد مَلأَ الأَرْضَ، رُحْبَ السَّمَاءِ، بِمَجْدٍ عَظِيمِ

سَلامٌ، أمريمُ، أُمّاً بَتُولاً لِذاكَ القَدِيمِ
وقد كانَ قَبْلَ انْبِثَاقِ الضِّياءِ وَهَمْسِ النَّسِيمِ

إذا عَبِقَ الْوَرْدُ تَمْتَمَ طُهْرُكِ سِرَّ الْوُرُودِ
وإنْ قِيلَ زَنْبَقُ غاب فَإِنَّك غَابُ الْجُدُودِ
وَقِيلَ الْبَهَاءُ التَّمَامُ فَإِنَّكِ فَخْرُ الْوُجُود
وَدارُ الخُلُودِ، فَهَمْسُكِ مِفْتَاحُ بَابِ الْخُلُودِ!

طَلَعْتِ عَلَى الْكَونِ كَوكَبَ صُبْحٍ حَنُونِ الضّياءِ
بِمَطْلَعِ شَمْسِ الخَلاصِ يُهَامِسُ أَرْضَ الشَّقَاءِ
فَكُنْتِ لَهَا الأُمَّ لَمَّا أَطَلَّتْ، وَثَدْيَ الغذاء
وَيَومَ الخَلاصِ الكَبِيرِ شَرِيكَةَ سِرِّ الفِدَاءِ!

وتَرْنِيمُنا: المَجْدُ لِلآبِ وَالإِبْنِ وَالرُّوحِ يَبْقَى
عَلَى الدَّهْرِ مِلْءَ الْفَضَاءِ يُفَجِّرُ: آمِينَ! حَقًّا!

ورديّة الذُّوق

سهيل مطر

وَرديّـةَ الـذّوقِ، آتٍ فـيكِ أبـتـهِـلُ   سَكَنْتِني، وضياءُ العرسِ، والأملُ
آتٍ أُلمِلـمُ خـمـرَ الشّـوقِ، أسـكـبُـهُ   شعراً، كما الوردُ، هُزَّ الوردَ، ينفعلُ
هـذي كـنيستُـنـا، عـذراؤُهـا زُرِعت   في الصدر أيقونةً، بالحبِّ تَشتعلُ
صخورُها نَفَسُ التاريخ همسُ هوىً   جِباهُ أجدادِنا في الصّخرِ تنجبِلُ
قَبِّلْ حجارتَها، أطيافُهُم رُسمت   على الحجارةِ عزماً نبضُه الأزلُ
رؤىً ببالي، هُدىً بالنّور كلّلها   ماذا يقول بُناةُ الذّوقِ لو سُئِلوا
كانوا طيوراً، وظلّوا، الحبُّ لعبتُهم   الصّوتُ هم لا الصدى، فلينَحنِ الجبلُ.
ورديّةَ الذّوق، أمّي، هاتِ أنملَكِ   على شفاهي صلاةٌ بَوحُها القُبَلُ
ومن حنانِكِ بعضُ الدفءِ، تلسَعُني   وحشيّةُ الليلِ، والأعمارُ تُبتذلُ
أتيتُ وَجهَكِ من صحراءِ غُربتِنا   كلُّ الوجوهِ، بوجهيَ اليومَ، تُختزلُ
سمّيتُكِ الوطنَ المطعونَ بيرقُهُ   جرحاً يسيلُ وجرحاً كادَ يندملُ
أنا قَتلتُ ربيعاً، انتِ وردُته   ومن خطايا جنوني يَشهقُ الخجلُ
أنا صَلبتُ، أنا بالرّمحِ أغرزُهُ   بالصّدرِ، أوجعتُ أمّاً، طفلُها الأملُ

أنا كفرتُ – أنا – يا عارَ مُجتمعٍ – يـهـوذا خـائِـنٌ لـكـنَّـهُ بَـطَـلُ
يـا أمَّ يسـوع، بـعضُ الحبِّ، مـغـفـرةٌ بـالدّمعِ، لا بذليلِ الحبلِ، أغتسلُ
ويـخـتـفـي الـكـونُ إلاّ أنتِ مـالـئـة عُمري بوهجِ جمالِ الرّوح، أكتحلُ
وأنتِ سـيّـدةُ الـدنـيـا، صـلاةُ رِضـا ومـن هُـدَى قـدميكِ تُزهِـرُ السُبُـلُ
تُـعظِّـم اللهَ نفسي، قُلتِها، ارتعشتْ قِـلاعُ لبـنـانَ، طـارَتْ بـالمَدى المُثُـلُ
يـا مريـمَ الـطّيبِ، قانا، أينَ مواقِعُها ألخمرُ جفَّتْ، فأينَ الكأسُ والقِلَلُ؟
لا تسـألـي، فـالجَنـوبُ كـلُّـه وَجَـعٌ اسمَ الـمـحبّةِ صارَ الذئبُ ينتحلُ
أهـلُ الـعريسِ هـنـا، ما زالـوا في قلقٍ هلاّ سألتِ: فماذا الفعلُ يا رجلُ؟
قـولي ليسـوعَ: أرضي كـبرياءُ شقا، كالسّيف تغوى به الأغمادُ والنُبلُ
الـلّـهُ وحّـدنـا، يـا بئسَ مـن كـذبـوا تـآمـروا، قسّـمـوا، لـكنّـهـم فشـلـوا
لـبـنـانُ أرضـي، فـيـا يسـوعُ، معـجـزةٌ لا الماءُ خمراً نُريدُ، لا ولا العسلُ
نـريـدُ حـريّـةً عـذراءَ شـاهـقـةً على غوى مقلتيها، الكونُ يَمتثلُ
لبـنـانُنا الحُـبُّ، لا شبرٌ يَضيع سُدىً أعـراقُـنـا بـجـذورِ الأرزِ تـتّـصـلُ
في ظلِّ مريمَ، ستِّ الكون، نحيا معاً وفـي امـتـداد يـديـهـا تُرسَلُ الـرسـلُ
ورديَّـةَ الـذّوق، يـا سـمـراءُ نـحـنُ هـنـا ومن خشوعٍ سَكَارى فيك نحتفلُ
حبيبتي أنتِ، في قلبي دليلُ هوىً المرأةُ – الحبُّ، لا اسمٌ ولا بدلُ

أنتِ النسـاءُ، مـرايـا الـحسنِ تنعكس　　منكِ إليكِ، حلا الحلواتِ يرتحلُ
كـلُّ الـنسـاءِ جـمـالٌ، أنتِ روعـتُـه　　كلُّ النساءِ حروفٌ، وحدَكِ الجُمَلُ
يـا مجدلـيّـةَ حبٍ، مـريـمٌ طَـهُـرَتْ　　عـذراءُ مـن روحِـهـا يُستلهمُ الغَزَلُ
أحبُّـهـا، مَن يقولُ الـحبَّ لهوَ صِبا؟　　ومـن بـهـاءٍ، خـفـرتُ العينَ، أبتـهـلُ
أذيـالَ أثـوا بِـهـا قَـبَّـلتُ فـي وَرَعٍ　　محوتُ وجهي، ففيها الوجهُ ينشغِلُ
مـبـارَكٌ اسـمُـهـا الـقـدّوسُ، تـكـتـمـلُ　　فيهِ الطموحاتُ، طِرْ، يا كونُ، تكتملُ.
ورديَّـةَ الـذّوقِ، آتٍ فـيك أبـتـهـلُ،　　سـكـنـتِـنـي وضـيـاءُ العرسِ، والأملُ
رتّـلـتُـكِ الشّـوقَ آهـاً مـوجَـعـاً أبـداً　　رُدّي إلـيّ سـلامـاً فـيـه أحـتـفـلُ
زرعتُكِ الحُبَّ في قلبي وفي فِكَري　　يـا أمَّ ربّـي إلـيـكِ الـوردُ والـقُـبَـلُ

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٣

دخول
في ذاكرة الهذيان

غسّان مطر

لمريَم هذا البخورُ الذي
اختارهُ الطيّبون لها
لتمسحَ دمعتَها.
وَلمريَم مئذنةٌ من ركام التأوُّهِ
تقرأُ من برجها آيتين
وتشهقُ
... (– يا بنتَ عمرانَ ما صلبوهُ...
– ولكنّهم صلبوني،
لماذا إذاً عبدوهُ
وما عبدوني؟)
وتشهقُ.

للثلج مُتّكأً فوق شهقتها
يصطلي، لا يذوبُ،
وللمريماتِ انحناءٌ على أختِهنَّ

يُعزّينَها:

«ليس هذا صليباً، ولكنّه...»

فَيَضجُّ الصليبُ،

وتَشهقُ.

تُرخي مَلاءتَها فوق وجه الغيابِ

وَتَهمسُ في غَسَقِ القدسِ:

«هذا حبيبُكِ مستوحدٌ

– يا ضناي –

لَوَتْ رأسَها في يديه المساميرُ

واحترقَ الخلُّ في شفتيهِ،

حبيبي...»

ولكنّه لا يجيبُ

فتشهقُ.

يمشي الترابُ إلى روحها

كَفَناً

ويَسيلُ الظلامُ فتغفو،

وفي قلبها يستفيقُ الحبيبُ.

تَبَاركَ هذا النعاسُ الغريزيُّ
تَشتاقُهُ مريمٌ
وتَفيءُ إليه
لتحضُنَ ذاك الصبيَّ الشقيَّ
الذي كانَ يكسِرُ آنيةَ الزهرِ
حين يجوعُ،
ويَركضُ حَفيانَ في الشوكِ
يقطفُ نومَ الفراشاتِ،
يَصلُبها ساعةً،
ثم يُطلقُها،
لا تَطيرُ،
وتَنهرُهُ مريم:
«كيف تصلبُها!
للفراشات أمٌّ، سمعتَ؟
وأنتَ تعذّبُها»
فيخبّئُ عينيه بين يديهِ

وتَضحكُ في حبّها
وتمرّغُ في شَعره قلبَها.
يستديرُ
ويقرأُ في وجهها عَبقاً
فيميلُ إلى صدرِها، وهي ولهى
وقد نسيَتْ
أنَّ هذا الذي يتدفّقُ في صدرها رَبُّها...
أنّ هذا الذي نَهَرَتْهُ
إلهٌ صغيرُ.

ويوقظ مريَم وجهٌ لجبريلَ فظٌّ،
وصوتٌ يتمتمُ خجلانَ:
«إنّا جعلناهُ...»
تصرخ:
«إنّا قتلناهُ
إنّا قتلناهُ».
تُمسِكُ جبريلَ من روحه
وهو يَهذي:

«سلامٌ عليه...

... ويومَ يموتُ

ويومَ يموتُ

ويومَ يموتُ...»

وَتَضحكُ،

تَدنو من الجسد البِكرِ:

للشوكِ أجنحةٌ فوق جمجمةِ الطفلِ،

(تلك فراشاتُهُ

كان يَقطِفُها

ثمّ يَصلبُها

ثمّ يُطلِقُها

لا تطيرُ)

وتغرزُ في قلبها شوكةً

وترى دمَها ضفّتَينِ:

صليبٌ هنا

وهناك سريرُ

وبينهما جرحُها وإلهٌ ضريرُ،

وجبريلُ يَهذي:
«... ويُبعَثُ حيًا
ويُبعَثُ حيًّا...»
ومريمُ تَهذي:
«سلامٌ على الموتِ
كان نبيًا
نبيًا...»
وتَهذي:
«سلامٌ على الموتِ
كان نبيًّا»

لسيّدةِ الحزنِ هذا البخورُ الربيعيُّ
تَزرعُه فوقَ صمتِ القتيل،
وتَسقيه، إنْ جفَّ،
من دمها أو بُكاها.

لمريمَ قارورةٌ من صلاةِ الحقولِ
وأدعيةِ الطيّبين

لتمسحَ شهقتَها
حين يَنكسرُ الليلُ فوق وسادِتها
فَتلمُّ شظاياه آهًا فآها.

لمريمَ أغنيتي،
ألفُ جلجلةٍ تَلتقي
حين تَعزفُ أوتارُها
وَيرِنُّ صداها:
«سَلامٌ عليها
وقد صار بين يديها
الإلهُ قتيلاً،
فلمّا بكتْهُ
وَألقَتْ على موتِهِ حزنَها
أنقذَتْهُ،
فصارَ القتيلُ إلها.

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
ايّار ١٩٩٢

عيد
السَّيدة العذراء

رياض المعلوف

أُضيئت في كنائسنا الشُّموعُ   على اسمك، والبخورُ بها يضوعُ
فيا عذراءَنا التفتي إلينا   لقد جاءَت تُحَيِّيك الجموعُ
وإنّا كم جُرحنا وكم سُررنا   فبلسَمَ جرحَنا الدَّامي يسوعُ
كنائسُكِ القلوبُ، فباركي   ونحن عيونُنا فيها الشُّموعُ
إليك المؤمنون أتَوْا جميعاً   وهم في عيدك السَّامي ركوعُ
فعيدُك عيدُنا وبه نصلِّي   صلاةَ الحبِّ يُمليها الخشوعُ
فتسبيحٌ بعيدِك وابتهالٌ   وأجراسٌ لنا البُشرى تذيعُ

عذرائيَ السَّمراء

جورج مغامس

على الوردِ المهلِّلِ
غنّيتُ أعراسي
شَهقةُ السَّماءِ في جسدي
وفي قلبيَ الشُّعَلُ
وهَينمةُ الأجراسِ

•

عاشقٌ أنا
حُبٌّ
مَرَاوحي العَصْفُ
على الأفراسِ
والأُلى
قَبليَ.. بَعديَ
بعضُ نِبراسي

في الغدِ.. لي غَدٌ

غدُ العَلياءِ من حُرَّاسي

ألوحيُ كلَّمني

ألواحُه دروبي وأقواسي

عذراءُ!

مِن عندِها أقلامي وقرطاسي!!

آ..

إنَّ لي عذراءَ سمراءَ

بيتُها.. بيتي

مُصَلاَّي

سُرايَ في الإدلاجِ

بين يديها

في بَحْرةِ عينيها

ألقيتُ مرساتي

فأنا لديها

مِنها.. إليها،

وهي أناتي

حصنُ حياتي

جسرُ فوزي وَمنجاتي

إنَّ لي عذراءَ سمراءَ

إنَّ لي عذراءَ سمراءَ

ورديَّةٌ بهيَّةْ

نقيَّةْ

مثلُ نبعٍ وغابةْ

مثلُ خَمرٍ

مثلُ جَمرٍ

مثلُ قمحٍ وأقمارْ

فوحُ عطرٍ

بوحُ شِعرٍ

هواها الشَّوقُ في أسفاري

مرايا الوحيِ في أقداري
إنَّ لي عذراءَ سمراءَ

إنَّ لي عذراءُ سمراءَ
نَهدةُ الألوانْ
قُبلةُ الأزمانْ
صَحوةُ الرَّيحانِ في شفتيها
صَبوةُ الرُمَّانِ في وجنتيها
شَعرُها الليلُ أنشودةُ أنواري
ومن يدِها سُبَّحةُ الأسرارِ
بوصلةَ الطُّهرِ للأبرارِ
إنَّ لي عذراءَ سمراءَ

إنَّ لي عذراءَ سمراءَ
نَغمٌ على الوترِ المُرِنِّ
هَزَجٌ

وَهَجٌ في الصَّدرِ الأَحنِّ
رَجعُ موَّالٍ في المدى الأَغنِّ
وأطيافٌ قُطُفٌ من شَغَفٍ مُسِنِّ
من اندلاعِ الرؤى في هَيْدبى الأعماقِ
في حَقْلةِ البهاءِ
على طَلِّ الصفاءِ
بين زهوةِ العناقِ في الأحداقِ
إنَّ لي عذراءَ سمراءَ

•

إنَّ لي عذراءَ سمراءَ
رحمةٌ لليتامى
لتوبةٍ وإيابْ
من رمادِ الضَّوءِ وأعيادِ التُّرابْ
وهي العزاءْ
برجُ الرَّجاءْ
عندما الخيبةُ عُلَّيقةٌ وشِفارْ

عند انهيارِ الصُّروحِ
على الفرحِ المسفوحِ
في دُنى الأطيابْ
وكانت..
للنَّسرِ والحسُّونِ والسُّوسَن كانت
وقد صارت مَناعبَ للغرابْ
إنَّ لي عذراءَ سمراءَ

إنَّ لي عذراءَ سمراءَ
حبيبةٌ حبيبةْ
قادرةٌ مستجيبةْ
فَعَندلي
عَندلي يا سماءْ
قناطرُ الوردِ.. مُتَّكاها
وهذا الفؤادْ
فيا عذرائيَ العذراءْ

يا حبيبتي السَّمراءْ

من الأعماقِ أناديكِ

أنا

نحن بنيكِ

أَعيدي لنا لبنانْ

لبنانَنا الذي كانْ

أعيديه مثلما كانْ

واحةَ حُبٍّ وأمانْ

أعيديه..

دعوتُكِ

دعوناكِ

جُدِّدي فينا قانا

أنتِ يا أمَّنا

يا أمَّ الحنانْ.

في سيِّدة اللويزة – زوق مصبح
أيَّار ١٩٨٨

صوتانِ.. لمريم

جورج مغامس

١ : السَّلامُ عليك، يا مريم

٢ : يا سلامَ اللهِ معَنا

١ : لكِ النَّشيدُ، والقَصيدُ.. وحُبٌّ، في القلبِ، ذَهَب

٢ : يا أمَّ يسوعَ،.. سماؤه والأرضُ، ما كوَّنَ، كَوكبَ، وَهَب... على بهائكِ، شالُ الحريرِ والقَصَب

١ : بنوكِ نحن. ونعمةٌ يداكِ، سخاءٌ، عطايا الطِّيب، ونَهرٌ ضوءُ الرِّياح...

٢ : قُدُّوسُ المَدَى والدُّنى منكِ. وَجهُهُ الرُّوحُ.. كَنَّارةُ الرُّؤى، شُهْبُ الزَّمان...

١ : فيا عندليبَ الحناجر، وعِشْقَ الشَّدوِ في أحلامِ السِّر، وانبلاجَ الزَّهرِ في الرَّحِمِ من ينابيعِ الغابات،... حنانَكَ، وضَمِّدي، منَّا، الجراحَ. أَسعفينا.

٢ : إضمامةُ انكسارٍ.. نحن. دمعٌ. قهرٌ. رماد...

أَقيمينا الى شُرفةِ البحر، وأشرعةٍ وشِباك.. يُنْقِذْنا السَّفَرُ في عينيك. يُسْكِنَّا الخلاص.

١ : جياعٌ، عِطاشٌ، دُمىً شُرَّدٌ.. نحن. وجُدرانٌ بيننا، جلاَّدون، قُطّاعُ طُرقٍ الى الآفاق...

فيا قمحاً، زيتاً، عسلاً، خمراً..، عافيةٌ أنتِ. لؤلؤةُ الرَّجاء!

٢ : أَوْلِمي عُرْسَكِ. شرِّعي لنا الأبواب...

شموعُنا، في أيادينا.

طَهِّري. أخصِبي، منَّا، التُّراب.

١ : إنَّا، إليك، الفقراء. إلى الرَّحمة منك. الى العزاء... الى عَزْمةٍ تقوِّينا، تُطْلِعُ الشَّمسَ في ليالينا، تَبْذُرُ الرَّبيعَ في الضَّباب.

٢ : السيِّدةُ أنت، في السُّكونِ والحركة. وفي مِعْصَمِك أبراجُ القُدْرةِ والرَّأفة، وحكمةُ النَّقاء...

فارفعينا الى قُبَّةِ الدَّهشةِ في عذوباتك، وامنحينا ترانيمَ البحرِ في هَتْفةِ الأجراس

١ : مَن، منَّا، في فِرِّيسيَّة، جاهليَّة، شُعوبيَّة، تَقيَّة..، في غربةٍ وصحراء،.. أغيثيه. واهده الحقَّ، مَنّاً وسلوىً، ماءً وسناء. ألبسيه درعَ العصافيرِ، وأفراحَ السَّماء.

٢ : .. واليتامى، والأيامى، والأمّهاتُ بمَرثاةِ الحِداد...

١ : وشبابٌ لنا. ورجالٌ...

٢ : وشيوخٌ بثقِلِ السِّنين...

١: والأحبَّةُ مسكُ التُّراب...

٢: والوطنُ المصلوبُ بين الشُّروقِ والغياب...

١: .. جميعُنا. جميعُنا... باركينا.

واقبَلينا، في يدِك، وردِيَّةً.. تهلِّلُ وتُنشدُ: السَّلامُ عليكِ، يا مريم.

١ و٢: يا سلامَ اللهِ معنا.

سيِّدة الورديَّة – زوق مصبح
أيَّار ١٩٩٢

وحدَها الباقية

جورج مغامس

I

كانْ.. يا ما كانْ

كانَ لي بيتٌ

كانَ قربَ السَّاحة

– والضيعةُ، يومَها، السَّاحة!

كانَ بوَّابةً كبيرة

كأيقونةٍ

أو هُتافِ سفينة

في حَدْقةِ قنطرةٍ

وافترارِ ياسمينة،

وجَرَساً

ودَرَجاً قصيرا

وسِواراً من زَنبقٍ وحَبَق

كَضَفيرة

حول باحةٍ صغيرة

مفتوحةٍ على قُبَّةٍ وشَفَق

تَنزِلُ الشَّمسُ في بئرِها

وفي سرِّها

يَنزِلُ القمر

يَطربُ الحَجَر

والماء

آهِ الماءُ

ماسةٌ في الجرنِ الحَجَر

وجَنّةٌ ضُمَّةُ العصافيرِ في ابتهالِ الشَّجر

ولن أنسى..

صُبَّارةً حارسة

وغارةً جارة

وحنبلاسة

ومشمشةً ودالية

وجوزةً عالية

وقُطنةً وجُوريَّةً ورمَّانة

وشَدْواً

وحَدْواً

هِـ هِـ هِلينا

والتشتشي والتشتشي

ويا حادي ويا مادي

ويلاّ ينام ويلاّ ينام

آي.. آي

كيف أنسى؟

أنا

لا

لا أنسى.

ولا أنسى

كيف كنَّا نطيرُ

بأشواقِنا

من طاقةِ عُليَّةٍ

جُنَّت بأسرارِنا

نعانقُ نداءَ الجَرَسِ،

دعاءَ الصَّنجِ ونَشوةَ المرتِّل

تُقىً

عُلىً

شَفاعاتٍ،

وهيبةَ الكنيسة

آهِ يا كنيسة

يا مَريميَّتي الورديَّة

يا كنيسة

كانَ لي بيتٌ

كانَ لطفولتي بيتٌ

كانَ قربَ السَّاحة

والضيعةُ، يومَها، السَّاحة

كانْ..

كانْ.. يا ما كانْ

II

كانْ..

كانْ.. يا ما كانْ

كانَ لي مدرسةٌ أُولى

حجراً وقِرميدا

وشبابيكَ زرقاء،

بالبالِ صداها

حَرفاً وكلمات

ومعلِّماً أبيضَ اللمّةِ

عزيزَ الهْمَّةِ

طَلْقَ النبرةِ

شَفيفَ الموحيات،

وهواها

آهٍ هواها

رِفقةٌ

صُحبةٌ

قناعةٌ وهناءات

تحدِّياتٌ وابتكارُ شيطنات

وما هَمَّ أن تكونَ المراييلُ سوداء

.. ولن أنسى

رائحةَ البخورِ إلينا

وضَرَاعاتِ النّساء

كلَّ أربعاء

تأتينا،

من بابِ الكنيسة

تأتينا...

آهٍ يا صوتَ أمِّي!

أسمعُكَ

أسمعُكَ

آ..

ما أعذبَ ما أطيب

ما أطيبَ ما أعذب

ويَنشقُّ قلبي

على الوجهِ الحبيبِ

كيف أنسى؟

لا

أنا لا أنسى

كيف كنّا نَشدو بآمالِنا

نطهِّرُ التّرابَ بأكبادِنا

نَرصفُ الغدَ موعداً موعدا

نطاولُ السّماءَ من بابِ الكنيسة

آهِ يا كنيسة

يا مَريميَّتي الورديَّة

يا كنيسة

كانَ لي مدرسةُ أُولى

كانت مدرسةَ الطفولة

من سُلالةِ ما تحتَ السنديانة

قراءةً وكتابة

آ..

كانْ

كانْ.. يا ما كانْ

كانْ

III

كانْ.. يا ما كانْ

كانَ لي بيتُ طفولة

كانَ لي مدرسةٌ أُولى

واليومَ

لا حجرٌ

لا حجر

.. كلُّ ذاك الماضي بلا أَثَر

صار الفريسة

وحدَها الباقيةُ:

ورديّتي – الكنيسة

فيا مريمُ

شفاعتَك والذّكريات...

سيِّدة الورديَّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٣

مريمُ اليمامة

جورج مغامس

العقلُ يتألَّم
والجسدُ يَصرخ
الصَّوتُ بين الشّفار
وأكوابُ الدَّمع على المائدة...
كلُّ الأقمارِ بلا ضوءٍ
لا نبعٌ
لا نهرٌ
لا ساقية...
فُطمتِ البحارُ
وغَمَرَ الملحُ وجهَ الأرض!
فيا مريمُ اليمامة
يدَكِ والسَّلامة!!

يدَكِ يا مريمُ
إنَّ الحناجرَ على الجمرِ

وجَمرٌ صوتُ التّرابْ

في كلِّ ريحٍ دَمٌ

دمُ البومِ في دمعِ الغرابْ

ويبكي..

يبكي الغرابْ

يُهيلُ الخرابَ على الخرابْ

نَنهدِمُ

نَنحطِمُ

نتلاشى في المتاهات

ويَيلونا هاجسُ الرّماد

فيا مريمُ..

يا مريمُ اليمامة

يدَك والسَّلامة!!

يدَك يا مريمُ!

في الأُفْقِ..

صليبُ الموتِ مرتفعُ

والدَّمعُ..

بالمُرِّ يَنداحُ ويَندفعُ
سوداءَ
من وَحشةِ الرّوح
تَلبَسُ الجبالُ ملاءَتَها
وتُقفِلُ على الشّمسِ باباً وشُبّاكا
تُقفِلُ باباً وشُبّاكا
فكلُّ بيتٍ صمتٌ
وهو الصَّمتُ حجرٌ
والحجرُ قبرٌ
قبرٌ .
قبرٌ
قبرٌ دنيانا
انطفأت فينا الأحلامُ
وانبجسَت منّا الأصنامُ
وانحلَّ ما كُنّا
ما كُنّاهُ إيمانا
هُزمنا
وانبتَّ ما كان بيُمنانا

فيا مريمُ
يا مريمُ اليمامة
يدَك والسَّلامة!!

مريمُ..
يا مريمُ اليمامة
هامت في الليل الأسرارُ
اربدَّت أفلاكٌ
غارت فيها الأنوارُ
انهمرَ القهرُ
طافت بالأرضِ الأقدارُ
فَمُ الأيَّام نارٌ
وفي الأكبادِ وَلولةٌ وإعصارُ
تَسكنُنا المناحاتُ
تَسكنُنا الدناحاتُ
تَكْسِرُنا
تُسْكِرُنا
نَنضحُ العويلا

نَنشجُ العويلا
ونَجلسُ على قارعةِ الزّمانِ بلا وجهٍ
بلا بصماتْ
بلا وجهٍ.. بلا بصماتْ
نُسْقَطُ في أيدينا
لا حَوْلَ ولا...
لا حَوْلَ ولا...
والهاويةُ سحيقةٌ
لا قرارْ
لا صدىً.. لا قرارْ
نُسْقَطُ في أيدينا
.. فيدَك يا مريمُ
يدَك والسَّلامة!!

يدَك يا مريمُ
ها إنَّا..
وإنَّا لديكِ بكلِّ معاصينا
بكلِّ ما شاؤوه لنا

وشئناهُ

وفعلوه

وفعلناهُ بأيدينا،

فيا شامخةً بأرزٍ من لبنانَ

ضَوْءاً سَنيّا

وَلُدتِ بالنَّخلةِ حين المَخَاضُ

تَهزّين جذعَها

فَيَسَّاقَطُ رُطَباً جَنيّا

وفي مغارةٍ ولدتِ الإلهَ

وتَولَّيتهِ

ودَرَّجتهِ بَشَراً سَويّا

وصَعَّدتِ الى السَّماء

في معراجِ القيامة،..

إنَّا نراكِ

في سُدَّةِ القيامة

ومن لبنانَ حولَك توراةٌ وإنجيلٌ وقرآنْ،

فللفذِّ هذا

وقد صار الرّسالة،

يدَك

يا علامةَ الوَحدةِ والحريَّةِ والكرامة

يدَكِ

يا قيامة

يدَك والسَّلامة!!

سيّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٤

عند المغارة
أو
صدرِ أمّ

جورج مغامس

I

أذكرُ

وكانَ العامُ

من ألفينْ

أنّي كنتُ قارئَ سماءْ

وبيتُنا عالياً

كبرجٍ ومنارةْ

غامت بي الدنيا

ثُمَّ

صحوتُ

على هاتفٍ

آيةٍ

ومغارةْ

II

خلعتُ وجهي

انهار دمي

وكان سيفاً

من بابلَ وقبائلْ

تجمّعتُ علىْ كفّي

وبكيتُ على روحي حتّى..

قمتُ من قبري

وفاض سَوادي

ملاءاتٍ

على أعناقِ البلابلْ

III

يا يومَها

تفتّحتْ ألِفٌ وباءْ

وجرى خُبزٌ

خَبَرٌ

بساتينُ تفّاحٍ

وماءْ

أشرقتْ زهرةٌ

كقلبِ الصباحِ

فعلى الأفْقِ

بابٌ

وأبواقٌ

ورفيفٌ شَفيفٌ

هبوبُ عطرٍ

وأشواقْ..

وفي المدى

III

يا يومَها

تفتّحتْ ألِفٌ وباءْ

وجرى خُبزٌ

خَبَرٌ

بساتينُ تفّاحٍ

وماءْ

أشرقتْ زهرةٌ

كقلبِ الصباحِ

فعلى الأفْقِ

بابٌ

وأبواقٌ

ورفيفٌ شَفيفٌ

هبوبُ عطرٍ

وأشواقْ..

وفي المدى

نايٌ ونارٌ
وعينٌ على..
ونجوى
سرٌّ يُغزلُ
وسرٌّ يُقالْ

IV

أنتَ.. لا تَفعلْ
حلوٌ طفلُنا
عذبٌ
كزبيبةِ عنقودٍ أشقرْ
وهديّةْ
فلا..
لا تَهدمِ الليلَ على عينيهِ
فله فجرٌ وأترابٌ وثلاثةٌ وثلاثونَ
وصخرةٌ
ووصيّةْ

يا ويحَكَ.. لا تَفعلْ

غداً

في الدارِ

من يَلعبْ

من يَتعبْ

وراءَ العصافيرِ

ويَشربْ

من دلو بئرٍ

ويَغضبْ .

على تينةٍ

ويذهبْ

الى عرسٍ

وشطٍّ

ويَملأُ

جراراً وشباكا

ومن..

لا

لا تفعلْ

رُدَّ موتَكَ الى غمدهِ

ولا تَجعلْ في الأرض بكاءً ونحيباً شديدا

٧

يا كبدي

ما كان أوجعَ ما كانوا!

كأنّهم أطفالُ لبنانَ

وأرواحٌ تُراقُ

على ماءِ الشّتاءِ

وبَرْدٍ

ودمعٍ

وبقايا جدارٍ.. ودعاءْ

يا ما كانوا.. يا كبدي!!

أنينُهم والدّماءْ

شبابيكُ النّوافذِ

وخشبُ الأبوابْ

يا شهقةَ النوافذِ والابوابْ!

آهِ يا روحي

ارتجَّ بشَذا طِيبهِم

حشا الأجيالْ

ومادت جبالْ

تَفَطَّرتْ سماءْ

ماذا فعلتَ لهم

يا ربَّ السّماءْ؟!

VI

هو..

كان في ارتحالْ

أمُّه تصلِّي

وتَعُدُّ خيوطَ القِماطْ

والوَليُّ

عصاً بِقفا حمارْ

وخُطىً في رحابْ

تَغورُ الرّمالُ في الرّمالْ

خيطُ ماءٍ يجري

بين وادي الملوكِ

ووادي الأنبياء

تُراهُ.. كانَ في ارتحالْ!

وعنهُ

يُذبحُ الأطفالْ!!

VII

وبعد أنْ

يا عجيباً

صرتَ من

لحمٍ ودمْ

وجادلتَ

وسقيتَ

وأطعمتَ

وشفيتَ

وغفرتَ

ومن الموتِ أقمتَ

وقلتَ

دعوا الأطفالَ يأتون إليَّ

وما لم

كَمثلِهم

تكونوا

في ملكوتي.. لن تَرَوني

وتجلِسوا عن يميني

وأكسِرَ لكم جسدي

وأطعمَكم بيديّ

آ..

بعد أنْ..

بعد أنْ..

يا عجيباً

وكنتَ صليباً

وكنّا «حبيباً»

بين دمعٍ ودمْ

ذكرتَ أيّامَكَ الأولى

والطفولةْ

يا وجعي..

تلك الطفولةْ

وطفولةٌ بعدَ ألفين!

آ..

وافتدِيتَنا

هديتَنا

صدرَ أمّ.

سيِّدة الورديّة – زوق مصبح
كانون الأوّل ١٩٩٦

البَتول

د. سامي مَكَارم

البتولُ لغةً هي «من النساء المنقطعةُ إلى اللّه عزّ وجلَّ عن الدنيا.» وهي «من النخل الفَسيلةُ المنقطعةُ عن أمّها المستغنيةُ عنها.» هكذا ورد في **لسان العرب** فيما ورد من معاني البتول. فهي من البَتْلِ أي القطع.

تنقطعُ فسيلةُ النخل وتستغني عن أمّها فتُسمَّى بَتولا، وتنقطعُ المرأةُ وتَستغني عن النّاس وعن الدنيا فتُسمَّى بتولا. كلتا الفسيلةُ والمرأةُ بتولٌ إذا انقطعت وتميّزت واستغنت. تلك تتميّزُ من أمّها، وهذه تتميّزُ من الناس ومن الدنيا.

غيرَ أنَّ البتولَ من النساء، بخلافِ فسيلةِ النخل، تنقطعُ عن الناس وعن الدنيا لإرادةٍ منها وقصدٍ وغاية؛ فهي إنّما تستغني وتنقطعُ لا لمجرّدِ الانقطاعِ والاستغناء بلْ لتوجّهِها إلى الله. بَتْلُها عن الغيريّةِ وَصْلُها بالأَحَديّة، وغَيبتُها عن كثرةِ الخلقِ حضورُها في وحدةِ الحقّ، وفناؤها عَمَّا لها بقاؤها في ما لَهُ سبحانَه. ذلك هو معنى البتوليّة الأصل. فهي الانقطاعُ عن الغيريّة والتوجّهُ إلى اللّه بالكليّة. هي انفعالٌ بالحقّ يتبعه فعلٌ في الخلق للحقّ. البتوليّة إذاً هي الأنوثةُ في أسمى معانيها: انفعالٌ بالحقّ، أي أخذٌ منه، وفعلٌ في الخلقِ هو العطاءُ لوجه الحقّ. إنّها أخذٌ من المحبوب وعطاءٌ من أجل الذين يحبّهم المحبوب. فإذا

كانت الأنوثةُ بمعناها المعروفِ تلقّياً والذكورةُ عطاءً، وَجَبَ أن تكونَ الذكورةُ في أساسها، كما ذكرنا في غيرِ هذا المكان، «لا تتحقّقُ إلاّ إذا كانت أنوثةً في الأصل تنفعلُ لتفعلَ وتستفيدُ لتفيدَ وتأخذُ لتعطيَ»(١). هذه الأنوثةُ الحقّ، وهي البتوليّةُ الحقّ، هي إذاً أصلُ عالمِ الخَلْق الذي هو فعلُ المحبّة الحقّ. مِن هنا كانت البتوليّةُ، في معناها الأمثلِ، عَوْداً بالانثويّة إلى أصلها بعد هبوطها إلى «حوّائيّةٍ» توراتيّةٍ تمثّلت بالأخذ في سبيل الأخذ لا في سبيل العطاء.

في البتوليّة إذاً، وهي استغناءُ الأنثويّةِ الحقّ وانقطاعُها عن الدنيا، حركةٌ الى الله واعيةٌ، حركةٌ إلى الحقّ، إلى المحبّة. إنّها، في بعضِ مَجَاليها البشريَّة، حركةٌ من «أنا» إلى «أنتَ».

من «أنا» عاجزة محتاجة مفتقرة إلى العون، إلى «أنتَ» هو الملاذُ والملجأُ والمَعَاذُ، من «أنا» مشوَّشة ضائعة حائرة واهمة تتقاذفُها الأهواءُ وتُشتّتُها الأهدافُ وتفرّقُها الميولُ إلى «أنتَ» ترى فيه القَيّوميّةَ والديموميّةَ والوحدةَ والحقيقة.

ولكنْ أيّةُ حقيقة وأيةُ وحدةٍ وأيّةُ ديموميّة وأيةُ قيّوميّة تَتضمّنها «أنتيَّة» تَصوَّرَها وتَخيَّلَها هذا التشويشُ والضياعُ والحيرةُ والشَتاتُ والتفرّقُ والكثرةُ التي أَلّفت جميعاً هذه «الأنا» الوهمَ؟ كيف «لأنا» هذه حالتُها أن تتصوَّرَ وتتخيّلَ ما ليس من جنسها، وأن تعوذَ به من كلِّ شرٍّ ووهمٍ وتشويشٍ وضياعٍ وحَيرةٍ وشَتاتٍ وتفرُّقٍ وكثرة؟ إنه وهمٌ يعوذُ بالوهم من الوهم، وعدمٌ يلوذُ بالعَدم من العدَم. إنّه طريقٌ مكوّنةٌ من ثُنائيّةٍ تبدأُ من «الأنا» وتنتهي «بالأنت». والثنائيّةُ شِركٌ، والشِركُ عَدَمٌ،

والعدمُ ضدُّ الوجودِ الواحدِ الحقّ. والضدُّ لا يُفضي إلى ضدّه، بل إلى جنسه وشكله. أمّا التوحيدُ فلا يُستكشَفُ إلاّ بالتوحيد، أي بالبراءة من كلّ كثرةٍ ومن كل عدميّة ومن كل شرك، أي ببَتْلِ كلِّ غيريّة بتْلاً وسحقها سحقاً والإخلاصِ منها إلى الأحَدِيّة إخلاصاً. البتوليّةُ إذاً لا تنطلقُ من «الأنا» الوهمِ، ولا من العدميّة ولا من الكثرة ولا من الغيريّة. إنّها بالأحرى تنكُّرٌ «للأنا» لا انطلاقٌ منها. سُئل الحَلاّج فيما سُئل: «كيف الطريقُ إلى الله تعالى؟»

فأجاب: «الطريقُ بين اثنين وليس مع الله أحد.»(٢) إذا انطلقتَ من عالم النسبة بقيتَ في عالم النسبة محصوراً فيه محدوداً تُقاذفُك أوهامُه وتلاطمُك أمواجُ أهوائه وتحطِّمُك صخورُ ظلماته وتلتهمُك حيتانُ مجاهلِه وجهالاته. أخلِص ذاتيّتَك من أنانيّتك تُخلِصْ من عالم النسبة فتستكشِف حقيقتك التي هي من أمرِ الحقّ.

وإذ تَنسلخُ البتولُ من أنانيّتها تَنزعُ عنها كلَّ حجاب يَحجبُها عن إشراقِ نورِ حقيقتها، فإذا بنورِ هُويّة اللّه يتدفّقُ عليها. ويتلاقى النوران: نورُ حقيقتها ونورُ الحقّ، نورٌ على نور. وإذ كان نورُ حقيقة تلك التي بَتَلَتْ أنانيّتَها الكثيفةَ وسَحَقَتها هو أصلاً من نورِ الحقّ، يَمتزجُ النوران، إذ يلتقيان، نوراً واحداً.

مُزِجَتْ روحُكَ في روحي كما تُمزَجُ الخمرةُ بالماء الزّلالْ
فإذا مسَّك شيءٌ مَسَّني فإذا أنتَ أَنَا في كلّ حالْ(٣)

ففي زخْم انجذاب النّورين الروحين، وهما المتجانسان، يلتهمُ نورُ الحقِّ نورَ الحقيقة، ويتلاشى، بالتقائهما وامتزاجهما، كلُّ ظلمةٍ وكلُّ نورٍ في غمرة نورِ اللامحدود. وإذْ بهذه التي تبتَّلتْ تُستهلَكُ في نورِ الله استهلاكاً. وإذ زال كلُّ حجابٍ كان يَحجبُها عن نورِ الهويّةِ زالت حُجُبُ الظلمةِ فزالت «الأنا» وزالت حجبُ الأنوار فزال «الأنتَ». وما حُجُبُ الأنوارِ هذه إلاّ أنوارُ تلك «الأَنتيَّة» التي هي غايةُ «الأنا» الوهم في انطلاقها إلى الله الوسيلة لا اللّه الغاية. إنّها حُجُبٌ من نور، لأنّ اللهَ نورُ السمواتِ والأرض(٤). وإذ اتُّخذ هذا النّورُ وسيلةً تُعبَدُ خوفاً من عذابٍ ورجاءً لثوابٍ كان هذا النورُ حجاباً يحجُبُ المعبودَ المحبوب لذاته، وبقيَتِ «الأنا» هي الغاية. ابْتُلْ أنائيَّتَكَ إذاً ترتفعِ الحُجُبُ حتى تلك التي هي من نور. وقد بَتَلَتِ البتولُ «الأنا» فزال «الأنت» ولم يبقَ إلاّ «الهو». ألم تنذُرْ هذه البتولُ للرحمن صوماً؟ فيما قال الكتاب الكريم(٥). أليسَ الصومُ في معناه الأصيلِ انقطاعاً إلى اللّه تعالى وتبتُّلاً واستغناءً به؟ ها هو السيّدُ الكريمُ يَتنزّلُ عليها ويَلِجُ فيها وتلجُ فيه ولوجَ رحمانيّةٍ وقداسةٍ ووحدانيّة. وإذ يُقضَى الأمرُ القدسيُّ(٦) ويتوحَّدُ السيّدُ بوحدانيّة الله الآب ويتفرّدُ بفردانيّته، يَخرجُ بصفاتِ الله إلى خَلْقه فيرى اللّهُ هوّيتَهُ في هوّيته. لكأنَّ أبا يَزيد البَسطامي ذلك المتحقّقَ كان يشيرُ إليه في مِعراجه إذْ قال: «وأفردني بفردانيّته ووحَّدني بوحدانيّته ووصفني بصفاته التي لا يشاركُه فيها أحد. ثمّ قال لي: توحَّدْ بوحدانيّتي وتفرَّدْ بفردانيّتي وارفعْ رأسَك بتاج كرامتي وتعزّزْ بعزّتي وتجبَّرْ بجبروتي واخرجْ بصفاتي إلى خَلْقي أرَ

هويّتي في هويّتك. من رآك رآني وَمَن قصدَك قصدني، يا نوري في أرضي وزينتي في سمائي.»(٧)

إيه أيّتها البتولُ! ها أنت قد خرجت من أنائيَّتك؛ فإذا أنت، بهتكك حُجُبَ الظلمةِ وحُجُبَ الأنوار معاً، تَرَين اللّه بعينه، وتسمعينه بسَمْعه، وتحبّينه بحبّه. وإذا بصفاته الإلهيّة تدخلُ فيك على البدل من صفاتك الأنائيّة. وإذ تدخلُ صفاتُ المحبوب على البدل من صفات المُحِبِّ، على حدّ تعبير الشيخ الجُنَيد(٨)، يبلغُ المحبُّ المحبّةَ الحقَّ حيثُ لا أنائيّة ولا غيريّةَ، ولا غايةَ إلاّ وجهُ اللّه.

ها أنت، بعشقك للمعشوقِ الأعلى، توقنين أنَّ ذاتَك العاشقةَ هي في ذاتِ المعشوق وأنَّ المعشوقَ فيها. أليس العشقُ هو المحبّةُ الخالصة؟ أليس العشقُ «هو الذّاتُ المحضُ الصّرفُ الذي لا يَدخلُ تحت رسمٍ ولا اسمٍ ولا نعتٍ ولا وصف»، كما قال الجيلي.(٩) والمحبّةُ الخالصة، وهي العشقُ الخالص، أليست هي اللّه؟ ألَم يقلْ يوحنّا في رسالته الأولى كذلك: «اللّهُ محبّة، فمن ثَبُتَ في المحبّة فقد ثَبُتَ في اللّه واللّهُ فيه.»(١٠)

ها أنت أيّتها البتولُ قد أصبحت، بانسلاخك عن أنائيّتك، وبإخلاصك للّه كلَّ إخلاص، مستغرِقةً في اللّه مستهلكةً فيه قلباً ونَفْساً وَظَنّا. ها إنَّ اللّه المحبّةَ، وقد غرِقت أيّتها البتولْ في بحر نوره، يلتهمُ عُبابُهُ كلَّ ذرّةٍ منك. وإذ تلجين فيه ويلجُ فيك تَغدين وقد وَسِعْت العالَمَ أجمعَ من مشرقه إلى مغربه. يقول أبو يزيد في ذلك: «فإذا صحَّ حسنُ ظنِّ العبد بالله وقع ظنُّه بربّه وقلبُه بظنِّه ونفسُه بقلبه، فصار من حيث شاء

إلى حيث شاء بمشيئة اللّه، ويأتيه كلُّ شيء وهو على مكانه بلا عَناء: يأتيه المشرقُ والمغربُ كلُّه. فكلَّما ظنّ بمكان فالمكانُ يحضرُه وهو لا يحضرُ المكانَ، إذ هو لا يزولُ ثمّ لا يزولُ، إذْ هو مع مَن لم يَزُل ولا يزال، إذ هو مَن هو لم يَزُل ولا يزال... تتبعه الأشياءُ ولا يتبعُ شيئاً. إنّما الأشياءُ كلُّها كائنٌ من الله.»(١١) أليس ما ورد في قدّاس باسيليوس عبد الله يصبُّ معناه في هذا البحر من التحقّق إذ يقولُ مخاطباً البتولَ: «لأنّه صَنَع مستودَعَك عرشاً وجعلَ بطنَكِ أرحبَ من السموات. لذلك يا ممتلئةً نعمةً تفرحُ بك كلُّ البرايا وتمجّدُكِ».(١٢) أليس ذلك، أيّتها البتولُ، لأنَّ نفسَك الطاهرةَ من كلِّ غَيريّةٍ قد وقعَتْ بقلبك، ووقع قلبُك الطاهرُ من كلّ أنانيّةٍ بظنِّك، ووقع ظنُّكِ الطاهرُ من كلّ وهْمٍ بربِّك. فاصطفاكِ إذ اصطفيته. ها إنّكِ، أيّتها البتولُ، قد أدركت صفاءَ الصفاء. وما صفاءُ الصفاء؟ إنّه «إبانةُ الأسرار عن المُحدَثات لمشاهدة الحقِّ بالحقِّ على الاتّصال بلا علّة.» على حدِّ ما ذكره السرّاج(١٣). ها أنت قد أبنتِ أسراراً من الألوهة عن مُحدَثات من البشريّة، إذ شاهدت الحقَّ بالحقّ، فاتّصلتِ به واتّصل بك بلا علّةٍ ولا مباشَرةٍ اتصالاً قدسيّاً إلهيّاً لا يَعتريه دَنسُ الغَيريّة ولا شرْكُ الإثنينيّة. وإذ تيقّنتِ، أيّتها البتولُ، أنّكِ فيه وهو فيكِ جعلَ مستودَعَك عرشاً أرحبَ من السموات. والعرشُ الذي استوى عليه الرحمن(١٤) ألم يَسَعِ السموات والأرضَ؟ لقوله في كتابه الكريم، «وسعَ كرسيُّهُ السموات والأرضَ».(١٥) فإذا كان العرشُ، كما يقول الجيلي، هو «مظهرُ العظمة، ومكانةُ التجلّي، وخصوصيّةُ الذات»،(١٦) وإذا كان الكرسيُّ، كما يقول أيضاً، هو «مظهرُ الاقتدار الإلهيّ ومحلُّ نفوذ الأمر والنهي»،(١٧) تَماهى في

العِرفان الكرسيُّ والعرشُ. ثمّ أليس العرشُ هو «قلبُ الإنسانِ الكامل»،(١٨)، كما ورد عند التهانوي.

في تبتُّلكِ إلى الله، أيّتها البتولُ، حققتِ الإنسانيّةَ، إذ أخلصتِ إليه من الأنانيّة ومن كل غيريّة، فإذا أنتِ تحتضنين ناسوتيّةَ الرحمانيّةِ كما تحتضنُك.

ها إنّ كلَّ أينية، أيّتها البتولُ، تلاشت فيكِ وامَّحت كلُّ آنية وفنيتْ كلُّ غَيريّة. يَذكرُ يوحنّا في إنجيله اللّهَ فيقولُ: «كان النورُ الحقيقيُّ الذي ينيرُ كلَّ إنسان آتٍ إلى العالَم. كان في العالَمِ والعالَمُ به كُوِّن، والعالَمُ لم يَعرفْه.»(١٩) غير أنّكِ، أيّتها البتولُ، قد عرفتِهِ حقّاً وعرفتِ أنّهُ فيكِ وأنّكِ فيه.

آذار ١٩٩٧

١- راجع ما قلناه في التوطئة لكتابنا عاشقات الله (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤)، ص ٧-١٠

٢- لوى ماسينيون وبول كراوس (محققان)، أخبار الحلاّج، باريس، ١٩٥٧، ص ٧٥

٣- كامل مصطفى الشيبي (محقق)، ديوان الحلاج، بغداد: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٧٣

٤- راجع سورة النور (٢٤): ٣٥

٥- سورة مريم (١٩): ٢٧

٦- اشارة الى ما ورد في القرآن الكريم خطاباً لمريم: «قال كذلك قال ربُّك هو عليّ هيّنٌ ولنَجْعَلَهُ آيةً للناسِ ورحمةً منّا وكان أمراً مقضيّاً.» سورة مريم (١٩): ٢١

٧- السهلجي، النور من كلمات أبي طيفور في عبد الرحمن بدوي، شطحات

الصوفية، ابو يزيد البسطامي، القاهرة: ١٩٤٩، ص ١٣٩
٨- القشيري، الرسالة القشيرية، بيروت: ١٣٦٧هـ/١٩٥٧م، ص ١٤٥
٩- عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ج ١، القاهرة: ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ٨١
١٠- ١ يوحنا، ٤: ١٦
١١- السهلجي، النور من كلمات أبي طيفور، في عبد الرحمن بدوي، شطحات الصوفيّة، أبو يزيد البسطامي، القاهرة: ١٩٤٩، ص ٧٥
١٢- كتاب السواعي الجديد، «الكنيسة الارثوذكسيّة»، بيروت، ١٩٥٣، ص ١٥٥
١٣- ابو نصر السرّاج، اللُّمَع (تحقيق عبد الحليم محمود وطه سرور)، القاهرة: ١٩٦٠، ص ٤١٤
١٤- اشارة الى الآية القرآنية: «الرحمن على العرش استوى.» سورة طه (٢٠): ٥
١٥- سورة البقرة (٢): ٢٥٥
١٦- عبد الكريم ،الجيلي الانسان الكامل، ج ٢، القاهرة: ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م، ص ٦
١٧- المصدر ذاته، ص ٨
١٨- محمد أعلى التّهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، طهران: ١٩٤٧، ص ٩٨١
١٩- إنجيل يوحنّا، ١: ٩، ١٠

ابتهال!..

البطريرك مكسيموس الرّابع

يا مريمُ انت أمُّنا. وانت أختُنا. وانت ايضاً إبنةُ بلادِنا. فلنا عليك دالّةُ البنوّةِ، ودالّةُ الأخوّةِ، ودالّةُ المُواطَنةِ.

لقد كنتِ، في ظاهرِك، في طُهرٍ وعفاف، أبسطَ كلِّ خَليقةٍ بشريّةٍ أبدعتها يدُ الخالق. فطويتِ عيشةً هادئةً عاديّةً في غمارِ بناتِ جنسك. إلاّ أنَّك، في داخلك، قد سَموتِ وتجاوزتِ كلَّ القواعدِ والسُّننِ البشريّةِ:

فَحُبِلَ بك بعصمةٍ من الدنسِ الأصليِّ الذي يَجتاحُ كلَّ خليقةٍ بشريّةٍ لأنَّ ربَّ المجدِ سيتّخذُ أحشاءَك مسكناً له.

وَوَلدت ابنَك، وختمُ بكارتِك في عصمةٍ من الانحلال، لأنَّك ستكونين أمّاً للّه. فأنت أمٌّ وبكرٌ معاً.

وعشتِ طَوالَ حياتك وأنتِ في عصمةٍ من الخطيئة، بل من الزلّة، لأنَّ قدّوسَ القدّيسين، الذي سيَسكنُ فيكِ ويغتذي من لبنِك ودمِك، جَوْهَرَكِ بضياءِ قداستهِ وسَنى لاهوتِه.

وعند انتقالك من هذه الفانية، عَقبَ إتمامك رسالتَك الخلاصيّة، عَصَمَ جسدَك الترابيَّ المتلألئَ بنورِ اللاهوت من الانحلال، فانتزعك من نتانةِ اللحد، وحملك جبّاراً عزيزاً على ذراعيه بنفسِك وجسدِك معاً

الى السعادة الخالدة، أنتِ التي طالما حملته على ذراعيك رضيعاً صغيراً ضعيفا.

وعَقب انتقالكِ هذا، أخذت تتعهّدين أولادَك في العالم بنعم ابنك الفيّاضة. والشرقُ وطنُك الجسديّ، كان أوّلَ من نال من جُودك، وأوّلَ من لاذ بحماك. وطقوسُنا الشرقيّة تَحملُ لك في طيّاتها عبيرَ الحبّ والثّقةِ والاعجابِ والإكرام. وإذا صَحّ ما قاله ابنُك، فادينا الالهيّ، عن الأنبياء، وعن نفسه أيضاً، «إنّه لا نبيّ بلا كرامة إلاّ في وطنه»، فإنّك في هذا أيضاً كنتِ في عصمة من هذه القاعدة العامّة، فوطنُك قد كرّمك ويكرّمُك وسوف يكرّمُك ويحبُّك ويستشفعُ بك ما دمتِ أمّاً للّه ولنا.

وانّه لَيحلو لنا ان نحدّقَ اليك، أنت أمّنا وأختَنا ومثالَنا البشريّ الأوحدَ، وأنتِ مشرقةُ المحيّا بابتسامة عذبة وخَفَرٍ جذّاب يُولي الثّقةَ والحبّ ويرفعُ النفسَ عفواً فوق أوساخ هذه الارض، لنقولَ لك بملءِ جوارحنا: يا مريمُ أوقفينا على فمِ الهاويةِ التي تحاولُ ابتلاعَ تراثِنا الروحيّ الشرقيّ الذي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا. صوني ما بقي فينا من طهرٍ وعفاف. إحفظي البقيّةَ الباقيةَ فينا من شرف ونخوة وعزّة نفسٍ وترفّعٍ عن الدنايا. صونينا من الضعفِ في إرادتنا، والميوعةِ في تصرفاتنا، والتخنّثِ في أخلاقنا، والتفتّت في آرائنا، والتبذّلِ في آدابنا، لنكونَ كلّنا على مثالك، أفراداً وأُسَراً وشعبا، لنستحقّ كلُّنا أن نلتفّ حولك يوماً ما في موطنِ السعادةِ والنور. آمين

أيّار ١٩٥٤

يومَها كانتِ السماءُ ترتعدُ غضبًا

مي منسّى

لم أكنْ أعرفُ مريمَ، قبل ذلك اليوم، الذي غَيَّر مجرى الكون، وخطَّ للانسانيّة عهدًا جديدًا.

لم أكنْ أعرفُ مريمَ، حين حملتْ بيسوع.

قيل لي: الملاكُ ظَهَرَ لها، وبَشَّرها، فحملتْ في أحشائها مخلّصًا للعالم... فآمنتُ.

لم أكنْ أعرفُ مريمَ، حين بشّرها الملاك. لم أسمَعْه، حين همس لها همسةً بين نورٍ وظلّ. وحدَها مريمُ سمعتْه. فأقفلتْ عينيها، ووشَّحت قلبَها بجفنيها، لتسمعَ أعلى، لتحسَّ أعمقَ البزرةَ تَنغرسُ في أحشائها، وتؤجّجَ صلواتِها.

لم أسمعْ... لم أرَ... لكنّي ارتعشتُ إيمانًا.

لم أكنْ أعرفُ بيتَ مريمَ آنذاك... بيتَها المُشْرَعَ على الطّهر والبراءة.

لم أجلِسْ على عتبتها. لم أتنشَّقْ عطرَها الممزوجَ بالحَبق والبابونج...

لم أرَ بين كفّيها المضمومتين ذلك الشلاّلَ من نور.

لم أرَ قلبَها المنحنيَ خشوعًا يَقطُر بهجةً وحبًّا.

وآمنتُ... فالملاكُ ترك في قلبي المرتعشِ خبرًا.

قالوا لي: مريمُ تعيشُ سعادةً عارمةً، لأنَّ في أحشائها ملكًا، إلهًا، طفلاً، عصفورًا سريًّا.

لم أرَها. لم أكنْ أعرفُها يومَذاك. لكنَّ الخبَرَ عمَّ العالَم وَرَشَفْتُه كالهواء في مسامّي، مَسَحتُ جبيني ببركته، وركعتُ وآمنتُ.

لم أكنْ أعرفُ مريمَ ولا يوسفَ، عندما صعدا بالطفل إلى اورشليمَ ليقرّباه للرّب.

لم أكنْ أعرفُها، عندما تنبّأ لها سمعانُ بأنّ سيفًا سينفذُ إلى صدرها. لكنّي آختشيتُ.

لم أكن في عرس قانا، عندما طلبتْ مريمُ من آبنها أن يحوِّلَ الماءَ خمرًا، فأجابها لم تأت ساعتي يا آمرأة. تمنّيتُ لو آستبدلَ يا امرأة بيا أمي، لأحسَّ أمومةَ مريمَ في آبنها يسوع. لم أكنْ أعرفُ كيف يتحدّثُ إلى أمّه. لكنّي حزنتُ.

إفتقدتُ مريمَ على دروب فلسطين، عندما آبنُها يَعْبُرُ الوِهادَ والتّلالَ بحثًا عن الخراف الضالّة، ويزرعُ في تربةٍ صالحةٍ بذورَه فيجعلُ من الغَلَّةِ إنسانًا صالحًا.

من بعيد كنتُ ألمحُها، ماضيةً في موكبه تارةً، وتارةً تَعجنُ وتحضّرُ للرسولِ خبزًا. لم أكنْ أعرفُها.

التقيتُ مريمَ، يومَ دخلتِ الحربةُ قلبَها. مشيتُ جلجلتَها، لكنْ ما آستطعتُ تَجَنُّبَ المُقَدَّر.

لم تكنْ عيناي شاخصتين بالمصلوب، بقَدْرِ ما آلتصقتا بأمّه. إنتظرتُ أن تثورَ، أن تَقتحمَ موكبَ الموت وتفكّكَه، أن تَفقأَ عيونَ الجلاّدين، أن تملأَ الدنيا صُراخًا، أن تلطمَ أحشاءَها بكفّيها... لكنّها تَسَاوتْ بقَدَرِ آبنِها، وقبِلتْ أن تشربَ كأسَ المرِّ معه حتّى النهاية، فتكتملُ النبوَّةُ وتتمّ.

الانسانةُ فيَّ لم ترَ أبعدَ من الأمومة. سمعتُها تتمتمُ حزنَها في صمتِ النحيب، سمعتُها تهدهدُ لآبنها كما لو كان طفلاً تُغفيه في حضنها.

التقيتُ مريمَ، والأمومةُ مُضَرّجةٌ دمًا وعرقًا. رأيتُها تلفُّ الصليبَ بذراعيها، مثلما كانت تعانقُ المولودَ وتَغمرُه إلى قلبها.

رأيتُها تداعبُ المساميرَ بأصابعها، عَلَّها تروِّضها.

رأيتها تَذرِفُ عليها دموعًا ساخنةً، عَلَّها تطرِّيها وتلينُ قساوتَها.

رأيتُها تقبِّلُ الجروحَ لتدملَها.

يومَها، كانت السماءُ ترتعدُ غضبًا، والشّمسُ إلى كسوف، والأشجارُ تكتسي ثوبَ حداد. إلتقتْ عيناها عينيّ لحظةً، ظننتُها دهرًا، لأنّي قرأتُ فيهما رؤى الأنبياءِ وبُشرى الملائكة.

أيّار ١٩٩٤

دُعَــــــاء

الأب يوحنّا منصور (المطران)

يا نجمةَ البحر، قودي زورقي العاني
غاب الضياءُ، وليلُ اليأسِ وافاني
لم يبقَ إلاّ شعاعٌ منك يؤنسُني
في وحشةِ العمر، والأهوالُ تغشاني
البحرُ حوليَ جيَّاشٌ يلاطِمُني:
فاللجُّ قَبري وهذا الموجُ أكفاني
رقّي لحالي فدمعي جفّ رافدُه
وبِتُّ أبكي المُنى بالأحمرِ القاني!
وبُحَّ صوتي فما يُنبيكِ عن شجني
إلاّ زفيرٌ كواه حَرُّ نيراني!
يُقَطِّعُ الهولُ أنفاسي ويُطفِئُها
كأنَّ حشرجةً في صدريَ الواني

فـمـا خـفـوقُ فـؤادي بـيـن أضـلـعِـه

إلاّ رنـيـنُ الأسـى لـلـكـونِ يَنعـانـي...

أوّاه! يـا نـجـمـتـي مُـدّي خيوطَ رجـاً

يَـرقـى بـهـا أمَـلـي لـلـعـالـم الـثـانـي

وزوِّديـنـي مـن أضـوائـه قَـبَـسـاً

كـبـسـمـةِ الأمّ يُـحـيـي فـيَّ إيـمـانـي...

١٩٥٤

نَشيدُ المَدائح
إلى مريم

د. منيف موسى

١

أتملاَّكِ يا سيّدةَ الألوهةِ إشراقةً ورديَّةً
أتملاَّكِ يا قِرمزيَّةَ الدِّفءِ
ويا بَهاءَ الْعَقْلِ في فِعْلِ الإبداع.

٢

السَّلامُ عليكِ أيَّتُها السيّدةُ المُصْطَفاة
السَّلامُ عليكِ أيَّتُها العذراءُ البتُول،
«إنَّ اللّهَ قد اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ
واصْطَفاكِ على نِساءِ العالَمينَ.»
السَّلامُ عليكِ يا مُسْتَودعَ الخالِقِ
في ٱلْمَخْلُوقِ.

السَّلامُ عليكِ يا مَشْرِقيَّةَ الحشا،
ويا جَمالَ الشرقِ في قُدسيَّةِ الحَبَل.

٣

أَرْنو إليكِ أَيَّتُها النَّخْلةُ العالية
وعيناي مُعَلَّقتانِ في شَعْشَعانيةِ الْوجُود
وأَخْفضُ جَبِيْني العالي عِنْدَ ذَيْلِ ثَوْبِكِ
فأَرتفعُ مَعَ ٱبنكِ في انْخطافِ التَّجلّي
وأكبرُ في فِرْدوسِ طُهْرِكِ

٤

في مَوْسَمِ ٱلْورُودِ
أيَتُها ٱلْوَردَةُ الأزليَّةُ
تَتَعَطَّرُ أنْفَاسُ ٱلبَشَريَّةِ مِنْ طِيبِ
بَتوليَّتك؛
وَيَتَقدَّسُ ٱلخَلْقُ في «ٱلْجِنْسِ المقدَّسِ»
وعِنْدَ قدَمَيكِ

يَنبتُ الرَّبيعُ الأَبديُّ
لِيكُونَ «نَوَّارُ» أيقُونَةَ السَّمَاءِ
في جِيدِ الأَرضِ.

٥

يا أمَّ الكَلِمَةِ،
في بَرءِ الرُّوحِ المُعَزِّي صانعِ السَّلام
يا سَيِّدَةَ «ٱلْفَوقَ» ويا عُلُوَّ النُّورِ
في «سِدْرَةِ المُنْتَهَى.»
أَتَلَمَّسُ مِيلادَكِ المُعجِزَة
وَوِلادَتكِ المُعجِزَة،
آياتِ الكَينُونَةِ في سِرِّ الصَّيرُورةِ.
أَرْنو إلَيكِ
فأراكِ مَجْدَ الآتي مِن أعْمَاقِ الصَّليب،
وأغتَسِلُ في الجُرْحِ المُبْدِعِ.
يَتَطَهَّرُ بيَ الألَمُ حتّى أمْدى مِنَ الحُبِّ
وَأَرفَعَ مِنَ الْمَحبَّةِ

٦

يا مَرْيَمَ المريَماتِ!

وَيا عَذراءَ العذارى!

في نَشْوَةِ العِشْقِ الإلهيّ يتسامى

وَجْهُكِ فَتُرَدُّ الغُربَةُ خَلاصاً،

وَمَسْكناً لِلضَّائعينَ في جَبَروتِ الطُّغَاةِ

٧

في الْمُغَامَرَةِ الكُبْرى

مُغَامَرةِ تَأْنسُنِ اللاّهوتِ، وَتَأَلُّهِ

النَّاسُوتِ.

أنتِ سَيِّدَةُ القِيامَةِ الرَّافعَةُ

الأَرْضَ الى السَّمَاء،

قيامةِ الإنسانِ / الإله...

آذار ١٩٩٤

السَّلامُ عليكِ يا مريم

الأب يوسف مونس

السَّلامُ عليكِ يا مريمْ
السَّلامُ عليكِ يا عذراءْ
السَّلامُ عليك يا بتولةْ
السَّلامُ عليكِ يا أمَّ اللهْ
يا أمَّنا، يا سيّدةَ الطهرِ والنقاءْ
يا ملتحفةً بالقمرِ، بالشّمسِ، بالبهاءْ
يا جميلةً ولا عيبَ فيكِ
السَّلامُ عليك، يا مريمْ

السَّلامُ عليكِ عندَ ساعةِ ولادتِنا
السَّلامُ عليكِ عند ساعةِ موتِنا
السَّلامُ عليكِ يا مَليكةَ الحزنِ والبكاءْ
يا سيِّدةَ الفرحِ والعزاءْ

السَّلامُ عليكِ يا مريمْ
يا نبعَ العطفِ والرَّجاءْ
السَّلامُ عليكِ يا مريمْ

تحتَ ذيلِ حمايتِك ألتجِئْ
يا حاميةْ، يا مُشيرةْ
في دفءِ عينيك أختبئْ
يا عذراءُ سَحَرَتني أمومتُها
يا أمّاً أخذتني عُذريَّتُها
يا شريكةَ الخلاصِ والفداءْ
يا بتولاً وأمّاً للإله والانسانْ
وحدَك عروسةُ النشيدْ
آتيةً من جبالِ النّمورِ من لبنانْ
السَّلامُ عليكِ يا مريمْ

السَّلامُ عليكِ
معطَّرةً بالمُرِّ واللُّبانْ
يفوحُ منكِ بَخورُ الأرزْ
واقفةً على الأعتابِ والمذابحْ
معلّقةً في الأعناقِ وعلى المطارحْ
ولو تَرَكَتْني أمّي
فأنتِ تَضُمّينْ
إليكِ حتَّى الأشقياءْ
فَهَلُمِّي إليَّ
والسَّلامُ عليكِ يا مريمْ

يا سيِّدةَ الميلادِ والنجومِ البعيدةْ
يا سيِّدةَ الملوكِ والرّعاةْ
يا سلطانةَ المُتَوَّجين والحُفَاةْ
وكلِّ المواعيدِ والانتظارْ
يا سيِّدةَ الآهِ والنِّداءْ

يا سيِّدةَ الوجعِ والصُّلبانْ

يا قائمةً دموعاً على الأسِرَّةِ والأكفانْ

يا سيِّدة الصَلبِ والأنا عطشانْ

يا شاهدةً على الخلاصِ والقيامةْ

السَّلامُ عليكِ الآنْ

وكلَّ آنْ يا مريمْ

كيف يكونُ هذا؟ ولماذا؟

نَعَمْ! لِتكنْ مشيئتُكْ

واللامعقولُ معقولا

لِيَصِرِ اللهُ إنسانا

وابقَي أمّاً وبتولا

وتولدُ ارضٌ جديدةْ وسماءٌ جديدةْ

نَعم لِيَصِرِ الماءُ خمرا

وعرسُهم عمرا

وعيدا

السَّلامُ عليكَ يا مَن عندَهْ
أنتِ وسيطةٌ وحيدةْ
السَّلامُ عليكِ يا مريمْ

السَّلامُ عليكِ يا مريمْ
يا عذراءْ
قبلَ الميلادِ وفيه وبعدَه وما دامَ الزمانْ
يا أماً وَلَدَتْ ولم تَعرِفْ رجلاً
قبلَ الميلادِ وفيه وبعدَه وما دامَ الزمانْ
يا بتولاً
قبلَ الميلادِ وفيهِ وبعدَه وما دامَ الزمانْ
أنا ابنُكِ يا مريمْ
يا سيِّدتي ويا أمّي
قبلَ الميلاد وفيه وبعدَهْ
وما دامَ الزمانْ
السَّلامُ عليكِ يا مريمْ

١٩٩٧

فصلٌ من الرؤيا
في عرس قانا

د. خريستو نجم

لأنَكِ شئتِ أن أَسقي
ضيوفَ العُرسِ
في قانا
تَلوَّنَتِ السّواقي في الجليلِ
وكانَ ما كانا!

على الأجرانِ أقرأُ
قد أتَتْني ساعتي
أتُراكِ أنتِ... أرَدْتِها الآنا؟
حَنَانَكِ...
لستُ أخشى الكأسَ أتْرَعُها
قُبيلَ الوَعْدِ أحيانا

ولكنّي...

أخافُ عليكِ من رؤيا فَتَاكِ

يموتُ مصلوباً وظمآنا!

ومِن طَعْنِ الحِرابِ

أخافُ يا أمّي عليكِ

فنحنُ جسمٌ واحدٌ عانى!

إذا سُمِّرتُ

أشعَلَ فيكِ مِسماري

مكانَ الجرحِ... نيرانا!

رضيعاً كنتُ لمّا جئتِ بي

للكاهنِ المُلهَمْ

فقالَ السيفُ مكتوبٌ عليكِ

لأنّني الآتي لكي أُعْدَمْ

وجُلْجُلتي...

مَشَتْ قَدَماكِ يا أمّي عليها

قبلَ أن أمشي

وأن أُرْجَم!

وتاجُ الشّوكِ مَضْفورٌ عليكِ

رأيتُهُ طفلاً.. ولم أفهَمْ

كأنَّكِ منذ تَبشيرِ المَلاكِ

رَضيتِ بالجرحِ الذي يُرْسَمْ

وبالمكسورِ من خُبزي على خَمْري

فدا الكبشِ الذي يُولَمْ

وبالثّوبِ الذي اقترعوا عليهِ

لأنّكِ الثّوبُ الذي أُطْعَمْ

فلولا جسمُكِ القدّوسُ

ما كانتْ

ثيابُ العيدِ... يا مَريمْ!

فيا سُلطانةَ الشُّهَداءِ لا تبكي

فإنَّ الفُصحَ موقوفٌ على قدَري

على الحَجَرِ المُدَحْرَجِ... كلّما
شَعَّتْ إليكِ الشمسُ من حُفَري
على قَدَمَيْ صليبكِ
في ظلالِ المجدِ
مع أبنائكِ الكُثُرِ!
تَقدَّمْتِ الذّبيحةَ... فاهنَأي
بِنَبيذِ قُرباني
وإخواني منَ البشرِ!
لأنتِ الهَيكَلُ المنشودُ
يُنقَضُ ثمّ يَحْيَا
بعد أيّامٍ على أثَري!
هَلُمّي نحوَ عَرْشي
واصْعَدِي كحَمامةٍ جازَتْ
حدودَ السَّمْعِ والبَصَرِ
وحُطّي عن يَميني
إنّني أُهديكِ تاجَ المُلكِ
يا شمسي ويا قَمَري!

رُقادُكِ وَمْضَةٌ.. فآستبشري

باليقظةِ الكُبرى على عَجَلِ

وبالغيم الذي قد لَفَّني

في يوم تَوْديعي على الجَبَلِ!

فَسَادُ القبرِ لا يَسْطو

على أَمَةِ الإلهِ

وطِفْلِهَا الحَمَلِ!

عَمُوداً من دُخانٍ تَصْعَدينَ

فَدَحْرِجي الأزمانَ

وانتقلي!

وَطِئْتِ الأُفعوانَ

فَشَرِّعي قُدّامَ آدمَ شَرْقَ عَدْنٍ

وافتحي بَوَّابةَ الأزَلِ

وكوني أُمَّنا حَوّاءَ...ثانيةً

ورُدّيها على نَهْرٍ منَ العَسَلِ!

فَبَعْدَ اليومِ

لا هَرَبٌ الى الأغصانِ
لا عُرْيٌ معَ الخَجَلِ!
لقد أتْمَمْتِ يا عذراءُ مغفِرَتي
على ما جاءَ...
أو ما قالَه رُسُلي!

لأنّكِ شئتِ تَلوينَ السّواقي
حَولَكِ الآنا
وشِئتِ الخَمْرَ في الأعراسِ أجرانا
تَدَاخَلَتِ الجَدَاولُ والفصولُ
وكانَ ما كانا!

سيِّدة الورديّة – زوق مصبح
أيّار ١٩٩٤

المصطفاة

هدى النعماني

لا ريبَ لا امرأةٌ قبلك
لا امرأةٌ بعدك
لا امرأةٌ مثلك
لا ريبَ لا امرأةٌ إلاّ دفءٌ منك
منارةٌ منك
طاعةٌ منك
لا ريبَ لا امرأةٌ إلاّ طيورٌ منك
ورودٌ منك
فراشاتٌ منك
لا امرأةٌ إلاّ دمعةٌ منك
غَمْرٌ منك
ضوءٌ منك
أنتِ أنتِ المصطفاة

حسبيَ أنّك النُّذُرُ والقَبول
يَسخى النَّبتُ فيك حِرْزاً بعد حُسْنٍ
تُلقى الأقلامُ بُغيةً وهوى
يَختصِمُ الكُفَّلُ كُفُلاً عن شجنٍ
يَصيدُ الرّزقُ عند المحراب

حسبيَ أنّك التعوُّذُ والصّومُ
تَنَزَّلُ عليكِ الملائكةُ بالبشارة والطُّهر
تأوى إليك، بعد ميثاقٍ، الكلمةُ والرّوح
يُمَلَّكُ لكِ تَمَثُّلاً النَّبأُ والوقت

حسبيَ أنّك النّدمُ واللوم
يَسري العشبُ من تحتك كريش نَعَامٍ
ينسابُ النّخيلُ حولك والشموسُ ابتهالاً
تَسَاقطُ الرُّطَبُ على كتفيك قرَّةَ عين

حسبيَ أنّك الشَّهادةُ والسّر

ينصاعُ لك ذَرْءُ الخَلْقِ رضيعاً

يَصيدُ منك قدَرُ المعجزاتِ سَمْحاً ورحمةً

تَنفخين في الطّير نجوماً، في الموت سجودًا وركوعاً

تَرِثين الأرضَ

أنتِ المصطفاة

فإيهِ مريمُ، عروسَ المآذنِ، حزنَ القبابِ والأجراس

عُذْرَ السّماءِ، سِحْرَ الجبالِ والهضاب

لَهَفَ الصمتِ، خفَرَ الصبرِ والصلاة

يا جسداً يَسكن جسدي، يعذّبُ جسدي

يا جسداً يَحضن جسدي، يَسجنُ جسدي

أسعى إليك مع الحجيجِ عند جبل الزيتون

تتراءَين لي وحدي طويلاً ثوباً أبيضَ يَفيضُ منه الليل

دَؤوباً عطوفاً متمهّلةً أعلى القبابِ يُدهِشُك الجَمْعُ

يُغَاديك البعضُ تَضَرُّعاً: ضوّي يا أمَّ النّور
تَنشرين ذراعيك مُذْعِنةً من توسُّل
تَبزغين تَوّاً بروقَ فضَّةٍ وشُعَلَ ضوء

تُوَارى رسالةٌ مودَعةٌ منك لـدى امرأةٍ عجـوز
فتحثُّني غيرتي على عتابك كيف لم تأتَمِني لي
تَخطين إليَّ من لوحةِ صَبيّةٍ منكبَّةٍ فوق معجنها يكلّلُها الحُلمُ
وتَشحذني سريرتي كِبَراً: أهذه فقط هي العذراء؟
فتقذفني ريحٌ زَهوقٌ الى قدميك وأُنقادُ الى سيمائك كما لو لم أُوْلَد من قَبل
تنحنين ترفعينني تقبّلينني تـأخذينني الى صـدرك
من ثَمّ كلّما افتقدتُك أنا المسلمةُ المسلمةُ ألقاك

يدركُني المسيحُ سائراً فوق الماء يقرأُ في كتاب
أَعقِدُ أصابعي على سُورٍ بيننا عسى ثوبُه يَلمسُني دون أن يتنبّه
إذ راحتاه تحيطان براحتيَّ عينان سِعَةَ البحرِ تَصيدان في عينيّ
وأنتِ الى جانبي متلهّفةٌ عليّ أن أسألَ ما أشاء

أتوسَّلُ منك للإنسانيّة عوناً
تبتسمين مشفقةً وتَهُمّين بالرّحيل
أناديك مستدركةً: وفِلْذةُ قلبي «أنيس»؟
تضرب يدُك الشافيةُ الهواءَ بحزم
تنكفئني على عَجَلٍ: ما بالُ قلبِ «أنيس»؟

أتلمّسُك في خَطْبِ تمثالٍ من كنيسةٍ يعاودُها الخِصبُ
تَموجُ السُّبحةُ الطويلةُ حتّى القدمين على الثّوب الأزرق
ترتجفُ يداكِ بين يديّ لَئِنْ في صُلبهما الحياة
ويَتبعني بَخورٌ منك أيّاماً وأيّاماً

أردّدُ تَخوّفاً: أأغضبتُك، أأفشيتُ السّرَ، أؤتمن على نعمةٍ بَعْدُ
أُبصرُ صَدَفةً تحملُ توأمين متعانقين تَسبح في الفضـــاء
ويبادرُني صوتٌ من أطراف السماء: هذه أنتِ والعذراء

فآهٍ مريمُ
يا طِيْبَ الصلاةِ، نارَ الجسدِ والروّح

عِزَّةَ السَّخاءِ والأمومة
أعجوبةَ النبوّة والألوهة
تَرشفين زيتاً
تُدمين أيقونةً
تَعظِين تحذّرين تَبكين
على سَوَاد شَعرك
معارجُ الحقّ
إلفةُ الدّهور
أجوبةُ السّماء
لو تُسرعين في العودة
لو... تُسرعين.

١٩٩٥

مريم

د. نديم نعيمه

الرجولةُ فعلٌ، أمّا الأنوثةُ فانفعال. الفعلُ سعيٌ من نقصٍ الى اكتمال، لذلك كانت الرجولةُ ابداً رحيلاً وهجرة واغتراباً. أمّا الانفعالُ فاحتضانٌ للفعل، وتعهّدٌ له، وموضعٌ لمثوله واكتماله. لذلك كانت الأنوثةُ رحِماً وتَجذّراً ومُثولاً.

الرجولةُ سَفَرٌ، أمّا الأنوثةُ فبلوغ. المسافرُ هو أبداً في توقّعٍ وتحفّز وتوقٍ مشرئبٍّ الى وصول: انّه الرجلُ التائهُ في مجاهل الكبر عن الطفل الذيً فيه، أبداً يَسيرُ ولكنّه قطٌّ لا يَصلُ، أبداً يتحرّكُ ولكنّه قطٌّ لا يَستكين. أمّا الانوثةُ فَعَوْدٌ بالرجل ابداً الى طفل، وبالسائرِ الشاردِ أبداً الى حيثُ كان في الأصل، وبالمتحرّكِ المشرئبِّ القاصدِ الى وصولٍ ورضىً وسكون.

الرجولةُ حركيّةٌ؛ فهي، من أجل ذلك وبفعله، دخولٌ في الزمن. أمّا الأنوثةُ فخروجٌ من الزمن، لأنّها أبداً عَوْدٌ بالحركة الى بَدء.

الرجولةُ خارجٌ؛ فهي سعيٌ أبديٌّ الى دخول: إنّها الجنسُ، الهاجسُ الدهريُّ لكلّ ذَكَر. ذروةُ ما تبغيه الذكورةُ هي أن تَنفذَ الى

رَحِمٍ وتتكوّرَ وتُرحَمَ وتَستقرَّ. وذروةُ ما تبغيه الانوثةُ ان تستضيفَ مهاجراً، وتُؤوي لهيفاً، وتعيدُ مغترباً الى بيته الذي اغترب عنه في الأصل، فيهدأُ ويَطمئنُّ ويغفو.

«أجائعةٌ خاويةٌ عطشى» يقول الذَكَر، «اذن خذي منّي إليك كي يَشبعَ جوعُكِ وينطفئَ عَطَشُك ويمتلئَ فراغُك». وتقولُ الأنثى في عميق حنانها: «أعطني منك ايّها المغتربُ لكي أردَّك اليكَ».

الأنثى ليست للشّبع، لان الشِبعَ جوعٌ مؤجّل. الشِّبعُ ليس لها لأنّه زمنيّ. وهي ليست لتمتلئَ لأنّ الامتلاءَ فراغٌ مموَّه. ثَمّةَ فرقٌ بين الجوعِ وبين حاجةِ الخبزِ الى أن يؤكلَ، وبين الفراغِ وحاجةِ الوجودِ الى رحمٍ خاويةٍ تحتويه.

الرجولةُ فعلُ وجود، إنّها ليست نوعاً يندرجُ تحته كلُّ رجلٍ فرد. كان فردٌ في البدء، فتوزّعت خصائصُه بنسبٍ متفاوتةٍ على جماعة.

الأنوثة احتواءٌ لوجود، إنّها ليست نوعاً تندرجُ تحته كلُّ انثى. الانوثةُ تعميمٌ لأنثى بعينها، توزّعت خصائصُها على تفاوت، في جماعة. في الوجود، منذ البدء، وربما حتى النهاية، امرأةٌ واحدة، والأنوثةُ سعيٌ لاهثٌ في التاريخ وراء أنْ تتحقّقَ في تلك المرأةِ وان تَستجمعَ خصائصَها.

في البدء كانت إرادةُ الفعل عند الله – في البدء كان «الكلمة».

وفي البدء كانت حاجةُ الفعل الى الانفعال – في البدء كانت مريم.

والذي بين «الكلمة» ومريم أنَّ «الكلمة» شاء، من خلال مريم، أن يَخرجَ من غربةِ المطلق الى التاريخ، بينما كان لمريمَ وهي في التاريخ، ان تَستضيفَ الكلمةَ – الانسان، فلمَ يلبثْ ان ارتدّ منها الهاً.

تّموز ١٩٩٤

ويَنتحرُ السموُّ على ذُراكِ!

نايف نَكَد

منَ الأزهارِ من عَبقٍ وَزاكِ من الأحداقِ تكحلُها رُؤاكِ
نصوغُ السِّحرَ في عطرٍ وعينٍ تحيّاتٍ يطيِّبُها رضاكِ
فيا حلمَ الرّياحين النَّديَّاتِ أسكَرْتِ الزنابقَ من شذاكِ،
ويا أغنيَّةَ القدسِ المُرَّجى، تَمنّى النّورُ ان يُمسي فداكِ!
تقصِّرُ عن أعاليكِ المعالي وينتحرُ السموُّ على ذُراكِ!..

مباركةٌ تُديٌّ أرضعتْكِ النُّهى طُهراً، وبُورِكَ من بَراكِ..
ملأْتِ الكونَ من سِحْرٍ عجيبٍ فجُنَّ الكونُ يَفتنُه هواكِ،
يتوقُ التِّبْرُ أن تطإي سناهُ لكي يَزهو على تاجِ الملاكِ،
ويحني الفجرُ جَبهتَهُ انسحاقاً على ذيلٍ تَخلَّجَ من رِداكِ
وأُمَّاتُ الكواكبِ في عُلاها، يمرِّغْنَ الأشعّةَ في خِباكِ
وأبراجُ السماءِ، على سناها، تحسِّدُ ممّا تلألأ من سناكِ،

ووهجُ الشمس يَزحفُ في خشوعٍ، يُلَملِمُ ما تناثرَ من بهاكِ،
ومجدُ الأرزِ يَشمخُ في طموحٍ، ليلثمَ ما تدنَّى من عُلاكِ!..

صعدتِ الى السماء وأنتِ منها بجسمٍ لم يُدَنَّس في ثَراكِ
تعالى مَن حَبَاكِ المجدَ حَلْياً ومَن لمسيحهِ أُمّاً دعاكِ!
فقد حَلَّ الالهُ بكِ وطابت له السُّكنى جنيناً في حشاكِ
هو الفادي الذي قد مات عنّا وأوصى أن نسيرَ على خُطاكِ:
فَمُدِّي للجميع يديَك عطفاً لتحملَنا الى الفادي يداكِ!..

١٩٥٤

في الكتاب

في جنَّة مريم

مَريميَّات بأقلامٍ من لبنان

القياس: ١٧ × ٢٣

التنضيد: تكنوبوب

خطّ الغلاف: سمير حدّاد

الطباعة: معوشي وزكريًّا

الإشراف والحقوق: جورج مغامس

الطبعة الأولى: الأوّل من أيَّار ١٩٩٧

لكِ ..
وأنا على رُكبتيَّ
قلبي
بيديَّ
وهواكِ
النَّشيدُ في عينيَّ
لكِ ...